

# الشُّبُهَات وَالْأَخْطَاءُ الشَّائِعَةُ

فِي الْأَدَبِ الْعَرَبِيِّ

الْفِكْرِ الْأِسْلَامِيِّ

الثَّقَافَةِ وَالتَّارِيخِ

السِّيَاسَةِ وَالْإِجْتِمَاعِ

تَرَاجُمِ الْأَعْلَامِ

أَنْوَارُ الْجَنْدِيِّ

# السُّبُهَاتُ وَالْأَفْطَاوُ السَّائِقَةُ

في الأدب العربي والتراجم والفكر الإسلامي

يقدم أنور الجندي

بسم الله الرحمن الرحيم

## كشاف

### الباب الاول : في العلوم والمناهج

رقم البحث	الصفحة	رقم البحث	الصفحة
١	الثقافة	١٩	٥
٢	الدين	٢١	٦
٣	التوحيد	٢٤	٧
٤	الاخلاق	٢٦	٨
			٥
			٦
			٧
			٨
			٩
			١٠
			١١
			١٢
			١٣
			١٤
			١٥
			١٦
			١٧
			١٨
			١٩
			٢٠
			٢١
			٢٢
			٢٣
			٢٤
			٢٥
			٢٦
			٢٧
			٢٨
			٢٩
			٣٠
			٣١
			٣٢
			٣٣
			٣٤
			٣٥
			٣٦
			٣٧
			٣٨
			٣٩
			٤٠
			٤١
			٤٢
			٤٣
			٤٤
			٤٥
			٤٦
			٤٧
			٤٨
			٤٩
			٥٠
			٥١
			٥٢
			٥٣
			٥٤
			٥٥
			٥٦
			٥٧
			٥٨
			٥٩
			٦٠
			٦١
			٦٢
			٦٣
			٦٤
			٦٥
			٦٦
			٦٧
			٦٨
			٦٩
			٧٠
			٧١
			٧٢
			٧٣
			٧٤
			٧٥
			٧٦
			٧٧
			٧٨
			٧٩
			٨٠
			٨١
			٨٢
			٨٣
			٨٤
			٨٥
			٨٦
			٨٧
			٨٨
			٨٩
			٩٠
			٩١
			٩٢
			٩٣
			٩٤
			٩٥
			٩٦
			٩٧
			٩٨
			٩٩
			١٠٠

### الباب الثاني : الادب

٩	الادب العربي	٣٩	١٢	التجديد	٤٦
١٠	الاباحة (في الادب)	٤١	١٣	الفكر والادب	٤٨
١١	الادب المكشوف	٤٣	١٤	القصة	٥٠

### الباب الثالث : الفقه

١٥	السنة	٥٥	١٨	التقليد	٦٤
١٦	الشريعة	٥٧	١٩	الربا	٦٥
١٧	الاجتهاد	٦١	٢٠	الرقيق	٦٧

## الباب الرابع — قضايا الفكر والاجتماع

الصفحة	رقم البحث
٧١	١ الاحجار والبطولة
٧٣	٢ الاساطير
٧٨	٣ الاستشراق
٨٢	٤ الاقنباس
٨٥	٥ الاحاد
٩١	٦ التسامح
٩٣	٧ التطور ( التطور والنبات )
٩٦	٨ التمهيل
٩٨	٩ التغريب
٩٩	١٠ التقدم
١٠١	١١ التكامل
١٠٣	١٢ التورائية
١٠٩	١٣ التوحيد
١١١	١٤ الثورة الفرنسية
١١٥	١٥ الجرح والتعديل
١١٨	١٦ الجبرية
١١٩	١٧ الجهاد
١٢٠	١٨ الحرية
١٢٢	١٩ حرية الفكر
١٢٥	٢٠ الخطيئة
١٢٦	٢١ الدولة الثيوقراطية
١٢٧	٢٢ رجل الدين
١٢٨	٢٣ العلم والدين



الباب الرابع : قضايا الفكر والاجتماع

رقم البحث	الصفحة
٤٦ العقل العربي	١٣٠
٤٧ العروة والاسلام	١٣١
٤٨ المصرية	١٣٣
٤٩ العصور الوسطى	١٣٦
٥٠ عصر الانحطاط	١٣٧
٥١ علة تأخر المسلمين	١٣٨
٥٢ الغيبات	١٣٩
٥٣ الفلكلور	١٤٠
٥٤ الفكر والعصر	١٤١
٥٥ القيم	١٤٢
٥٦ القديم . . . . .	١٤٢
٥٧ الكتب الصغرى	١٤٧
٥٨ كتب المحاضرات	١٤٨
٥٩ اللاتينية	١٤٩
٦٠ اللاهوت	١٥٠
٦١ المنهج العلمى التجريبي	١٥١
٦٢ المرأة ونحرير المرأة	١٥٢
٦٣ المحافظة	١٥٣
٦٤ المعرفة والعقيدة	١٥٥
٦٥ المثل الاصل	١٥٦
٦٦ منطق أرسطو	١٥٨
٦٧ المسرح والفكر الإسلامى	١٦٠
٦٨ القرآن والادب	١٦٢
٦٩ هزيمة المعتزلة	١٦٣
٧٠ وحدة الوجود	١٦٥
٧١ وحدة الحضارة	١٦٦
٧٢ الوسطية	١٦٨

## الباب الخامس : الدعوات والمذاهب

رقم البحث	الصفحة
١٧	البهاية
١٧٤	التبشير
١٧٨	الصيونية
١٨٠	الطائفية
١٨٢	العلانية
١٨٢	العامية
٨٧٣	المنصرية
٨٠	الفينيقية
٨١	القرعونية
٨٢	القومية (الضيقة)
٨٤	المادية
٨٤	(م) الماسونية
٨٥	الهدامة (المذاهب الهدامة)
٨٦	(م) الوثنية
٨٧	توحيد الاديان

## الباب السادس — التاريخ

٨٨	(م) إخوان الصفا
٨٩	الاسرائيليات
٩٠	الاغريق واليونان
٩١	البطولة
٩٢	تفسير التاريخ
٩٣	الحلة الفرنسية
٩٤	الحلقة

الباب السادس — التاريخ

رقم البحث	الصفحة
٩٥	فتنة ١٨٦٠
٩٦	الكشف
٩٧	محاكم التفتيش
٩٩	ما قبل الاسلام
١٠٠	ممركة سانت بارتلي
١٠١	مكتبة الاسكندرية
١٠٢	مصر للصريين
١٠٣	ارساليات لبنان

الباب الثامن — الكتب والمؤلفات

الصفحة	رقم البحث
٢٣٩	١٠٣ الاستعمار
٢٤٢	١٠٤ الاستعمار التركي
٢٤٤	١٠٥ الاقليات
٢٤٧	١٠٦ الاقلية
٢٤٩	١٠٧ الرجل الابيض
٢٥٢	١٠٨ الجامعة الاسلامية
٢٥٣	١٠٩ الجنس
٢٥٦	١١٠ التعاملية
٢٥٨	١١١ الوطنية
٢٥٩	١١٢ الاتحاديون وليس السلطان
٢٦٣	١١٣ ألف ليلة وليلة

الباب السابع — السياسة

٢٦٥	١١٤ شمائل المصريين المحدثين
٢٦٦	١١٥ الاغانى
٢٦٩	١١٦ البيان والتبيين
٢٧٠	١١٧ المصنوعون به على غير أهل
٢٧١	١١٨ الامامة والسياسة
٢٧٢	١١٩ المنجد
٢٧٣	١٢٠ دائرة المعارف الاسلامية
٢٧٥	١٢١ يقظة العرب
٢٧٦	١٢٢ الموسوعة العربية الميسرة
٢٧٧	١٢٣ تحرير المرأة
٢٧٨	١٢٤ حديث الاربعاء
٢٨١	١٢٥ الاخلاق عند الغزالي
٢٨٣	١٢٦ على هامش السيرة
٢٨٥	١٢٧ في الادب الجاهلي



الباب التاسع . تراجم الاعلام

رقم البحث	الصفحة
١٢٨ لورنس	٢٩١
١٢٩ فيليب حتى	٢٨٩
١٣٠ ساطع الحصرى	٢٩١
١٣١ المتنبي	٢٩٥
١٣٢ الحلّاج	٢٩٧
١٣٣ السامان عبد الجيد	٢٩٩
١٣٤ السهروردي	٣٠١
١٣٥ شبلى شميل	٢٠٤
١٣٦ (م) ابن رشد	٣١٠
١٣٧ ابن الراوندى	٣١١
١٣٨ يعقوب أرتين	٣١٢
١٣٩ عمر الخيام	٣١٣
١٤٠ ولى الدين يكن	٣١٦
١٤١ غاندى	٣١٨
١٤٢ (م) سارتر	٣٢٢
١٤٣ ابن خلدون	٣٢٤
١٤٤ ميكافيللى	٣٢٦
١٤٥ تولستوى	٣٢٧
١٤٦ يعقوب صنوع	٣٢٨
١٤٧ أديب اسحق	٣٣٠
١٤٨ جرجى زيدان	٣٣٢
١٤٩ نيتشه	٣٣٣
١٥٠ فاركس	٣٣٤

الباب التاسع تراجم الاعلام

الصفحة	رقم البحث
٣٣٥	١٥١ فريد
٣٣٦	١٥٢ سعد زغلول
٣٣٧	١٥٣ لطفى السيد
٣٣٨	١٥٤ كرومر
٣٣٩	١٥٥ دنلوب
٣٤٠	١٥٦ ولفتجستون
٣٤٢	١٥٧ فاسكودى جاما
٣٤٣	١٥٨ الفزالى
٣٤٥	١٥٩ كلارك مارتل
٣٤٦	١٦٠ دور كايم
٣٤٧	١٦١ دارون
٣٤٩	١٦٢ لورنس (الجنس)
٣٥٠	١٦٣ جبران
٣٥١	١٦٤ أبو نواس
٣٥٣	١٦٥ هرتزل
٣٥٤	١٦٦ ابن المقفع
٣٥٦	١٦٧ هنرى الملاح
٣٥٧	١٦٨ أبو ذر القفارى

(خاتمة: ٢٥٩ — ٢٦٠)

## مدخل إلى البحث

في طريق مسيرة الفكر الإسلامي والثقافة العربية الطويلة عبر القرون الطويلة وبالاحتكاك مع الثقافات المختلفة فإنه قد صارف عديداً من المذاهب والدعوات التي حاولت أن تنحرف به عن مفاهيمه وقيمه ، وقد عادت هذه الشبهات والأخطاء فتجمعت مرة أخرى في السنوات المائة الأخيرة مجددة كل التحديات والإفتراءات التي بثتها الباطنية والمجوسية والفلسفات الوثنية ودعوات التطل والانحراف والزندقة والإباحة التي عرفت في عصور ما قبل الاسلام وجمعها الاستعمار والصهيونية العالمية تحت اسم (التغريب والغزو الثقافي) وجند لها قوى متعددة منها التبشير والاستشراق والشموعية ومعهذا لرساليات وكثيرا من الصحف والدعاة والاسماء اللامعة .

ولقد استشرت في السنوات الأخيرة هذه الشبهات والأخطاء وأصبحت نتيجة لتزايدها المتصل وتسربها إلى مناهج الدراسة وإلى أصول الثقافة وإلى مصادر التاريخ - خاصة تلك النظريات الوافدة التي فرضها التغريب في مجال الأدب والأجناس ومقارنة الأديان وعلم النفس وفلسفات الاجتماع والاقتصاد والقوية والقانون - كل هذا جعل كثيراً من هذه الشبهات تبدو وكأنها حقائق ، أو يجري التسليم بها دون مراجعة أو تعمق في ظل من الغفلة عن الأهداف المأسكرة التي تختفي وراءها .

بل أن كثيراً من هذه الشبهات قد أغرت كثيراً من أصحاب الأقلام المختصة من غير قصد ، نتيجة لاستشراء الخطأ المتداول مثل ما يسمى باستبداد السلطان عبد الحميد أو ما يسمى بالاستعمار العثماني وكلاهما من الكلمات التي نسقتها يد التآمر في محاولة تمزيق وحدة العالم الاسلامي وإثارة الشبهات حول حقائق تاريخية أريد لها أن تدفن وتختفي .

والحق أننا في أشد الحاجة اليوم إلى العمل المتصل لتحرير الفكر الاسلامي والثقافة العربية من دخائل التبشير والتغريب والشعوية والكشف عن الأخطاء الشائعة وتصحيح المفاهيم وتطبيق قانون الجرح والتعديل على الكتاب الذين عرفوا بالخصومة لفكر العرب والمسلمين والذين لا يتركون فرصة تمر دون النيل من قيم فكرنا وذاتية أمتنا وكياننا وليست هذه المحاولة بدعا في تاريخ الفكر الاسلامي والثقافة العربية ولكنها تبدو متواضعة أزاء محاولات ضخمة في هذا المجال منها :

رد ابن تيمية على المناطقة ، ورد الغزالي على الباطنية ، ورد ابن حزم على الفرق وكتاب تلييس لميليس لابن الجوزي وكتاب العواصم من القواصم للقاضي ابن العربي وكتب أخرى في العصر الحديث منها الرد على الدهرين لجمال الدين الافغانى والاسلام والنصرانية بين العلم والمدنية للشيخ محمد عبده وشبهات النصارى وحجج الاسلام للسيد رشيد رضا .

ومن الحق أن يقال أنه قد أصبحت هناك ضرورة لقيام علم يطلق عليه .

( علم المواجهة وكشف الشبهات وتصحيح المفاهيم ) .

يقوم على أساس تحرير قضايا الفكر ، ودراسة المصطلحات المختلفة السارية المتداولة وكشف وجهة نظر الفكر الاسلامي فيها ، وابرار مفهوم الاسلام للقيم المختلفة وهو مفهوم يختلف قطعاً عن مفاهيم الفكر الغربي والفكر الشرقي جميعاً لهذه القيم . ولا شك أن الدعوة إلى تصحيح المفاهيم هو عمل كبير الاهمية في هذه المرحلة من حياة أمتنا وحياة الفكر الاسلامي والثقافة العربية إذا يتطلب القاء نظرة واسعة على الأخطاء الكثيرة التي ترددت في العصر الحديث وتضمنتها الأبحاث والمؤلفات والكتب الدراسية المقررة والمفاهيم التعليمية المختلفة التي حاول النفوذ الأجنبي والاستعمار الفكري فرضها ودعمها وتعميقها وصقلها وتجديدها كلما بليت وإعطائها صورة الحقائق الأساسية التي لا تقبل الشك بينما هي زائفة ليس لها أصل على تعتمد عليه أو سند تاريخي يضمن الثقة بها ؛ وقد شجع على ذلك وما سقط فكرنا فيما يسمونه غفلة التقليد والترويد البغائى دون وعى حصيل أو تقليد واع أو محاذرة لحظة لكل ما يقوله خصوم هذه الأمة وهذا الفكر .



ولم نلّا ندعو إلى الخصومة ازاء كل ما يقال ولكن نطالب بالحذر واليقظة  
حتى لا نخدع ولا يدلس علينا بالزائف من القول الذي ينقض حقنا وحقائقنا .

ولقد ظهرت في السنوات الآخرة مجموعات متعددة من الشبهات والاشطاء :

منها شبهات التبشير ، وشبهات الاستشراق وشبهات بروتوكولات صهيون  
والاسرائيليات الجديدة وشبهات المذاهب والدعوات المادية والاباحية الوثنية  
التي صيغت في قوالب عليّة براقة خادعة لا تستطيع أن تصمد أمام ضوء الحقائق  
السكاشف الذي يعريها ويفضح خبيثتها .

ولقد كان الفكر الاسلامي ولا يزال — استمداً من مصادره الإسلامية  
القرآنية — على المحجة البيضاء ولكنه أصيب بالإنحراف والاضطراب حين  
انصرف أهله عن أصوله القائمة على التوحيد والحق والعدل وعرايط المسادى  
والمعنوى معا .

ولقد واجه الفكر الاسلامي عملية الغزو الفكري والثقافي منذ قديم ، واستطاع  
في ممرّكته الاولى أن يتحرر من كل هذه الزيوف وأن يستعيد طابعه وذاتيته  
بعد حرب عنيفة مع الوثنيات اليونانية والمجوسية والهندية القديمة .

وهو اليوم قادر أيضا على أداء هذه الرسالة ، يقظ لكل ما يراوده ، متفتح  
للآفاق لكل الثقافات والمفاهيم يأخذ منها ويرفض على قاعدته الأساسية العميقة  
الجدور . وهو بقوة الذاتية المستمدة من القرآن قادر على كشف الزيوف ورفض  
الخطأ ودخس الشبهة .

ولقد كان على طلائع اليقظة العربية الإسلامية في العصر الحديث أن تعرف  
هدف حركة التغريب من بث هذه الشبهات والاشطاء وهو هدف واضح يرمى  
إلى توهين القيم الإسلامية وتقويض وحدة الفكر الاسلامي والثقافة العربية وإثارة  
الخلاص بين الشعوب الإسلامية والعربية ووضع اسفين ضخم بين العرب والامم  
الإسلامية كالترك والفرس وغيرهم وكذلك بعثرة القوى الوطنية :

ولقد كانت حركة اليقظة العربية الإسلامية منذ جمال الدين الافغانى ومحمد

هذه على علم تام بأن هناك محاولة دائمة مستمرة لتحريف الفكر الاسلامي (أصوله وتعاليمه وأحكامه) تارة بالنقص منها أو بالزيادة فيها وثالثة بتأويلها على غير وجهها .

وكان هدف التبشير والاستشراق أساساً هو العمل على الحط من شأن العرب والمسلمين في نفوسهم وتشجيع العاصيات جرياً وراء تفكيك عروة وحدة الفكر .

ولقد جرت محاولات كثيرة لفصل الأدب العربي المعاصر والفكر العربي المعاصر عن أصولهما الاسلامية ومصادرهما الاصلية، ثم تبين أن هذا العمل كان عسيراً ومستحيلاً .

كما جرت المحاولات لتدمير الشخصيات النابغة في تاريخنا وفكرنا، وخاصة تدمير الغزالي والمتنبي وابن خلدون، كما جرت لاعلاء شأن أبي نواس وبشار والحلاج، وعهدت الشبهات إلى اتهام الفكر الاسلامي بانتقاص الحرية، وعرضت حياة ابن رشد والسهروزي أمثلة على ذلك، واتصلت الشبهات بمختلف ميادين الفكر سياسية واجتماعية، كما ظهرت عشرات من الكتب تحاول أن يفرض مفهومها زائفاً أو خاطئاً في سبيل خدمة هدف التبشير والاستشراق لحساب الغزو الثقافي والإستعمار والصهيونية . ، وجرى البحث لاعلاء شأن كتب المحاضرات والوادروالاساطير التي يرددها الرواة، وجرت المحاولات على أن تكون هذه الكتب مصادر عليية يعتمد عليها في استخراج صورة للجهنم الاسلامي .

وقد نسقت هذه الشبهات في موسوعات ودوائر معارف أنيقة أصبحت في أيدي الباحثين يلجأون إليها في كل وقت ، دون معاناة ، غير آبهين بمدى الخطر الذي يحيط بها والهدف البعيد المدى الذي يراود من وراء نشر هذه الشبهات الزائفة ووضعها في قالب علمي براق .

ولقد تبين بما لا يدع مجالاً للشك أن هذه الشبهات والاختلاء إنما يراود بها اقضاء على ذاتية العرب والمسلمين وإخراجهم من قيمهم ومزاجهم "التفصيلي" ولإثارة اليأس في نفوسهم وتشكيكهم في مقدراتهم وتشويه معالم فكرهم وأديهم، وما تزال هذه الحملات مستمرة لم يتوقف ، بصورها المتعددة ومصادر الكثرة ، وهي

تدور حول جزئيات منفصلة، من هنا ومن هناك، ترتفع وتخفض، تغير أوضاعها بين حين وآخر، وتلون أساليبها. دون أن تغير أهدافها وغايتها الكبرى وذلك في محاولة للتأثير على النفس العربية الإسلامية وإفساد ثقتها بقيمتها ودفعها إلى طريق اليأس والشك والنظر بعين الانتقاص إلى مقوماتها التي هي مصدر قوتها، والتي هي الطريق الوحيد الذي يجب عليها أن تسلكه في سبيل دحر عدوها، ورد عدوانه في مختلف مجالات الفكر والسياسة والحرب، ومن الحق أن يقال أن المنطلق الوحيد للقوة والنصر والحرية، هو تصحيح المفاهيم وتحريرها من الزبوف والشبهات والتماس المنابع الأولى والمصادر الأصلية وهذه نفسها هي القوى التي اتخذها المسلمون والعرب كلها لإدخمت أمامهم الأحداث ووقعوا في الأزمات والأخطار.

ومن أبرز التجوطات ضد الشبهات والأخطاء العمل على تصنيف الكتاب، وأخطر الكتاب هم أصحاب الولاء الأجنبي، هؤلاء الذين لا يؤمنون بقيمتنا ولا بأمنا والذين يكشفون أنفسهم دائماً عند ما يعادون التراث والقيم والدين وحيث لا يحرثون على مهاجمة القيم العربية الإسلامية صراحة فإنهم يتحدثون عن العقل والنقل، والسلفية والتراث والماضى والقديم، وينسون أنهم بذلك يكشفون دخيلتهم فهم يقصدون الإسلام ويعجزون عن إعلان اسمه، ولعلمهم يعلمون جيداً أن هناك فوارق بعيدة بين حملة الغرب على الدين باسم القديم والتراث وبين موقفنا من الإسلام الذي ليس رافياً ولكنه قيمية متجددة نابضة بالقوة، تختلف إختلافاً كبيراً عن الأساطير التي يريدون تهديدها. ونظريات الإباحة والمادية والوثنية التي يروجون لها.

ولقد عرضنا في هذا البحث أبرز هذه الشبهات وأقربها إلى المثقف العربي في المجال العام على نحو مختصر موجز يمكن من النظرة الخاطفة للإحاطة بالمریمة.

ولا ريب أن الباحث المتطلع إلى التوسع في البحث والإفاح في تقصي عناصره وأبعاده يحتاج إلى مصادر تفصيلية في كل مادة من المواد الموجزة وقد أشرنا هنالك إلى بعض المراجع لمن أراد الاستقصاء والاستزادة.

وان كنا قد تناولنا هذه الموضوعات جميعاً في مؤلفاتنا وخاصة في هذه الدراسات :

( ١ ) القيم الأساسية للفكر الاسلامي والثقافة العربية .

( ٢ ) أصول الثقافة العربية .

( ٣ ) خصائص الادب العربي .

( ٤ ) العروبة والاسلام .

( ٥ ) الاسلام وحركة التاريخ .

كما يستطيع الباحث على وجه الاجمال أن يجد جذور هذه النظريات في كتابات  
فريد وجدي ومحب الدين الخطيب والدكتور محمد الهسي ومالك بن نبي  
والدكتور محمد محمد حسين ومحمد أحمد الغمراوي وعمر فروح وعلى سامي  
النشار ومحمد المبارك ودكتورة بنت الشاطئ وكثيرون غيرهم .

هذا وبالله التوفيق ؟



## الباب الأول

### في المناهج والعلوم

- ١ - الثقافة
- ٢ - الدين
- ٣ - التوحيد
- ٤ - الأخلاق
- ٥ - التربية
- ٦ - التصوف
- ٧ - القراءات
- ٨ - الفلسفة



## الثقافة

« الثقافة » كلمة مستحدثة في فكرنا الاسلامي العربي الحديث وهي مشتقة من مادة ( ثقف ) القرآنية ( وأن أي إبداع بأن واحداً من الكتاب قد تمثلها من خارج اللغة العربية هو وهم باطل ) وهي في أبرز مفاهيمها « الفكر القومي للامم » وتقوم القومية على اللغة والوطن والعنصر ، ويمكن القول تفسيراً لهذا : أن الفكر الاسلامي يمثل العالم الاسلامي كله ولكنه ينقسم الى ثقافات عربية وفارسية وهندية وتركية وأندونيسية وهكذا . فهذه الثقافات «نبثقة أساساً من الفكر الاسلامي ولكنها مرتبطة أيضاً باللغات والامم والاجناس والاطان فلها اصول عامة مشتركة تتصل بالاسلام ولها طوابع خاصة قومية تتصل بالامم ، هذا من ناحية ومن ناحية أخرى أن الثقافة العربية مثلاً تختلف عن الثقافة الغربية في أن مقوماتها ليست واحدة فكل مقوماته يستمد من عناصر أساسية مختلفة ، فالثقافة العربية تستمد كيانها من الاسلام واللغة العربية والعروبة بقرتها ، بينما نجد الثقافة الغربية ( أيا كان نوعها فرنسية أم المانية أم أمريكية ) إنما تستمد مصادرها من الفكر اليوناني والقانون الروماني والمسيحية واللغة اللاتينية وهكذا يبدو الفارق واضحا في مصادر الثقافة ومن هنا فإن القول بوحدة الثقافة العالمية قول يحتوي على قدر كبير من الخطأ والخطر فالثقافات لا تنصهر ولا تذوب في وحدة واحدة ولكنها تتلاق وتعارف وتفتح فيأخذ كل من الآخر ما يزيده قوة « أو يرفض ما يضاد وجوده أو كيانه أو ذنيتة .

وهناك إرتباطات وإختلافات بين ( الثقافة والعلم ) وبين الثقافة والمعرفة وبين الثقافة والتعليم وبين الثقافة والحضارة .

( بين الثقافة والعلم ) : العلم عالمي بطبيعته يلتقى مع كل مجتمع ، ولكن الثقافة قومية ووطنية ويمكن تلقيح الثقافة بالعلم دون أن تفقد ذاتيتها ، والعلم يرمى الى تنمية الملكت وهو في نهاية المطاف وسيلة واداة وقد يستعمل للخير كما يستعمل للشر على السواء .

( بين الثقافة والمعرفة ) : المعرفة هي المعلومات العامة المنوعة المختلفة المتعارف عليها في كل الثقافات ، أما الثقافة فليست معارف فقط ولكنها موقف وإتجاه

وعواطف وعادات في الحياة وعمارسة، أما المعارف فهي المادة الخام للثقافة .

( الثقافة والتعليم ) : الثقافة هي الدرجة الاعلى من التعليم ، فالتعليم قاصر على الاعداد الدراسي لتكوين العقلية المؤهلة للثقافة . أما الثقافة فهي الدرجة الاعلى التي تكون الفرد تكويناً يجعله ممتازاً .

( الثقافة والحضارة ) : وهناك علاقة بين الثقافة والحضارة . فالثقافة في كل أمة هي مقدمة الحضارة مرتبطة بها في فكرها وفي محيطها ، ولكنها بالنسبة للأمم الاخرى ليست مرتبطة ومن حق الأمم أن تقتبس الحضارة لأنها عالمية ولا تقتبس الثقافة لأنها قومية .

الحضارة ملك للإنسانية كلها ، وهي نتاج الحضارات البشرية المتعددة ، كل منها تم حافة وتسلبها الى الاخرى وللأسلمين والعرب دور هام في بنائها وانماها أي دور ، فقد قدمت المذهب العلمى التجريبي الذى قامت عليه النهضة العلمية .

أما الثقافة الغربية المرتبطة بالحضارة فإن الأمم الخائرة أن تقف منها موقفاً مختلفاً ، وأن تنظر اليها في ضوء قيمها ومفاهيمها ، ومن حقها أن تنقل الماديات ( أى الحضارة ) ولا تنقل المعنويات ( أى الثقافة والمذاهب الاجتماعية ) فان لكل أمة مقوماتها وقيمها الاساسية الى لا تنخل عنها ولها أيضاً مفاهيمها للقيم الإنسانية العامة بما يختلف مع الأمم الاخرى .

وهذا المفهوم أمر مقرر بين جميع الباحثين والمفكرين والعلماء والمصلحين لاسمبل الى نقضه أو معارضته ، وكل الدعوات التي تقول بأن على الأمم أن تقبل الثقافة والحضارة معا ، هي دعوات مضللة هدامة يقف من ورائها الاسعمار والتهريب والتبشير وتستهدف تحطيم معنويات الأمم وتدمير مقوماتها والقضاء على شخصياتها وهدم ذاتياتها واسلامها الى أن تذوب في بوتقة الامية والعالمية فتفقد وجودها وتصبح غير قادرة على مقاومة الغزو الاستعماري .



## الدين

الدين في مفهومه العام هو الهلة الاكيدة بين الانسان والخالق الاعظم ، ايماناً من الانسان بوحدانية الله الخالق وإقراراً له بالعبردية .

والاديان السماوية كلها ترتبط بمفهوم واحد ، لانها من مصدر واحد ، والاسلام هو خاتمها ، وفيه جماعها وجوهرها الصادق .

وقوام ( الدين ) في الاسلام النوحيد وسيادة الانسان تحت حكم الله ، والتقاء القيم الروحية مع القيم المادية ، وترباط القلب والعقل والدنيا والاخرة ، فالدين واحد على لسان جميع الانبياء والرسل ، والاديان عقيدة وعمل ، ومعرفة وطاعة ، ولقد قامت البشرية على أصل راسخ من غريزة الدين ، بحسبان أن العالم بمجموعة متناسقة تقودها قوة مدبرة حكيمة عادلة . وقد وافق ( الدين ) الجماعة البشرية منذ نشأتها ، ولم تخل جماعة بشرية من دين يلائم طباعها ويوافق بيئتها ، فهو ظاهرة اجتماعية ضرورة وحاجة روحية وعقلية ولقد تغير هذا المفهوم بالنسبة لاديان مختلفة ، ولكنه ظل هو مفهوم الدين في الاسلام وقد عمدت أوروبا في الوصول الى نظرية عن مفهوم الدين تصفه بأنه ( لاهوت ) يصور العلاقة بين الله والانسان ، وبذلك تنكر العلاقة بين الدين والمجتمع ، ومن هنا وقع الخلاف بين الفكر الاسلامي والفكر الغربي من أجل هذا الخلاف الجوهرى . حيث قام الاسلام على الترباط بين الدين والمجتمع معا بينما رأت أوروبا أن الدين ليس الا علاقة بين الانسان والله والفت علاقة الدين بالمجتمع .

وقد ظهرت نظريات مختلفة تنكر الدين جملة وتدهوالى ( الوجود المادى الخالص ) وعلت أصوات تقول بأنه لا يوجد خالق ، وحاول كثير القول بأن البشرية تستطيع أن تعيش بغير دين

• • • • •

وطبيعة الاسلام تنافى وجود الانفصال بين أمور الدين والدنيا ، والاسلام بطبيعته دين جماهى لادين عبادى محض .

وليس في الاسلام هيئة كهنوتية ، ذات سلطة فعلية ، يخشى من سيطرتها على الحكم

ولم يكن لعلماء الاسلام اى نفوذ سياسى ما ، أو سيطرة على الحكم ، والاسلام حركة اجتماعية شاملة ، والدين جانب من جرائها ، فقد جاء الاسلام عقيدة وعبادة وإصلاحاً اجتماعياً ، وليس الاسلام دين محتكر فى يد طائفة تتحكم فى أصوله وفروعه كما نشاء ، وإنما هو دين إصلاح عام لسائر الاديان ، شرعة الله عندما تبدلت الاديان تصحيحاً لها وخاتماً .

.....

والفكر الاسلامى فكر شامل والدين جزء منه لا ينفصل ، وقد كانت صيحة التفریب هى صاحبة دعوى التفرقة بين الدينى والدينى ، والقول بأن هناك علومادينية وأخرى دينوية ، فأخذوا يطلقون كلمة (دينى) على كل ما يتصل بالاسلام وهو إطلاق غير صحيح ، ذلك أن كل شىء من الفكر والحياة فى مفهوم الاسلام متصل به ولا سبيل لانفصاله ومن هذا التحريف الخطير الذى حارله التفریب محاولة فى الفصل بين السياسة والاخلاق وبين الاجتماع والاخلاق وهدف المحاولة فصل الاسلام عن المجتمع وفصل الاخلاق عن الدين والسياسة ولاشك أن وصف الفكر الاسلامى ( بالفكر الدينى ) خطأ محض ، فإن الاسلام ليس ديناً بمفهوم ( اللاهوت الغربى ) ولكنه دين عالمى لإنسانى جامع .

ويخطئ الغربيون فى دراسة الاسلام قصداً أو نقصاً فى الفهم حين يقدرّون أنه ( دين فقط ) محاولين المقارنات بينه وبين أديانهم ؛ ذلك أن الاسلام حركة اجتماعية ومنهج حياة والدين جانب من جوانبه فقد جاء الاسلام عقيدة وعبادة وإصلاحاً اجتماعياً ، والاسلام ليس دين العرب وحدهم ولكنه دين الانسانية جميعاً .

والمسلمون يعتقدون أن جميع الديانات السماوية جزءاً من تراثهم الفكرى بل جزءاً من التراث الاجتماعى للبشرية جميعاً .

وليس من شك أن الرابطة بين الدين وبين مقومات المجتمع الاسلامى والفكر الاسلامى هى رابطة عضوية ، فالدين هو أول ركائز الاجتماع والثقافة ، ومن هنا يتأكد باطل ما يقوله الغربيون من أن سبب انحطاط الشرق هو تركه روح الدين .

ويرى ابن خلدون أن العرب لا يحصل لهم الملك الا بصيغة دينية

والاسلام يكرم السيد المسيح ويعترف بالاديان المنزلة لانها من أصل واحد، وقد كانت علاقة الاسلام بالحضارات والتمدنات مخالفة للعلاقة بين الغرب والمسيحية والتمهنة الاوربية يقول العلامة مسر : أن تقدم العلوم في الغرب حصل رغما عن الدين المسيحي ؛ أما الاسلام فهو لا يبق على قيد الحياة الا بانتشار العلوم وتقدمها ، فإن بين الاسلام والعلوم رابطة كلية وان الغرب اذا صار عالما يترك دينه بخلاف المسلم فإنه لا يترك دينه الا اذا صار جاهلا ، وقال أنه لا يمكن نسبة التمدن الحالي الى الدين النصراني ، لانه ما جاء الا بعد خمسة عشر قرنا من ظهوره ولا يمكن نسبة الانحطاط الى الاسلام لانه جاء بعد انحراف المسلمين عنه ويقول : لم تتقدم أوربا فكرياً وثقافة وعلماء واقتصاداً الا بعد أن ثارت على سلطان الكنيسة ونحورت تحرراً تاماً .

ومن هنا يبدو الخلاف واضحاً بين علاقة الدين المسيحي بالغرب وعلاقة الاسلام بالحضارة التي أقامها العرب والمسلمون . . .

## التوحيد

إذا قيل أن لكل دين طابعا فإن طابع الإسلام هو : « التوحيد » فهو لبابه ومنهجه وقوامه والقائم المشترك على قيمه المختلفة ، والعامل الاساسى الذى يفصل بين الإسلام وبين عديد من المذاهب والفلسفات والعقائد ، التى تقوم على أساس الوثنية ، أو الألحاد ، أو تعدد الآله ، أو إنكار الله الحق .

« والتوحيد » هو دين الله الحق المنزّل على جميع الأنبياء والرسل ، والذى بدأت به البشرية مسيرتها منذ ( آدم ) أن الأنبياء والبشر جميعاً ، وهو الدعوة الحق التى حملها جميع الأنبياء الى أممهم حتى انتهت الى صورتها النهائية التى يشهدها الإسلام عاتم الديانات والرسالات الى العالمين جميعاً ولقد حاول كثير من الفلاسفة وأصحاب المذاهب والدراسات الادعاء بأن البشرية كانت وثنية ثم إهدت الى التوحيد من بعد ، غير أن هذه النظرية ظهر بطلانها باكثر من دليل من دلائل العلوم والحفريات والبحث العلمى الحالى . فالحقيقة التى لا شك فيها أن الناس كانوا أمة واحدة ، وكانوا على التوحيد جميعاً ثم ضلوا وعبدوا عدداً من الآلهة وتحولوا بعد التوحيد الى الوثنية ولقد كان التوحيد رسالة السماء الى الناس كافة منذ خلق الانسان الى اليوم وكان الناس على التوحيد اسماً ثم تحولوا تحت تأثير أخطاء وانحرافات عن التسلك بالحق ، وجرى هذا حين اتخذ الناس الصور والرموز لتذكركم بالاله الواحد ، ثم لم يلبثوا مع الزمن أن تحولت هذه الصور الى أصنام وأوثان . وتحولوا هم الى عبادة هذه الأصنام أو عبادته أبطالهم ورؤسائهم ومن ثم تعددت والاله فكانت الأديان فى مولاتها وتجاهلها بعددين ترد الناس عن هذا الخطأ والانحراف ، ثم لا يلبث الناس حتى يعودوا الوقوع مره أخرى فى الخطأ . ولقد كانت الأديان فى جوهرها دعوة الى الله : اله الواحد الذى لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد . الى هدم الأصنام ونبت فكرة الشرك ، ودحض الوثنية .

ولقد واجهت البشرية لانحرافاً خطيراً فى الفترة السابقة لظهور الإسلام ، حيث ظهرت الوثنية اليونانية الفلسفية التى قامت على مفاهيم خطيرة أساسها : الإباحة والتعدد . قد نبتت هذه المفاهيم نتيجة لتقديس الافراد ثم تحولت الى

(عبادة الابطال) ولتخاذهم آله وأنصاف آله ، ثم أصبح لكل ظاهرة من الظواهر الكونية والاجتماعية إله : فآله الخمر وآله الحصاد وآله الحب ثم كانت وثنية فارس التي أقامت آله النور وآله الظلام . وكانت الوثنية العربية أقل هذه الوثنيات إنحرافاً ولمضطرباً وفلسفة ، فقد اعتمدت على عبادة الاصنام والاولئان لتقربهم الى الله تعالى .

وكانت الجزيرة العربية قد عرفت ( التوحيد ) منذ دعوة ابراهيم عليه السلام وبناء الكعبة ، غير أن الامم التي هاجرت كانت تحصل معها أحجاراً تذكراً لأرضها وبلادها ، ثم ما لبثت بعد قليل أن عبدت هذه الاحجار ، ولكنها كانت في مجموعها وثنية ساذجة على أى حال لم تقم لها فلسفة عميقة ، كفلسفة الوثنية اليونانية والفارسية التي هاجرت الى الحضارة الاوربية الحديثة وأصبحت جذراً من جذورها .

وقد أشار ( أرنست رينان ) الى هذا المعنى حين قال : إن العرب موحدون بطبعهم وأن دياناتهم هي ديانات التوحيد ، ولقد كانت الاديان السماوية جميعاً على التوحيد ، فانحرف بعضها ودخلها من فلسفات اليونان والهنود والفرس ماحولها عن طبيعتها .

ومن هنا كانت دعوة الاملام الحارة المتجددة الى إنكار الرموز أو تقديس للموتى أو عبادة الابطال والمعلماء أو إقامة القبور الضخمة أو التماثيل أو غيرها من الدواهي التي انحرفت بالبشرية من قبل عن التوحيد وذلك حرصاً على بقاء المفهوم الاصيل الذي نزل به القرآن .

ولقد كان التوحيد ولا يزال فيضلاً ضيقاً وخطيراً بين الإسلام وبين مفاهيم الفلسفات والمذاهب والاديان المختلفة ، على نحو يحرم النفس الانسانية من كل وثنية وعبودية .

## الاخلاق

يشكل الاسلام منهجاً إنسانياً كاملاً للفرد والجماعة قوامه : د العقيدة والشريعة والاخلاق، والاخلاق في مفهوم الاسلام قاسم مشترك على مختلف القيم الاجتماعية والسياسية والاقتصادية والتربوية .

ومفهوم (الاخلاق) في الفكر الإسلامى يختلف إختلافاً واضحاً وجذرياً عن مفهومه في الأديان والفلسفات الأخرى فهو يقوم على هذا النحو المترابط المتكامل الشامل .

وهدف الاخلاق في مفهوم الاسلام هو : التقوى : وتتمثل التقوى فيه عملاً وسلوكاً ولا تقف عند الناحية النظرية وحدها، والاخلاق الإسلامية أخلاق تقوى بكل ما تحمّل التقوى من معانٍ سلبية وإيجابية، بتجنب المحرام والاقبال على الجلال وتعنى التقوى الوقاية ومدافعة الخطر واليقظة الدائمة للمحافظة على الأصول ومنها من الانحراف ، وآيات القرآن في منهج الاخلاق تحت على الاثيار دون الأثرة ، وتجعل الفرد في خدمة المجتمع فإذا تعارضت مصلحته مع مصلحة المجتمع ضحى الفرد مصلحته في سبيل المجتمع — الاثيار والتقوى هما لمة الاخلاق الإسلامية وسداها على قول القائل : تقوى الله مدار كل فضيلة ،

ومن هنا يخطئ الذين يعتبرون (الاخلاق) في الفكر الإسلامى امتداداً للاخلاق في الفكر والفلسفات السابقة له أو للفكر اليونانى خاصة . وما كتبه ابن مسكويه في كتابه ( تهذيب الاخلاق ) وما أخذه ( ابن سينا ) إنما هذا كله من مفاهيم الافریق الى تختلف إختلافاً واضحاً مع مفهوم الاسلام للاخلاق . وكذلك ما كتبه ابن المقفع وحاجى خليفه من مفاهيم الفرس قبل الاسلام عن الاخلاق ويتصل بهذا : كتاب الاخلاق الذى ألفه أرسطو . وكل ما جمعه اخوان الصفا وغيرهم لا يمثل مفهوم الاسلام في الاخلاق تمثيلاً صحيحاً .

وقد نشأ مفهوم الاخلاق في الاسلام نشأة متميزة عالصة حولت مفاهيم العرب للقيم الاخلاقية عن انحرافها الوثنى ورددتها الى الوجهة الصحيحة الصادقة الخالصة لله وحده .



وقد أخطأ المستشرقون الذين القوا في الأخلاق وعجزوا عن فهم هذه الفروق الواضحة بين الأخلاق الإسلامية والأخلاق اليونانية وغيرها ، ولذلك لم يوفقوا فيما ذهبوا اليه وفي مقدمتهم ( دونالدسون ) صاحب كتاب ( دراسات في الأخلاق الإسلامية ) وقد إنتقده الدكتور أحمد فؤاد الأهواني وكشف عن هذا النقص في نظريته الى مفهوم الأخلاق في الإسلام ، ويقول الدكتور الأهواني في هذا :

« ظهرت في تاريخ الحضارة الإسلامية كتب تبحث عن الأخلاق على الطريقة اليونانية ولكنها لم تؤثر في حياة المسلمين إذ حجها كتاب الله ، ولم تستطع أن تبلغ الى مقامه ، ومنها كتاب ابن مسكويه المسمى ( تهذيب الأخلاق ) فإنه يناقش الأخلاق الموروثة عن اليونانيين وعن أفلاطون وعن أرسطو بخاصة وعن مدرسة الاسكندرية .

ويقول إن الأساس الذي تعتمد عليه الأخلاق الأفلاطونية يختلف عن أساس الأخلاق الإسلامية وقد ظل هذا الكتاب بعيداً عن الشعبية والتداول ، ولم تعرفه الا طائفة قليلة من المثقفين الذين كانوا يقرؤونه للذة العلمية فقط . ومن الطبيعي أن يحفل به جماعة المستشرقين ، ويقول : « أن الأخلاق الإسلامية ليست أخلاق سعادته وهي لغة اليونان ولكنها أخلاق تقوى لأنها أخلاق دينية ،

وأشار الدكتور الأهواني رحمه الله الى ما كتبه الغزالي عن الأخلاق فقال : أنه كتب في ( ميزان العمل ) على الطريقة اليونانية ، وكتب مرة أخرى عن الأخلاق في كتاب ( إحياء علوم الدين ) ونحافته نحو الزهد والتصوف وهو الطريق الذي إختاره الغزالي « وهذا النوع من الأخلاق لا يمثل الاتجاه العام للأخلاق الإسلامية ذلك لأن الإسلام لم ينه عن الدنيا ولم يطالب الناس بالابتعاد عنها والزهد فيها ولم يحرم زينة الله . »

وجملة القول : ان الأخلاق الإسلامية المستمدة من الكتاب والسنة هي أخلاق إيجابية تقوم على رقابة الله وتقواه في مختلف التصرفات وتدخل كعنصر أساسي في المجتمع والاقتصاد والسياسة والتربية ولا تفصل عنها وتستمد كيانهما من التوحيد أساساً فلا تنعزل عن الإسلام بل ترتبط به وهي أخلاق تقوى إجتماعية تحمل طابع الاثبات والتضحية بمصلحة الفرد لمصلحة المجتمع ، وهي أخلاق قوة وعمل مع المحافظة على رقابة الله واعلا الخير والبر والوفاء .

## التربية

في مفاهيم الفكر الإسلامي يأخذ اصطلاح ( التربية ) مفهوماً غالياً ومنفصلاً من مفهوم ( التعليم ) وفي رأى الكثير من الباحثين : أن التعليم هو إعطاء الذهن الإنسانى حاجته من أصول الأشياء ومفاهيم العلوم ، وتنمية القوى العقلية والروحية وتدريبها على معرفة أساليب الفكر والثقافة ، أما مفهوم ( التربية ) فهو عنصره وجهه ومضى لطريق الحق والخير في اتجاهات التعليم والثقافة نفسها ، ذلك أن التعليم حين ينفصل عن التربية قد يؤدي إلى الخير أو يؤدي إلى الشر ، أما التربية فهي مؤثر الخير والحق فيه ، والضوء الأخضر له حتى يكون وسيلة لتحقيق التقدم للمجتمع ، ويكون في نفس الوقت خالصاً لله موجهها للخير الأمة والإنسانية جميعاً ، بعيداً عن أى انحراف .

فالتربية في مفهوم الإسلام : هي التي تسمى بمقاييس الفرد في الحياة وتعمل من أهدافه وتقربه إلى الخير وتبعده عن الشر ، وهي التي توجه إلى تقوية الشخصية وغرس روح المسؤولية والشعور بالواجب والاخلاص في العمل والحياة .

وهي في جوهرها : تهذيب النفس وترقية الذوق ، وبناء القدوة الحسنة والمثل الأعلى من خلال البطولات والنماذج العظيمة التي يزرعها تاريخ الأمة وفكرها ومن خلال القدوة الحسنة في البيت والمدرسة والمجتمع .

والتربية في مفهوم الفكر الإسلامي العربي وسيلة لبناء الإنسان ، بوصفه فرداً وبوصفه جزءاً من المجتمع الذي يعيش فيه ، مع إعاده بالقدوة وبالكلية وبالعادة وبالمواقف المختلفة ولاحداث وهي تأخذ الفرد كبناء متكامل : قوامه الروح والعقل والجسم وتعقبه وفق فهم شامل أساسه الإيمان بالله والعمل في الأرض من أجل النماء والبناء والإنشاء . ويقوم منهج التربية الإسلامية على بناء الفرد في البيت قبل المدرسة وأول من يطلب منهم القيام بهذه الوظيفة هم الذين يباشرون الطفل منذ نشأته معايشة مستمرة . والذين يؤثرون فيه بأعمالهم وأقوالهم وسلوكهم .

يقول العلامة الزرقاني المربي الإسلامي : إن من الضروري قيام علاقة وطيدة بين البيت والمدرسة ، وأن التعليم يحتاج إلى ثلاثة عناصر : المتعلم والاستاذ والاب كما أكد علماء التربية الإسلامية ضرورة تلقى العلم من الاساتذة لامن الكتب

وحدها . وقد ربطت التربية الإسلامية بين التعليم والتربية على أساس أن العلم وحده لا يكفي مالم تصحبه تربية الذوق والعقل والروح ، والعلم في مفهوم الفكر الإسلامي هو العلم والعمل . وقوام التربية الإسلامية أساسا : « الأخلاق » .

ولذلك فإن الفكر العربي الإسلامي لا يقر مفاهيم الفكر الغربي التي تفصل بين التعليم والتربية أو التي تفصل بين التربية والأخلاق .

وفي مفهوم الإسلام : أن العلم لابد أن تحميه وتظايره قيمة أخلاقية واضحة حتى لا ينحرف أو يفسد أو يتجه وجهة ضارة بالمجتمع الانساني .

ويعارض الفكر العربي الإسلامي نظرية « ديوى » في التربية معارضة صريحة وهي نظرية وجدت معارضة ونقد في بينتها الأساسية التي أعلنت فيها ، كإرفض مفاهيم ( فرويد ودوركايم ) في الإباحة والتحلل ورفع التوجيه عن الشباب في مرحلة التربية والتعليم وذلك إيماناً من الفكر الإسلامي بأن الشباب في هذه المرحلة في حاجة إلى البناء والتكوين والتوجيه الذي لا يتم إلا من خلال الانتماء بتجربة المرشدين والمعلمين ، الذين يجد فيهم الشباب القدوة ويمجد عندهم الخبرة الطويلة . وليس في توجيه الشباب في الإسلام ما يحول دون استقلالهم الذاتي أو دون إتاحة الفرصة لهم ليأخذوا مناهج جديدة تتفق مع أجيالهم وأذواقهم فذلك كله يترف به منهج التربية الإسلامية ويقره ويعمل على إيجاده إن لم يكن موجوداً .

ولكن الخطر كل الخطر هو في المناهضة للامم المختلفة في مناهجها الفكرية والثقافية والتربوية مع إختلاف العصور والبيئات والأديان فهذا هو من أخطر ما يحتاج إلى التنبيه إليه ( ١ ) .

## التصوف

التصوف في مفهوم الفكر الاسلامي « بدعة ، حسنة » تهدف الى إنشاء دائرة من دوائر تربية النفس والحلق من خلال التماس مفهوم الاستغناء عن المطامع والغايات الفردية والانانية ، والعمل من أجل الإنصراف عن الأهواء .

وقد استمد المتصوفة المسلمون مفاهيمهم من صور الزهد الذي عرف بها رسول الله وصحابته ، ثم توسعوا في ذلك وكان لتحديات الحضارة والثراء والترف أثرها في تعميق هذا الاتجاه وبرزه كعامل توازن طبيعي لإزاء الانحراف الاجتماعي الذي أصاب المجتمعات الاسلامية بعد انصرافها عن طوابع العصر الأول ومفاهيمه .

غير أن التصوف في الاسلام لم يلبث أن اتصل بالفلسفة اليونانية ومفاهيم التصوف الهندي ونتاج الوثنية الفارسية والهلينية ، فاصابه اضطراب كبير ، ودخلت اليه مفاهيم كثيرة ليست من مفاهيم الاسلام أصلاً ، وبذا انحرف انحرافاً خطيراً عن أصول الفكر الاسلامي وطوابعه الأصلية ، اضطرب معه مفهوم التوحيد ، الذي هو أعلى قيم الإسلام نفسه وخاصة حين دخل الى التصوف مفاهيم غريبة عنه ممارسة لاصوله : تلك هي مفاهيم « مهمة الوجود والحلول » .

ومذا القطاع من التصوف الفلسفي لا يعد إسلامياً ، ولكنه يعد دخيلاً ومنحرفاً ونجب التفرقة بينه وبين طابع التصوف المستمد من الاسلام أصلاً ومن حياة الرسول وصحابته ، على ذلك النحو البسيط اليسير من الزهد ، القائم على أصول الشريعة .

ولقد عني أعلام الصوفية الأول بأن يؤكدوا ارتباطهم بالقرآن والسنة ، وأعلنوا أنهم يتحركون من دائرة الشريعة الاسلامية والعقائد والاخلاق الاسلامية وقالوا في ذلك : أن أي إرتقاء في مجال التصوف لا يصرف صاحبه عن أداء فرائض الاسلام كاملاً ، وأن تطبيق حياة الرسول وتصرفاته هي المصدر الأول وأنه لا عبوه أبداً بما يقال من رفع التكليف عن بعض الذين وصلوا الى درجات معينة في العبادة أو الكشف وأن مثل هذا القول مناقض تماماً لمفاهيم الاسلام .

ويرى الباحثون أن هناك فارقاً كبيراً بين التصوف والفلسفة . أو بين الصوفي

والفيلسوف : ذلك أن الصوفى إنما يعتمد فى منهج المعرفة وعلى أسلوب العقل ومقاييس المنطق ، وبينما يعتمد ( العلم ) على أسلوب التجربة ونتائج الانايق وتركيبات المواد .

وفى الفكر الاسلامى يقوم ومنهج المعرفة ، على هذه الاصول الثلاثة مجتمعة فلا يفصل بينها ولا يعلى أحدها ، وفى تاريخ الفكر الاسلامى محاولتان إحداهما : إعلاء العقل عند المعتزلة والاخرى إعلاء لوجدان عند الصوفية وفى الغرب محاولة جديدة هى إعلاء العلم والعقل والتجربة على الوجدان والبصيرة .

وكل هذه التجارب لا تمثل المعرفة ، فى أصلها الجامع الشامل الحقيقى القائم على ترابط العقل والوجدان ، والتجربة والغيب ، والعلم والوحى .

ومن هنا فقد كان استعلاء التصوف فى المرحلة السابقة لتيمة الفكرية العربية الاسلامية الحديثة عاملاً هاماً وخطيراً فيما أصاب المسلمين والفكر الاسلامى من اضطراب وتأخر وضعف وحجود ، فقد برزت ظاهرة « الجبرية » التى أصابت المسلمين بالانصراف عن الانشاء والعمل ، وكانت نتائجها الخطيرة فيما أصاب المسلمون من سيطرة النفوذ الاستعمارى الغربى .

غير أنه إذا ذكر ذلك فلا بد أن يذكر : أن التصوف قد فتح للاسلام آفاقاً واسعة فى عديد من الاقطار ، وضم الى المسلمين « عدداً كبيراً من الوثنيين فى جنوب شرق آسيا وإفريقيا ، وإن الطرق الصوفية التى كانت تحمل مفاهيم التوحيد والايان والخلق الاسلامى قد جذبت الى صفوف الإسلام الكثيرين ، الذين آمنوا بالله وحده ، وأصبحوا فى حاجة الى عمل كبير من أجل تنقية إسلامهم من طوابع الوثنيات القديمة وتحرير فكرهم حتى يصبح إسلامياً توحيداً خالصاً .

## التراث

كان من أبرز أهداف عظماء الاستعمار والتغريب : الحملة على التراث الإسلامى والعربى وإثارة الشبهات حوله ورمية بالانتقاص ، بهدف واضح معروف هو العمل على قطع حاضر هذه الأمة عن ماضيها ويقول أصحاب الدعوى إن سبيل النهضة هو تجاهل هذا الماضى الذى ذهب ومات ، والذى يوصف بأفياؤه قد يفوق الحركة . وهذا الحملة الشعوية التغريبية يتركز فى محاولة الفصل بين الماضى والحاضر فى مجال الثقافة العربية المستمدة من الفكر الإسلامى والى لاسبيل لها أن تنفصل عن جذورها التى تشكل مظاهرها وقيمها الاساسية .

وحين يثير دعاة التبشير والتغريب والاستشراق هذه الدعوى إنما يتعارضون ومع أنفسهم ومع واقع التاريخ نفسه ومع منطق النهضة الغربية الأوروبية التى استمدت وجودها أساساً من الاتصال بالتراث الملى والفكر الأفريقى والأدب اليونانى والرومانى قديماً بعد أن انفصلت عنه أكثر من ألف عام ، وقد أكدت جميع مصادر الفكر والأدب والتاريخ ، أن النهضة الأوروبية فى مجال الفن والأدب والحضارة إنما إرتبط وجودها بهذا الماضى واعتبرته أصلاً من أصولها وأساساً للبناء ولم تعتد بأى مظهر من مظاهر الفكر إذا قام منفصلاً عن هذه القاعدة المستمدة من التراث ، هذا هو الموقف بالنسبة للفكر الغربى مع تراث قديم بائد ، مضى وانقضى وتم الانفصال عنه أكثر من الف عام فى لغة ميتة متحفية هى اللغة اللاتينية التى لم ينبعث عنها لغات جديدة عصرية ، فكيف بتراث ما زال متصلاً لم ينفصل ماضيه عن حاضره لحظة ، وعن طريق نفس اللغة التى يستطيع القارئ العربى فى القرن العشرين أن يقرأ ما كتب بها قبل أربعة عشر قرناً ويتذوقه ويفهمه ، حيث لا يوجد مثيل لذلك فى الفكر الغربى كله ، ولكن هى الدعوة التغريبية الهادفة الى عزل المسلمين والحرب عن ماضيهم وتراثهم ومقوماتهم تقود هذه الحملة الضارية على التراث وتحاول أن تصوّره بصورة التأخر والتخلف ، وترميه بأنماط متعددة من قصور وممارض واضطراب فى محاولة لهدمه وخلق الكراهية والاحتقار له فى نفوس الاجيال الجديدة .

وقد عرف الفكر الغربى قيمة التراث وحقيقته حتى ليقول « بسكال » :

( كل لسل لابد أن يستفيد أولاً من الفكر الذى تركه من سبقوه ثم يزيده أن كان عنده إستعداد لذلك ، ولا تستطيع أمة ما أن تحيد عن هذا القانون ) ، ويقول جاك برك : ( إن مستقبل العرب يتمثل فى احياء الماضى لأن المستقبل هو فى كثير من الحالات: الماضى الحى أو الماضى الذى وقع لإحيائه وعيشه من جديد )

ويجمع الباحثون المنصفون على أنه لم تقم نهضة جادة فى أمة ما، الا سبقها دعوة لاستحياء لماضى والإنتفاع به والبناء عليه ، خاصة إذا كان ذلك التراث على مثل عظمة التراث الإسلامى إستعداداً من القرآن الكريم والإسلام .

ويقول سيمون رايل فى مقاله ( الحاجة الى الجذور ) : إن تراث الماضى فى عقل الحاضر مسئولية قدسية فاذا إنهدم الماضى فان عودته ضرب من المحال ، وأن أعظم الجرائم قسوة أن يهدم الناس ماورثوه عن أسلافهم من تراث فما علينا الا أن نجعل همنا الأكبر الإحتفاظ بالذى تبقى لنا من تراث الماضى ، هذه الجذور ليست نزعة عاطفية معناها الرجعية والجود ، وإنما هى غريزة روحية تكمن فى نفوسنا جميعاً ، وقد أشار الى أهمية التراث فلاسفة ومصلحون وقادة كثيرون ، وهم يرون أنه لا تعارض مطلقاً بين الاتجاه الى المستقبل والمحافظة على التراث بل أن التركيز على التراث كفاعدة إنما يجعل النظرة الى المستقبل أكثر قوة ووضوحاً يقول ( نهرو ) : إن علينا أن نتطلع إلى المستقبل وأن نعمل له جاهدين وأن نحفظ فى الوقت نفسه بترائنا الماضى ماثلاً أمامنا لكي تستمد منه القوة والعزيمة وخير مستقبل هو ما كان قائماً على الحاضر والماضى على السواء ، أما أن نتنكر للماضى أو ننزع أنفسنا منه فعناه إقتلاع أنفسنا من تربتنا فنخرج منها وقد يبس عودنا وجف ما فيه من عصارة الحياة الحقة ، .

وقد وجدت هذه الصيغة التخريجية معارضة متينة وتنفها بهدف الضار وبأنها تقصد إلى غير مصلحة العرب والمسلمين ، كأتا كذا كثير من المستشرقين ذلك حتى أشار ( هاملتون جب ) الى أنه ليس فى وسع العرب أن يتحرروا من ماضيهم الحافل كما تجرد الأتراك ، وسيظل الإسلام أم صفحة فى هذا السجل الحافل إلى درجة لا يمكن أن يغفل عنها الساعرن الى إنشاء مثل عربية عليا، وقدوجه كثير من المثقفين الدعوة الى العرب والمسلمين للاحتفاظ بترائهم الاصيل ، وقد أشار قسطنطين رزق الى أهمية التراث حيث قال : إن لهذا التراث العربى عنصر هام

من عناصر شخصيتنا ويميز من مميزاتها ودليل واضح على فاعليتنا الحضارية وفيه من الإنجازات والإبداعات ما هو خليق بالكشف والابانة لنا ولسوانا ، وما يجب أن يدفنا الى إستعادة كسبه وتمثل جوهره في حياتنا الحاضرة ، ويرد على أعداء التراث فيقول : ( الغريب أن هؤلاء الداعين الى نبذ التراث العربى أو إهماله إنما يرددون ذلك فى عصر نرى الامم النازعة الى حياة جديدة تعتمد الى تنافها القديمة فتحييها وتجعلها عنوان مجدها ، وقبة أمالها ، فى الوقت الذى تسمى كل أمة نشطة من أمم الشرق والغرب الى تقديس تقاليدها وتمجيد حضارتها لا يسع الأمة العربية الا أن تعمل على بعث تراثها القديم وروحها التى ولدت تمدنها التالى ، فكل من لا ماض له لا مستقبل له ، والآلة التى لا تعنى بروحها لا يمكنها أن تؤدى رسالتها فى التمدن البشرى )

ومن الحق أن يقال أن تراثنا يتصل بواقعنا وأنه فكر حى متجدد ومتحرك فى مجال الحياة والمجتمع ، لم يفصل ولم يتوقف ، وفضلا عن ذلك فهو ليس الا واحد من الاسس الرئيسية للحضارة العصرية والفكر البشرى اقامت اليوم فقد أعطاهما عديد من النظريات والافكار القديمة البناء فراءى بها ( المنهج العلمى التجريبي ) وهذه المذاهب الإجتماع والسياسة والإقتصاد والنفس والاخلاق والتربية .



# الفلسفة

لكي نفهم تيارات الفكر العالمي يجب أن نفرق تفرقة واضحة بين العلم والفلسفة ،  
هذه التفرقة واضحة دوماً في الفكر الإسلامي والثقافة العربية ، وقد عرفها  
الإمام الغزالي حين هاجم الفلسفة الإلهية الوثنية وكسرم الفلسفة العلمية في مجال  
الرياضيات والطبيعات ، لأن هذه الأخيرة قد أقيمت على منطق واضح محسوس  
لنعلقتها بموجودات واضحة بينما لم تقم الفلسفة الإلهية الوثنية على منطق وأن قامت  
على الوهم والإقتراض لبعدها عن المحسوس . نحن اليوم في حاجة إلى مثل هذه  
النظرة في التفريق بين العلم والفلسفة فالعلم هو ما يجري داخل المعامل ، أما الفلسفة  
فهي ما يقوله أصحاب الایدولوجيات ، العلم واقع قائم على حساب وتجربة ، أما الفلسفة  
فهي نظرية عقل نافذ ، قد تخطئ وقد تصيب ، لأنها قائمة أساساً على الفرضيات ،  
هناك فرق بين نظريات العلم في مجال الفلك أو الذرة أو غيرها وبين نظريات  
السيكولوجية الفرويدية والوجودية والماركسية والبراهنجازمية ، وغيرها من النظريات  
الفلسفية التي وضعها فليسوف مامن خلال تحديات عصره وبيئته وحياته الخاصة  
وتجربته وتفرضاته ، إن العلم حقائق أما الفلسفات فهي نظرات إصلاحية معرضة  
للخطأ والصواب ، صالحة لبيئة دون بيئة ، وعصر دون عصر ، أما العلم فهو ثرات  
إنساني مشترك بين سائر البشر يقوم على قواعد عامة ، أما الفلسفات فهي ليست  
كذلك ، إنها غير صالحة للاستيراد والتصدير ، فكل فكر فلاسفة ولكل أمة  
نظرياتها المنبثقة من قيمها الأساسية ودينها وتاريخها وتشكيكها النفسي وذاتها  
الخاصة وروحها ووجدانها ومزاجها . إنها تتعلق بالانظمة الاجتماعية والأخلاقية  
ومناهج الحكم والقضاء والملاقات الإنسانية وهي تنبع أساساً من تاريخ الأمة  
نفسها ، فللغرب تاريخه وقيمه وفلسفاته ، وللعرب والمسلمين فلسفاتهم ومفاهيمهم  
التي تترجم نظرهم إلى الحياة ولسلوبهم فيها وهي ليست دائماً قابلة للتصدير  
أو الاستمارة والنقل .

فالوجودية والماركسية والبراهنجازمية والسيكولوجية ليست علومها قوة المنهج  
التجريبي ، وإنما هي فلسفات لها إتصالها بالنفس الإنسانية والعقل والروح وكل  
قوى الانقاس بمقاييس المحسوس ومن هنا كانت الفلسفات وهي قائمة على النظر  
الخاصة المحدودة بحدود البيئة والزمن معرضة للخطأ ومعرضة للسقوط مع تنامي

الآزمنة والامكنة . أما العلوم فهي تراث إنساني مشترك بين سائر البشر يقوم على قواعد عامة تجريبية .

ومن هنا كان خطأ قول القائلين حين يتكلمون عن نظرية من نظريات علم النفس أو الإقتصاد أو الاجتماع ، العلم يقول ، ذلك أن كلمة ( العلم يقول ) إنما توحى الى السامعين أن ما يورد لهم هو حقائق معملية غير قابلة للنقض أو التغير بينما نظريات النفس والاجتماع والإقتصاد على عمومها هي وحيات نظر افلاسة وعلماء حاولوا أن يصلحوا مجتمعاتهم في ظروف عديدة ، ومن هنا فهي لانهاج للنقل أو التطبيق في بيئات أخرى لها ظروف تختلف وبيئات تتباين ، فضلاً عن أن هذه النظريات جميعاً قد استوحت الحضارة الغربية والبيئة الأوروبية وتحدياتها الخاصة بالتراث اليوناني والروماني والمسيحي ومن هنا فهي تختلف إختلافاً واضحاً عن البيئة العربية الإسلامية بأديانها وتحدياتها وتراثها الفكري ومزاجها النفسي وذاتياتها الخاصة . ومشاكلها المختلفة في النوع والدرجة والتشكل .

ولذلك فإن القول الحق هو أن الفلسفة وجهة نظر فلسفي صالح للنظر فيه للأخذ منه ما يتفق مع البيئات والثقافات ولرفض ما لا يصلح منه ولا عبرة بما يقال من أن الفكر عالمي فذلك قول يصدق بالنسبة للعلوم التجريبية وحدها ، أما الفلسفة الانسانية كالأخلاق والاجتماع والإقتصاد وغيرها فهي لا تخضع أبداً لقوانين العلم لأنها تتصل بالنفس الانسانية التي لا تخضع لقواعد المقررات المعملية المحدودة .

# الباب الثانى

## • الادب

( ٩ ) الادب العربى

( ١٠ ) الاباحة

( ١١ ) الادب المكشوف

( ١٢ ) التجديد

( ١٣ ) الفكر والادب

( ١٤ ) القصة



## الادب العربي

أبرز مظاهر الادب العربي هي إنسانيته وطوابعه القائمة على الحق والخير والعدل ، وقد وجهت للادب العرب إتهامات متعددة وأثيرت شبهات كثيرة ، من أبرزها القول بنفسي السجع في القرن الرابع الهجري ومن الحق أن يقال أن السجع لم يحد قبولاً من الكتاب العلماء ، ولدينا شهادة المقدسي في هذا ولم يلق البديع قبولا من الكتاب الكبار ، وإنما لسبب حب السجع والقوافي الى العامة وقد استشرى السجع في مرحلة ضعف الادب العربي وتأثره بالآداب القديمة وان ظلت الدراسات الثقافية في مجال الاجتماع والاخلاق والسياسة وغيرها من الجوانب الايجابية في الفكر الاسلامي قوية وقد جاء هذا الانحراف نتيجة لاثار الفزوة الشعبية ، فقد استمد الادب العربي مفاهيمه أصلاً من الفكر الاسلامي الذي يعدد القرآن ، قاعدته الاصلية وبقي حريصاً على أن لا ينجح عن أرض الواقع الصلبة فلم يكن مهملاً للقضايا الحيوية ، ولكنه تأثر في مرحلة من مراحل بالاثار الواردة من الآداب القديمة والدخيلة فاضطرب أمره ثمة ثم عاد الى أصالته .

وقد كان الادب العربي قادراً دوماً على مغالبة أمرين : الاسطورية والخيال المغرق والاشراقية وهي طوابع وفدت الى الادب العربي من الادب الفارسية والهندية وغيرها ، وكان الادب العربي في واقعيته وإرتباطه بالطابع الفعلي والحياة أقرب الى مفهوم الاسلام وجوهره .

وحيث لم يكن هناك يد من هذا التأثير فقد كان الادب العربي كالفكر الاسلامي حريصاً على أن لا يفرق في الطرابيع الدخيلة ، وكان قادراً على أن يتحرر منها وأن يأخذ ما يزيد قوة دون أن ينضهر في أي بوتقة تخرجه عن أصالته :

وقد انحرف الادب العربي في مجالين : مجال الشعر عندما أخرجه الشعراء الفارسيين الذين تأثروا بالمحوسبة من أمثال بشار بن برد وأبو نواس وغيرهم ؛ أخرجه من مفهومه الاصيل الى الانحراف نحو الغزل الحسي والخريات والعلانيات وهو تيار بدأ غريباً ودخيلاً مدموغاً بالانهام ، والمجال الآخر مجال النثر حين انحرف الى السجع والمحسنات البديعية والمقامات واسرف في ذلك إسرافاً لا تصرف به عن طبيعته الاصلية .

ويمكن القول بأن « الأدب العربي » في مفهومه الحق لا تكون بعد الاسلام وأن ما سبق ذلك لم يكن سوى تلك الحصيللة من الشعر الذي ضاع أغلبه وما أثر من بعض الحكم وسجع الكهان فلما نزل القرآن تأسست القاعدة الأصلية للأدب العربي بمفهومه الصحيح القائم على قيم التوحيد والحق والعدل ، وكان القرآن بأسلوبه ومضمونه مما هو المصدر الحقيقي للأدب العربي الاسلامي الذي تشكل في ظل القرآن وجرى في مجراه ، فقد جاء القرآن معجزاً ، هو النفس العربية ببلاغته ومضامينه مما ، ولم يستطع بلغاتهم أن يصلوا اليه . وسقطت كل محاولاتهم في تقليده ، ومن هنا نشأ الأدب العربي من خلاله ، وبدأ النثر العربي الاسلامي يسيطر ويأخذ طريقه ، متحرراً من سجع الكهان ، كما تحول الشعر ، في مضامينه ونظمه وان كان النثر القرآني قد أخذ المكانة الاولى ، وكان للقرآن نظريته الى الشعر والشعراء ، محرراً أيام من الغرور والوثنية ومفاهيم الجاهلية . وفي خلال ذلك نشأ أدب واسع الاتفاق حوته كتب السنة والشرعة والعلوم والتربية والتصوف .

غير ان مدرسة النقد الغربي الوافد التي تسلطت على الأدب العربي الحديث قد حاولت ان تعزل هذا التراث عن مراحل الجديدة ، وان تقصر على جوانب معينة من شعر الشعراء وما وصف بالنثر الفني والمقامات لتعجب تلك الثروة الضخمة من الأدب العربي الاسلامي ثم كان لها أن أعلنت من شان الأدب ووسعت دائرته واذاغت شعر الشعراء الماجنين المسرفين واهتمت به وحاولت ان تتخذ من الأغاني وكتب المحاضرات مراجع ادبية وتاريخية ، وحاولت الحكم على العهود الاسلامية الزاهرة من خلال هؤلاء الشعراء .

وكان هذا انحرافاً خطيراً بالأدب العربي الحديث عن طبيعته وعن اتصاله الوثيق بالأدب العربي الاسلامي في مراحل المتعددة بوصفها حلقات متصلة ، يسلم بعضها الى بعض ، وكان إعلانها لجوانب الكشف والغزل الحسي والاباحة هدفاً من اهداف التغريب والغزو الثقافي لاخراج الأدب العربي من مضمونه الاخلاقي الذي لا ينفصل عنه . ومحاولة لدخلة الى الانصهار في مفهوم الادب العالمية . بينما تستحيل آداب الامم وثقافتها عن التدويب والانصهار في آداب الامم الاخرى لانها تستمد وجودها وكيانها من النفس والذات والمزاج الخاص ، الذي يختلف من امة الى امة والذي يختلف له الامة العربية الاسلامية الجوهر والمضمون كثير أوعيقا عن الآداب الاوربية التي تستمد جذورها ومصادرها من الآداب اليونانية الوثنية .

## الاباحة (في الأدب)

كلمة ، الاباحة ، تعبير لإشغفه الأستاذ محمد فريد وجدى معبراً به عن التحلل والخروج عن العرف وقد لامتسح نطاق كلمة الاباحة في مجال الكتابات الادبية والاجتماعية على أثر موجه الدعوات المستحدثة الوافدة من الغرب والداعية إلى إطلاق حرية التعبير وحرية المجتمع في مواجهة الضوابط الاخلاقية والادبية . ولقد صنعت هذه الفلسفات المستحدثة للاباحة تبريراً متصلاً بها لفقته المذاهب النفسية والاجتماعية التي تدعو الى أن للانسان مطلق الحرية في القول والعمل . وهذا الإطلاق وهذه الحرية لاغيار عليها إذا ما صدرت في حدود قاعدة واضحة أساسية في بناء المجتمعات وقانونية وهي ، عدم الإضرار بالغير ، وترى مختلف الدعوات العقائدية سواء منها المستجدة من الأديان السبوية أو الدعوات الاخلاقية البشرية أن للجماعة أصولاً عامة تطلق بها الحريات ولكنها تحول دون تحطيم إنسانية الإنسان أو إزهاقها أو تدميرها بالاسراف أو الانحراف أو التزيق ، وقد ربطت هذه الدعوات بين واقع الإنسان الروحي والادبي معاً وحاولت أن تخلق له ، توازناً ، قادراً على بناء شخصيته والحفاظة عليها وانماؤها . غير أن دعوات جديدة ظهرت في الفكر الأوربي والغربي على السواء في مجال إستعلاء الفلسفة المادية حاولت أن تدعو الى تحوير الفن والأدب من القيود وإطلاقها إطلاقاً كاملاً . وقد جاءت دعوة الأدب الغربي والفن الأوربي الى الاباحة بمثابة رد فعل على موقف المسيحية والكنيسة والقسسين في الغرب من مقاومة حرية الفكر ، فكانت تلك الإندفاعات التي أخرجت الفنان والاديب من ضوابط الاخلاق وقيم المجتمع ، بما فتحت الباب لموجة طاعية من موجات الاباحة في المجتمع نفسه ، وكان ذلك في الحضارة الحديثة متصلاً أوثق اتصال بالحضارة الاغريقية ومفهومها الاباحى المتحلل من مختلف القيم والضوابط الاخلاقية قبل الميلاد .

فالفكر الغربي حينما يندفع الى موجات الاباحة والتحلل إنما يجد من مصادره وتاريخه وسوابقه وجذوره ما يؤصل له هذا الاتجاه ، أما في الفكر الاسلامي العربي فان الامر يختلف اختلافاً كبيراً .

ذلك أن المجتمع العربي الاسلامي كان مرتبطاً طوال حلقات تاريخه بمقومات

وقيم ذات طابع أخلاقي في مختلف مجالات العلاقة بين المرء والرجل ، ومختلف علاقات المجتمع والسياسة والتجارة وغيرها وأن موجه القرن الثالث الهجري خلال العصر العباسي التي كشفت عن جوانب من التحلل والاباحه تمثلت في شعر بعض الشعراء لم تكن الا مرحلة عارضة وغزوا شعوباً التمس مصادره من الفلسفات اليونانية والفارسية وديانات المجوس ومذاهب المانوية والزرادشتية وغيرها ، وقد جاء هذا الطابع من الاباحه المتمثل في أبي نواس وبشار وغيره في ظل تحديات خطيرة واجهتها الحضارة الإسلامية والمجتمع وهي تحديات اضطرت فيها معايير الفكر الإسلامي وتطبيق الشريعة الإسلامية حين ظهر طابع الترف العاصف وطوابع التمسى وأسواق الجوارى وغيرها مما كان مخالفاً في حركته لمفهوم الإسلام نفسه ، وما أدى الى رد فعل قوى من الناحية الأخرى بظهور فلسفات الزهادة والتصوف الفلسفي الى جوار مذاهب الباطنية وغيرها .

وقد اتبعت هذه الدعوات والحركات على أيدي رجال كانت لهم حملات سابقة بالديانات الفارسية والفلسفات الدخيلة ولم يكونوا في حقيقة الامر منطلقين من مفهوم أصيل للفكر الإسلامي بما غير به مفاهيم المجتمع والحياة .

وما يزال مفهوم الفكر العربي الإسلامي الاصيل ان تقوم الضوابط الى جوار الحريات موازنة للكيان الإنساني ويرى كثير من الباحثين - حتى في الغرب نفسه مثل تولستوى - أن كل فكرة فنية لا تستقيم والشعور الديني فهي ليست فناً أصيلاً وأن شأن الفن أن يملأ من أمر الإنسان ويسموبه ويقم بين الناس ملات المودة والاخاء وأن يدفع البشرية نحو الوصول الى الانسانية .



## الادب المكشوف

تجرى الدعوة التغريبية الدخيلة على الادب العربي والفكر الإسلامى والثقافة العربية الى القول بان الادب فن حر يصور النفس الانسانية وليس له أن يعطل عمله ليسأل عن قواعد الاخلاق . وهذا مفهوم غربي خالص ، وبعيد كل البعد عن الذوق والضمير والمزاج العربي والإسلامى فالمفهوم العربى الإسلامى للادب أنه وحدة من وحدات الفكر الكلية لا تنفصل عنها ولا تستقل بل تتكامل وتتلاق مع وحدات الاخلاق والدين والمجتمع على نحو لا يضحى فيه بأى قيمة من القيم في سبيل إعلاء قيمة أخرى ، وهذا ما يختلف مع المفهوم الغربى الذى يستقل فيه الادب بانطلاقه وحركة الحركة بعيداً عما يتأثر به المجتمع أو الاخلاق أو الدين : بل أن الفن والادب في الفكر الإسلامى والثقافة العربية والادب العربى يلتقي مع الدين والاخلاق ولا يتعارض معها ليؤدى دوراً بناءً متصامياً لحياة الجماعة والفرد معاً . فليس هناك تعارض أصلاً بين الادب والاخلاق ، أو الفن والدين بل هناك تطابق واتفاق ، مثل ذلك التطابق القائم بين العلم والدين . وفي هذا يقول العلامة محمد أحمد الغمراوى : أن الفطرة كلها منشأ واحد هو الله والعلم والدين كلاهما مجتمعان على إستعالة التناقض في الفطرة فاذا كانت هذه الفنون من روح الفطرة وجب الاتخالف أو تناقض دين الفطرة ، ودين الاسلام في شئ . فاذا خالفته في أصوله ودعت صراحة أو ضمناً الى رذيله من أمهات الرذائل الى جاء الدين لدفعها عن الانسان حتى يبلغ ما قدر له من الرقى في النفس والروح ، وإذا خالفت الدين في شئ . وإذا خالفت الفنون الدين في شئ . من هذا ففى بالصورة التى تخالف بها الدين فنون قد جانبك الحق ودأبرت الخير وأخطأت الفطرة التى فطر الله عليها الناس والخلق ، ومعنى هذا أن الادب والفن يتطابقان مع الدين والاخلاق في الفكر الإسلامى والثقافة العربية ولذلك فإن الادب المكشوف المستورد الغربى الاصل يبدوا وافداً غريباً لاجدوره ولا أصالة لانه معارض للزاج والذوق والفطرة جميعاً .

فاذا قيل أن الادب العربى القديم قد عرف الادب المكشوف قلنا أن ذلك لم يكن بدافع الفطرة بل كان غزواً شعوبياً على النحو الذى تواجهه اليوم وتسميه بالغزو التغريبى . وأن هذا اللون إنما دخل على أيدي المتصلين بالثقافات والديانات والفلسفات

وأن الذين إنصهروا في إصالة الفكر لاسلامى إنصهاراً تاماً من الفرس أو الترك أو العناصر الأخرى قد إستجابوا لفطرة الفكر الاسلامى أما الذين ظلوا على مفاهيمهم القديمة وابتعثوها من جديد معارضة للدولة الاسلامية أو الاسلام أو خصومة لها فانهم هم الذين عرفت لهم هذه الألوان من أمثال : بشار وأبى نواس وغيرهم ، هذا هو الطابع المكشوف الذى أدخل على الادب العربى فى باب المجرن والفحش واستشرى فى أبواب الهجاء والخريات والشعر الخليع غير أن أدبنا العربى كان دائماً قد حدد موقفه على نحو يختلف عن الادب الغربى فقال : الشعر الرفيع لا يقاس بحسن الديباجة وبراعة المعنى فحسب ولكن بشرف الغرض ، وهذه نظرة تختلف إختلافاً بيننا عن مفهوم الادب الغربى الذى يرى أن الادب هو الاداء الفنى بصرف النظر عن غايته وطابعه : مكشوفاً كان أو غير مكشوف .

وروح الفكر الاسلامى والادب العربى يقوم على القول الكريم ، دون الهجر ، وعلى الإشارة العابرة الى الأمور المبتذلة دين الكشف والافاضة فى التبذل والتمتلك وتصوير المحرمات الجنسية والميول المنحرفة ، وذلك بالقدر الذى يدل عليها ، أما هذا اللون من تصوير أخفى الغرائز البشرية والتحدث عن تطوراتها وتقلباتها على النحو المثير الذى تكون له إثارة البعيدة فى نفوس الشباب والفتيات فهز غير مقبول ، هذا فى نفس الوقت الذى يستبيح فيه العلم كعلم دراسة قضايا الانسان والنفس البشرية ومعرفة أهوائها عن غير طريق الادب .

فالفكر الاسلامى والثقافة العربية إنما تلتبس عناصر الوحدة والتكامل فى جزئياتها على نحو يحقق لها بناء الفرد السليم والمجتمع السليم . حيث لا تعارض بين الروح والمادة ، ولا تضاد بين الادب والاخلاق ، أو بين الفن والمجتمع ، ومقياس الجمال النفسى الإنسانى إنما تتمثل فى الوسطية بعيداً عن منحدر الشوائب والذات ، وبعيداً أيضاً عن الجور فالفكر الإسلامى قد أعطى الحرية فى متاع الحياة دون إسراف أو تبذل على هدى الفطرة التى فطر الله الناس عليها ، والادب المكشوف لا يقدم السعادة ولا السلامة ولا يرسم للنفس الإنسانية أسلوب الجمال والخير والحق ولكنه يكشف جوانب هوى غلة فى الإباحة والتمتلك على نحو من شأنه أن يدمر النفس الإنسانية لا أن يحييها ويسمو بها .

ولا شك أن الاتجاه إلى الكشف في الأدب فن غربي له جذور أغريقية قديمة وله طوابع متصلة كل الاتصال بالوثنية وعبادة الأجساد والانفصال في مجال الفن والأدب عن المجتمع وعن الدين ، وإذا كان بعض الفلاسفة الغربيين قد عارض كل فن لا يستقيم مع الشعور الديني فإن الفكر الإسلامي يرى أن التوازن بين هذه القوى جميعاً هو عامل قوة للشخصية الإنسانية وحماية لها من التحطم والانحيار ودفعاً لها إلى الخير والقوة ، وعندنا أن هذه المذاهب التي تحمل طوابع لها مظهر على براق إنما هي دعوات مستترة إلى الهدم وعوامل تغريبية ذات هدف بعيد في محاولة القضاء على مقومات هذه الأمة وتحطيم روحها الإيجابية المتكاملة ديناً ودنياً ، وروحاً ومادة .

## التجديد

كانت كلمة ، التجديد ، إحدى الاصطلاحات الخطيرة التي اتسكا عليها النفوذ الاستعماري والتغريب لشجب التاريخ واللغة والتراث والدين ومختلف فنون التراث القديم واتهامها بعدم الصلاحية للوجود ، ومعنى التجديد في كتابات دعاة هو الانفصال الكامل عن كل قديم والاتجاه الشامل إلى الجديد ، دون تحفظ .

وفي مواجهة التجديد كانت هناك الحملة على الجمود والسلفية والتقليد والرجعية . غير أن استطراد هذه الدعوى وبلوغها أقصى مدى التحدى ، كشف عن خطأ لداعين لها ، حتى من وجهة نظر التقدم والنهضة ، وربطها ربطاً أكيداً بآفة ياب والنفوذ الاستعماري ، فأن الدعوة الحمة إلى النهضة حين تدعو إلى التجديد لانفصله عن القديم ، ولا تعزله عن الماضي بل تجعل من الماضي سبيلاً إلى الجديد ومن التطور رابطة بين القديم والحديث ، والغربيون انفسهم الذين يلتبس بعض الكتاب مناهجهم انما يفهمون التجديد على هذا النحو ، فلا انفصالاً مطلقاً بين الكلاسيكية والعصرية ، أو بين الأصالة والتجديد ، أو بين الماضي والحاضر ، وقد عرف أصحاب النهضة والحضارات بذلك الارتباط الأكيد بين الماضي والجديد ، فالأصول الأولى لها قيمها الأساسية في بناء كل جديد وهي ذات معنى عميد يشمل كل شيء تقريباً ، فالاسس والأرض والجنود كلها معالم طبيعيه لكل حركة تدعو إلى التجديد .

وفد ذهب العلماء العقليون والتجريبيون مما وهم أبعد الناس عن أوه الفلسفة ، ودعوات الغزو الثقافي والتغريب واقتلاع الأمم من مقوماتها وجذورها إلى أن المعنى الحقيقي لكلمة (جديد) هي فكرة نقد شيء في ط التجول ، في حين أن كلمة قديم تعنى الموجود الساكن الموضوع مسبقاً . وكلمة قدم استعملت عند العرب بمعنى الموجود لم يزل ، وتجمع المفاهيم الع للتجديد عن أن التجديد في الآداب كالتجديد في العلم لا يمكن أن يقوم إلا

أساس تعاون الماضي والحاضر، ويذنب العقل في حاضره على أساس العقل في ماضيه (١)  
ويصور مصطفي صادق الرافعي التجديد في الأدب على نحو على غاية في العمق  
حين يقول أن التجديد يتمثل في قاعدتين :

(الاولى) أبداع الادب الحى فى آثاره بفكره بما يخلق من الصور الجديدة فى اللغة والبيان

(الثانية) أبداع الحى فى آثار الميت بما يتناولها به من مذاهب النقد  
المستحدثة وأساليب الفن الجديدة . وفى الأبداع الاول إيجاد ما لم يوجد  
وفى الثانى إتمام ما لم يتم . فلا جرم كانت منهما معا حقيقة التجديد بكل معانيها ولا  
تجديد الاثمة ، فلا جديد إلا مع القديم .

ولا شك أن التجديد قانون طبيعى وقانون ثابت فاذا لم يكن تجديد  
فقد هور وانحطاط وهو فى الفكر شأنه فى الكائنات الحية ، بيد أن له أصوله  
ومقوماته وقواعده فهو لا ينفصل عن أرضيته وقاعدته . ولا ينقطع عن تطوره  
الطبيعى .

## الفكر والادب

هناك خطأ كبير مشهور ، نبه إليه كثير من الباحثين ، وما يزال في حاجة إلى التذكير، ذلك هو تحرير دائرة الآداب ، وتحديد مكانها من دائرة الفكر الاوسع والاشمل .

فالفكر هو الوحدة الأساسية الذي تصدر عنها جميع الفروع والاجزاء . ويضم الفكر في بوتقة: الاجتماع والسياسة والاقتصاد والتربية والقانون والادب وكلها في مفهوم الفكر الاسلامي تتكامل ولا تنفصل ولا تستقل فالادب قطاع من الفكر بوصفه أدبا له ومفاهيمه وطبيعته ودوره الطبيعي ولكن في حركته هذه لا ينفصل عن دائرة الفكر ولا يخرج عن مهمته وطبيعته فيفرض نفسه على دوائر أخرى فيسيطر عليها ويتكلم باسمها .

غير أن الادب العربي الحديث قد دفع دفعا إلى هذه المخاطرة ، وأطلقت له الحرية ، فعاوض فيما ليس من اختصاصه ، فأخطأ كثيرا وجارز هدفه ومهمته . وليس في هذا ما يفهم منه معنى الحد من حرية الادب ولكن فيه دعوة إلى الارتباط بالقاعدة الأساسية التي قام عليها الفكر الاسلامي وهي قاعدة التكامل بين الفروع والاجزاء التي تشكل في مجموعها عملا متكاملا ، ذلك لانه إذا أطلق للادب حريته على النحو الذي تدهو إليه الادب الاوربية لكان في ذلك عدوانا على دائرة الدين والاخلاق والمجتمع والادب العربي المستمد من الفكر الاسلامي هو أدب ملتزم بالعمل على ترقية المجتمع واعلاء شأن الاخلاق ، فهو لا يستطيع أن يتحرر من مهمته تلك ،

ولذلك فإن الادب العربي بقيمة ومفاهيمه لا يستطيع أن يتقبل بسهولة نظرية تحرير الادب من أخلاقيته هذه النظرية التي دما إليها الادب الغربي وأستمد هامان الادب اليوناني الذي فصل بين الادب والاخلاق ، وقد زاد هذه النظرية قوة ، ظهور نظريات فرويد ومذاهب الفن للفن ، وهي نظريات ثبت خطأها العلمي وانحرافها ، وقد حاول دعاة التغريب فرض هذا المنهج على الادب العربي ، ولكن الادب العربي الذي يتصل بالفكر الاسلامي اتصالا عضويا ضمن دائرة متكاملة ، يقوم

على أساس أن الفكر في مجموعه إنما يعمل من خلال الشخصية الانسانية المسئلة في بنائها وترقيتها والسمو بها وأعلائها ، هذا الادب العربي رفض هذه الدعوة . إيماناً بأنه لا يمكن أن يتجه فرع من الفكر الاسلامي للبناء بينما يتجه فرع آخر إلى الهدم .  
واقدر دعا الباحثون المنصفون الادب ( أي أدب ) أن يلتزم طريقه الاصيل معلياً قانون الاخلاق القائم على حراسة الاجتماع .

واقدر كانت هناك آثار ميسنة لنعدي الادباء دائرة عظمهم والتداخل في دوائر أخرى بينما هم لم يؤمنوا أساساً بتكامل الفكر الاسلامي ولم تتح لهم الفرصة لدراسة الجوانب الأخرى على النحو الذي يمكنهم من استعراضها والحكم عليها .

وذلك أن بعض الادباء عرضوا في العقد الثالث والرابع الى الدين والاخلاق ، وتناولوا هذه المباحث على طريقة الماديين فأناروا وشكوكا كثيرة ، وكان لا انتشار الادب في الصحف أثره في نفوس القارئین ، هذا الأثر السيء الذي قصد إليه التغريب من طرح قضايا الفكر الاسلامي عن طريق غير المتخصصين فيه ، وفي هذا يقول العلامة محمد فريد وجدي : كيف يرجى من إديب كل همه منصرف إلى تحليل عاطفة المهوي ودرس ثارات الجوى ، وتصوير وقع الوعود الكاذبة وفضول العذال واللاهين وعدوان المنافسين والمعاكسين ، أن يتناول بالبحث أعلى عواطف النفس وهى عاطفة الدين ، بمثل أسلوبه الذي مرن به عليه وأستولى على شعوره ، وهى تستدهى أسلوباً يحافى هذا الالوب ولا يمت إليه . بصلة من درس النفس فى حالة عزوفها عن الشهوات وترفعها عن الفرائز ، رأيناهم يشيرون شكوكا يمحرون فى مباحثهم التاريخية والاجتماعية على غير الاسلوب العلمى من التحقيق والتعميق (١) .

من هنا نعرف الفرق بين دائرة الادب ودائرة الفكر ، وأن دائرة الادب تقتصر على تصوير الانسانية ، أما الفكر فإنه الدائرة الاوسع التى تتصل بالشخصية الانسانية من جوانبها المختلفة العقلية والروحية والقانونية والاجتماعية والاقتصادية .

وفي مفهوم الفكر الاسلامي أن الادب حلقة من حلقات الفكر لا تنفصل ولا تتحرك في غير اتجاه التوازن والتكامل مع الحلقات الأخرى .

(١) راجع كتابنا (الاسلام والثقافة العربية)

## القصة

« القصة ، فن من فنون الادب : كالشعر والنثر والترجمة ، وهو فن قديم ومستحدث وهو في حاجة إلى إلقاء أضواء كثيرة عليه ، حتى يكشف موقفه الصحيح من الادب العربي وفيما قبل ظهور الاسلام ونزول القرآن كان هناك كثير من الاساطير التي أطلق عليها من بعد اسم القصة : وهي أساطير اليونان في الغرب وأساطير الفرس والهند ، وهناك أساطير العرب في الوثنية العربية .

وكانت هناك الملاحم والمسرحيات التي عرفت أوروباً في ظل الوثنية الاغريقية ثم في ظل المسيحية الغربية ، وقد أستمد كثير منها من الكتب الدينية القديمة ، فلما جاء الإسلام ، ظهر عنصر جديد وفهم جديد للقصة ، ذلك هو ما ألقاه القرآن الكريم المنزل حيث عرض لعدد من قصص الاولين ، على نحو له طابعه الخاص المتميز ، بالصدق والشمول والإيجاز والاستعلاء على التفاسيل واستخلاص العبرة والناس حكمة التاريخ ورسم تلاميذ الحضارات وقوانين قيام الأمم وسقوطها ، والعوامل ذات الأثر في تطوير المجتمعات وإنيارها وذلك من خلال تاريخ الانبياء والأمم والدول التي مرت بها البشرية من قبل .

وقد وصف القرآن قصصه بأنه ( القصص الحق ) القائم على الواقع الصادق البعيد عن الخيال والتزويد والتفاصيل وذلك جرياً مع منهج الإيجاز والشمول والقصد .

ومن هنا فإن مفهوم القصة الحديثة الذي عرفه الادب الغربي مستمداً أيّاه من التراث الهليني اليوناني ، أو ما عرف من قصص مثل كليلة وذمته أو ألف ليلة أو غيرها مستمداً من التراث الفارسي الهندي القديم ، هذا المفهوم لا يتفق مع مفهوم الادب العربي الحقيقي المستمد من القرآن للقصة .

والفكر الاسلامي لا يقبل من القصة غير لون واحد هو ( القصص الحق ) ذلك أن الادب العربي قد أتسم منذ ظهوره وإلى اليوم بخاضية واحدة تتمثل في الصدق والوضوح والإيجاز وهي عناصر تكاد تكون مضادة للقصة الحديثة بل ومعارضة لها



ذلك أن العربي الذي كان يفكر في أفق مفتوح مشرق طليق، من النور في ضوء الشمس التي تطلع على أرض الصحراء الواسعة ، فضلا عن طبيعته الحرة الجريئة ، طبيعة الفارس المقاتل ، الذي يقول كلمة في صراحة ووضوح ، هذه الملامح في الطبيعة والإنسان لم تكن في حاجة إلى فن القصة القـائم على الرموز والمبالغة والظلال والاستخفاء ، أو على الشرح الواسع والتفصيل الكثير ، ذلك أن العقيدة الإسلامية كانت أيضا بسيطة سمحة وهي تقوم على التوحيد أساسا فلم تكن في مثل حاجة المذاهب والعقائد الأوروبية أو الشرقية القديمة إلى مزيد من التفاصيل وإلى إدخال فلسفاتها المعقدة في قصص ومسرحيات تقام في المعابد أو الأديرة لتشرح للناس مقاصدها .

والفرق بين مفهوم القصة في الأدب العربي ومفهومه في الآداب الأخرى، هو فرق في ذاتية الأمة العربية ومزاجها النفسي وتركيبها الاجتماعي والجغرافي والعقائدي البسيط السهل السمح الطليق ، ومن هنا فقد أختفت من الأدب العربي القديم المسرحية والملحمة والقصة الأسطورية وحين ظهرت قصص مثل ألف ليلة أو كذبة ودمنة أو المقامات كانت كلها دخيلة على الأدب العربي ولم تكن تصور النفس العربية في حقيقةها وربما كانت تصور النفس الشرقية التي مازالت تحت تأثير وثنيات المجوسية أو نظريات وحدة الوجود الهندية أو غيرها .

أما النفس العربية حتى في وثنياتها الندية وأساطيرها الجاهلية فقد كانت بسيطة غير مسرفة حيث لم تكن إلا انحرافا عن التوحيد القديم الذي جاء به إبراهيم .

ومن هنا فإن القصة في مفهومها العربي اليوم قائمة على الخيال والوهم ، وعلى العقدة والحل ، وعلى الاسراف في التفاصيل ، وعلى انتقاء الصدق ، وعلى طوابع الرمز والظلال إنما نجمع بعيدا عن جوهر النفس العربية ولا نكون الا صورة مقلدة الآداب الغربية ولذلك فإنها تسقط وتختفي مع إشراق المفهوم الاصيل للذاتية العربية والمزاج للنفس الاسلامي الذي هو مصدر الأدب في الحقيقة .



## الباب الثالث

### الفقه

( ١٥ ) السنة

( ١٦ ) الثرمة

( ١٧ ) الاجتهاد

( ١٨ ) التقلب

( ١٩ ) الربا

( ٢٠ ) الرقيق

11. 11. 1943

12. 11. 1943

(11) 11. 1943

(12) 11. 1943

(13) 11. 1943

(14) 11. 1943

(15) 11. 1943

(16) 11. 1943

## السنة

السنة هي تفصيل ما أوجل القرآن والتطبيق العلمى للاسلام . وتشمل السنة : الحديث النبوى وأعمال الرسول نفسه . وقد أثبتت الشبهات منذ وقت طويل حول السنة . وترددت دعوات كثيرة تطلب الاكتفاء بالنص القرآنى وتتهم الحديث النبوى بانطوائه على كثير من الدخائل ، والحق أن الدعوة إلى رفض السنة أو إلتقاصها والاكتفاء بالنص القرآنى وحده إنما هي دعوى تفريسية خبيثة ترمى إلى الفصل بين النص والتطبيق وبين القانون والواقع العملى الذى جرى عليه الاسلام منذ أقام مجتمعه وأنفذ نظامه .

فالسنة هي التطبيق الواقعى العملى المتمثل فى الأسلوب الذى اتبعه الرسول صلى الله عليه وسلم فى تنفيذ النص القرآنى . ومن هنا فالنص القرآنى وحده لا يكتفى المسلمون اليوم ولا يحقق لهم إسلاماً حقيقياً . وهذا فضلاً عن أن ( السنة ) جزء من القرآن نفسه بنص القرآن : « ونزلنا إليك القرآن لتبين للناس ما نزلنا إليهم » . فهذا البيان الذى يفسر القرآن ويطبّقه هو باقارار القرآن جزء أساسى . وفى هذا يقول العلامة ليولد فابس ( محمد أسد ) :

إن رفض الحديث يرجع إلى إستحسان الجمع بين حياتنا الحاضرة المتغيرة وبين روح الاسلام الصحيح كما يظهر فى سنة النبي - فى نظام واحد ، ولكن يستطيع نقدة الحديث المزيفون أن يبرروا تصورهم وتصور بيئتهم فانهم يحاولون أن يزيلوا ضرورة إتباع السنة لانهم إذا فعلوا ذلك كان بإمكانهم حينئذ أن يتأولوا آعالم القرآن الكريم كما يشاءون على أوجه من التفكير السطحي ، أى حسب قبول كل واحد منهم وحسب طريقة تفكيره هو ، وهذا هو الهدف السكامن وراء مهاجمة السنة وإثارة الغيبة حول الحديث .

وقضية التقاليد قضية قديمة قدم الفكر الاسلامى وهى فى نفس الوقت قضية أساسية يتخذ منها الاسلام موقفا واضحا أساسه التحذير من التقليد ومدى الخطر المترتب عليه . وفى هذا يؤثر عن رسول الله قوله : « اتبعن سنن من قبلكم خذوا الفقه بأقذة » حتى لو دخلوا جحر ضب لدخلتموه .

قالوا يا رسول الله : اليهود والنصارى ، قال فن !

والمسلمون والعرب فى العصر الحديث خرجوا من تقليد قديمهم الى التقليد الغربى فكأنهم عادوا الى السنن السابقة حيث يقوم الفكر الغربى فى جوهره على الفلاسفة اليونانية أو للقانون الرومانى ويعتق نفس النظريات القديمة المتصلة بالوثنية واعلاء الاجناس والالوان والفرقة العنصرية واعتبار مادون اللون الابيض ( صاحب الحضارة ) هيبة وأتباع ! ومن الخطر أن يظن المسلمون والعرب أنهم بخروجهم عن قديمهم وفيه الكثير من قيمهم الانسانية الفطرية المتجددة « الى تقايد الغربى المستحدث الذى يرجع فى أساسه الى قديمهم السابق للتوحيد والاديان ، إنما يتجددون ويتطورون ؛ ذلك أنهم فى الحق إنما يتركون أصلح ما فى القديم الحى المتصل بواقعهم وتاريخهم « الى القديم المتجدد من تراث الوثنية السابق على التوحيد والاديان .

وهو فاسد كل الفساد بعيد عن طبيعة الفطرة الانسانية التى يمثلها الاسلام  
أعظم تمثيل .

## الشرية

يطلق لفظ «الشرية» على النظام الذى شرعه الاسلام فى التعامل بين الناس ، وهو القانون الذى كان مطبقا فى العالم الاسلامى والبلاد العربية الى حين قدم النفوذ الاستعمارى فأزاله وأقام بدلا منه قانونه الأوروبى المعروف الذى ماتزال تتعامل به أغلب بلاد العالم الاسلامى الى اليوم .

وقد جرت أبحاث عديدة خلال العقود السبعة الماضية حول المقارنة بين الشرية الاسلامية والقوانين الوضعية وقام دعاة التغريب بإثارة الشبهات حول الشرية الاسلامية وإعلاء شأن الأنظمة الغربية وكان لورد كرومر فى مقدمة من حل على الشرية الاسلامية فى مصر منذ عام ١٨٩٢ وقد أورد هذه المعانى فى كتابه ( مصر الحديثة ) الذى صدر عام ١٩٠٧ وهاجمه كثير من أساطير الفكر فى مصر والعالم العربى وكشفوا وجه الحقيقة فى أمر الشرية الاسلامية ولم يمس على ذلك أكثر من ثلاثين عاما حين اعترف أساطين القانون فى العالم أجمع بإيجابية الشرية الاسلامية وأصولها وقدرتها على أن تقدم للعالم كله وللإسلامية أصلاح نظام وذلك فى مؤتمر القانون الدولى فى لاهاى سنة ١٩٣٧ الذى قرر بأن الشرية الاسلامية نظام قانونى مستقل غير مأخوذ من التشريع الرومانى وبذلك تقرر تمثيل الشرية الاسلامية فى محكمة العدل الدولية كنظام مستقل من النظم العالمية الكبرى وفى خلال هذه الفترة هوجمت الشرية الاسلامية ومن بعد هذا المؤتمر أيضا ، وفصل الاسلام عن أنظمة الحكم ، وفصل المجتمع عن الشرية فى حياة المسلمين . ومن هنا انطلقت دعوات الفصل بين الدين والسياسة ومحاولة القول خطأ بأن الاسلام دين دقدى ولا صلة له بالمجتمع والحياة ، جريا وراء المفاهيم الغربية الذى رددت ذلك فى أوروبا بالنسبة للسيحية ، وكانت هذه الدعوات والمحاولات ترمى فى الأغلب الى تضوير الاسلام بصورة مختلفة عن حقيقة وجوده ، باعتباره الدين الوحيد الذى قصد الى بناء مجتمع وفق نظام كامل . وليس قاصرا على العبادات وحدها ، ولا على الأحوال الشخصية

من زواج وطلاق وإرث وإنما يشمل مختلف جوانب المعاملات في المجتمع ،  
سياسية واقتصادية وتربوية وأخلاقية .

واندجرت محارلات متعددة خلال فترة الاحتلال البريطاني لمصر وفي خلال  
فترة الحماية قبلها تهدف إلى إلغاء الشريعة الإسلامية من أنظمة الأحوال الشخصية  
الخاصة بأحكام الزواج والطلاق .

وقد واجه المفكرون المسلمون هذه القضية باهتمام كبير ، وأصدر ( علي أبو  
الفتح ) أول كتاب عن الشريعة الإسلامية والقوانين الوضعية عام ١٩٠٥ ، كما  
أجرى كثير من الباحثين بعد ذلك مقارنات حول ما أثير من شبهات عن صله بين  
الشريعة الإسلامية والقانون الروماني وأشارت ( المنار ) الى واقعة دخول القانون  
الفرنسي الى البلاد المصرية في أواخر عصر إسماعيل وقالت :

« لأنه لما أريد تنظيم القضاء لم يتمكن العلماء المصريون من الكشف عن  
جوهر الشريعة الإسلامية واضطروا تحت ضغط النفوذ الأجنبي إلى ترجمة قانون  
نابليون ، وقد واجه الفكر الإسلامي منذ يقظته كل ما أثير ضد الشريعة الإسلامية  
وما يوجد من أوجه نقص في القانون الأوربي فيما يتعلق بالزنا  
والربا والخمر والميسر ومسائل زواج المسلمة بغير المسلم ومسألة الميراث وإباحة  
البغاء وظهر علماء من رجال القانون وعين درسوا القوانين الأوروبية والشريعة  
الإسلامية وكشفوا عن الفوارق والميزات بين الشريعة والقانون ، وأشار  
الكثيرون الى ما جرت عليه تركيا في عصر مصطفى كمال من تبني القانون المدني  
السويسري ، وأبانوا عن أن هذا القانون ليس مستحدثاً ، وإنما هو مريج من  
القانون الروماني القديم والروح المسيحية وأنه وضع تصميماً خاصاً بمادات وتقاليده  
أمة من الأمم وكيف أن ذلك يكشف عن مخالفتهم لدين وتقاليده وعادات تركيا .

وفي عام ١٩٥١ عقدت شعبه الحقوق الشرقية من المجتمع الدولي للقانون  
المقارن مؤتمراً للبحث في الفقه الإسلامي في كلية الحقوق بجامعة باريس تحت اسم  
( أسبوع الفقه الإسلامي ) ودعت عدداً كبيراً من المستشرقين وأساتذة القانون  
في الدول العربية لبحث كثير من النظريات وأبدى نقيب المحامين في باريس  
عجبه حين قال :



ولست أدري كيف أوفق بينهما كان يحكى لنا من جمود الفقه الاسلامى وعدم صلاحيته أساسا تشريعيًا فى مجازات المجتمع العصرى المتطور وبهذا نسمع الآن فقد ثبت بجلاء : أن الفقه الاسلامى يقوم على مبادئ ذات قيمة أكيدة لا رية فى نفعها وأن اختلاف المذاهب الفقهية فى هذا الجاهز التشريعى الضخم ينطوى على ثروة من الآراء الفقهية وعلى مجموعة من الأصول الفنية البديعة التى تتيح لهذا الفقه أن يستجيب بمرونته لجميع مطالب الحياة الحديثة

وقد عرض الكثيرون للفروق والمخالفات بين الشريعة الاسلامية والقانون الرومانى وأبرزها أن الشريعة الاسلامية لم تفرق بين الروح والجسد ولم تهمل واحداً منهما، وأن الإنسان مركب منها جميعا ، وأن المسلمين قسموا الفقه على أساس العبادات والمعاملات والعقوبات بينما قسم القانون الرومانى على أساس الاشخاص والأشياء والخصومات ، .

وأن أساس القانون الاسلامى مستمد من كلام الله المنزل بالوحي، أما أساس القانون الرومانى فمستمد من مشيئة الإنسان ، وإن خلاصة القانون الإسلامى : ( لا اله إلا الله محمد رسول الله ) بينما بنى الرومان أحكامهم إما على أوامر رئيس الحكمة أو العرف والعادة ، وقد أهملت كتب الفقه الرومانى المسائل العمومية كالأورال الدستورية وأحكام القانون الدولية وجعلتها من أمور السياسة ، بينما الإمام عند الفقهاء المسلمين هو أمام صلاة الجماعة كما هو أمام دولة المسلمين ، وفى القتل تشكل العقوبة عند المسلمين حسب النية من حيث العمد والخطأ ولا توجد هذه عند الرومان ، وكذلك الدية والقصاص عند المسلمين ، وكذلك الحدود التى تتعلق بالقتل والسرقه والزنا والغذف وشرب الخمر والارتداد، بينما الزنا والغذف وشرب الخمر ليست محرمة عند الرومانيين ومن ثم فلا عقاب عليها .

وليس هناك شبهة بين الشريعة الاسلامية والقانون الرومانى فى الزواج والطلاق ، فالاسلام لا يعرف لاقساما واحدا من الزواج وهو عقد يجمع الزوجين برضاهما بينما يوجد عند الرومانيين أصناف عديدة للزواج الجاهز يعتبر أكثرها عن المسلمين كالزنا . وقانون الوراثة وتقسيم التركة عن المسلمين يفاير ما عند الرومانيين ، وكذلك نظام القضاء وأدوات القصاص ، والقانونان يختلفان حتى فى

المعاملات المالية فشلا الربا غير محرم عند الرومانيين ، وحيث أساس التجارة  
يختلف بينهما فالبيع عند الفقهاء المسلمين (عقد برضا المتعاقدين) وهو عند الرومانيين  
عقد يتعلق بالمال الخ... .

وأضافت هذه الأبحاث ومنها البحث الذي أعتمدنا عليه<sup>(١)</sup> أن الفقهاء المسلمين  
ما كانوا يعرفون اللغة اللاتينية إلى كتب بها القانون الروماني ولم تترجم هذه  
القوانين إلى العربية قبل أوائل القرن القرن العشرين ، ومن المعروف أن المفسرين  
عند الرومانيين هو موظف الدولة ، أما المسلمين فلفقيه لم يكن أبداً إلا رجلاً  
من عامة الناس تعلم وتفقه فافق ودون كتب الفقه .

## الاجتهاد

كلمة جامعة تشمل جميع أنواع السعى وبذلك المجهود في استنباط الاحكام من النصوص الشرعية ، واستخلاص الفروع من الاصول

ويمثل الاجتهاد طابع الحركة ومواجهة التغير والتطور في البيئات والعصور تجاه المسائل والقضايا الاجتماعية والمعاملات المختلفة . ويكشف عن قوة الحيوية والحركة في الفكر الاسلامي والثقافة العربية فهو عامل حيوي مؤثر يحول بين الفكر وبين الجمود أو التخلف أو التوقف عن مواجهة العصر أو التجاوب معه ؛ وهو علامة على طبيعة الفكر الاسلامي القادرة على التحرر من قيد التقليد ، وينسحب طابع الاجتهاد على الفكر الاسلامي كله فيكون دالة من دلائله البارزة بما يحقق له من القدرة على النماء والقدرة على مواجهة كل جديد ؛ والفكر الاسلامي يتاوم التقليد ويرى فيه آفة الجمود وحلة التخلف . ولذلك فان الاجتهاد قانون أصيل يتمثل في القدرة على التجدد والحركة في مواجهة الامم وحضاراتها وثقافتها والملائمة بين قوة الفكر وحركة المجتمع .

وهذا الاجتهاد ، اصطلاح فقهي يعنى بذل الوسع للحصول على رأى أو حكم في مسألة من مسائل الشريعة . وهو أحد طوابع الإصلاح والتقدم والتجديد في الفكر الاسلامي .

وقاعدته أن يهتدى بالقيم الاساسية والقواعد العامة ويتحرك في إطارها بما يحقق المصرية والاطوار وتحفظ الطريق الطبيعي للمجتمع داخل الشريعة .

وقد حرص الفكر الاسلامي ورعيته الثقافة العربية على سلامة المجرى المنصل خلال التاريخ الطويل باقرار ركيزتين أساسيتين :

أولاهما : حماية القيم الاساسية والمفاهيم الاصلية لهذه القيم من أن تتوارى أو تبدل أو تنحرف .

ثانيها : فتح باب الاجتهاد لاطواره العصور المتوالية والمجتمعات المختلفة مع والقدرة

على الاستجابة والمعاصرة وإيجاد حلول وإجابات لكل ما يثقل بها من قضايا ومشاكل وتطورات .

وبذلك يكون الإسلام والفكر الإسلامي متحرراً دوماً ومتخاضاً دوماً من الزيوف الدخيلة والأفكار المغايرة والمذاهب الوافدة ويظل محتفظاً بقوته وذاتيته في نفس الوقت الذي يكون فيه قادراً على الحركة والانفتاح على الفكر البشري أخذاً وعطاءً .

ولاشك أن المجتمع الإسلامي في العصر الحديث في حاجة إلى أمرين أولهما : اقتباس الحضارة والعلم والتكنولوجيا ومشاركة الأمم في هذا التراث الحضاري .

والأمر الثاني هو أن يتحقق له ذلك دون أن يخرج عن إطار فكره وذاتيته وثقافته ، ومن هنا فإن قانون الاجتهاد هو الأداة المشروعة لتحقيق هذا العمل ، يرضه على مستوى الأمم الحية ، دون أن يذوب في ثقافات الأمم وبوتقة مذاهبها وأفكارها .

إن حاجة الأمة إلى الحياة والتطور تجعل لها من قانون الاجتهاد حافزاً للحركة وضابطاً لحياتها ، بحيث تستطيع أن تتحرك في حرية داخل نطاق فكرها وقيمتها ودون أن تدع الحضارة العالمية لفقد ذاتيتها وشخصيتها وقيمتها الأساسية .

والاجتهاد قادر على أداء هذه المهمة ، من خلال الجوانب المفتوحة والمطلقة للإجتihad ، دون أن يخل ذلك بالقوانين الأساسية العامة ، رسمت الشريعة الإسلامية من حلال وحرام ، والمعروف أن القوانين الثابتة في الشريعة لا اجتهاد فيها ولا تحايل على الخروج عنها .

والشريعة الإسلامية هي مناط التنظيم الاجتماعي ترسم إطاراً واسعاً له حدود وضوابط ، وتدع إليه المبدأ الحق في أن يتحركوا في داخل هذه الحدود والضوابط ويلتزموا من الأنظمة أو الأساليب ما يتفق مع عصورهم وبيئاتهم .

ولقد برز الأشعري وابن حزم والغزالي وابن تيمية في أزمنة حضارية اجتماعية شبيهة بأزمة عصرنا فاستطاعوا أن يحطموا الزيوف ويدحضوا الشبهات

ويقتضوا على الدخائل التي تحاول أن تفسد الجوهر أو تؤثر في طوابع الفكر الإسلامي وملاحمه وقيمه الأساسية .

ولقد كان مفهوم الاجتهاد في الفكر الإسلامي هو مفهوم التجديد في مجال تصحيح الفهم الناقص أو الفهم المنحرف بالاضافة إلى الحقيقة الاصلية ، وكان الاجتهاد والتجديد طابع الفكر الإسلامي والثقافة العربية جميعا وليس طابع الفقه وحده ، إلتباسا للنبايع الاصلية ، وبناءا عليها مما يتصل بالحضارة والمعصر والتقدم ، وإعطاء إجابات صحيحة لكل القضايا الجديدة التي يفرضها المعصر بحيث يظل الفكر الإسلامي قادرا على مواجهة تطورات الحضارة .

ومفهوم الاجتهاد لاشك هو مفهوم التجديد وهو في أعق صورة « إيجاد حلول للقضايا الجديدة مع حماية الأصول العامة والحيلولة دون أن يفقد الفكر الإسلامي طابعه وروحه وذاتيته المتمثلة في التكامل والشمول والامتزاج بين الروح والمادة والعقل والقلب والدنيا والآخرة .

وتجمع الإراء الاصلية أن باب الاجتهاد مفتوح فلا يجوز سده ، وأن الفترة التي وصفت باغلاق باب الاجتهاد فيها ، إنما هي فترة الغزو والتزوي الصليبي للجمتمع الإسلامي وقد كان القول بتوقف الاجتهاد فيها إنما يعنى المحافظة على الشريعة من أن يدخلها ما ليس منسقا مع أصولها في ظل نفوذ أجنبي يخشى من حقه وخصومته ولذلك كان ذلك العمل في حقيقة من أعمال الحفاظ على أصول الشريعة من أن يناهضه .

## التقليد

والتقليد، هو المتابعة بغير يقين عقلي أو إقتناع برهاني . وهي مرحلة ضعف تمر بها حياة الأفراد والأمم ، والمقلد في مفهوم الفكر الاسلامي لا يعد عالماً ، لأن العلم هو المعرفة الحاصلة عن دليل ، وقد ذم الاسلام أصحاب الرأي الذي لا يستند إلى دليل وقد رفض الاسلام مبدأ التقليد والتبعية ، يقول الامام الغزالي :

« إن التقليد يمنع من الأصالة ؛ والمعرفة التبعية ليست معرفة حقيقية ،

وعندنا أن التقليد ليس هو تقليد القديم وحده وإنما تقليد القديم والوافد جميعاً وهما سيان : تقليد القديم بغير برهان ، أو الاجنبى بغير ضرورة وانساق ، وكلاهما تتحرر منه الأمم التي بلغت مرحلة الرشد الفكري وتسقط فيه الأمم الضعيفة . وخطر الأمور أن تدعى الأمم إلى التحرر من تقليد قديمها لتقع في تقليد الاجنبى دنها ، وكلاهما يفسد الشخصية والذات .

ولكل أمة ثقافتها وقيمها وذااتها ومزاجها ، فلا تحتاج إلى تقليد أمة غيرها في أسلوب تفكيرها أو تعتنق قيمها ومفاهيمها ، ولكن الفكر الاسلامي والامة العربية كانت متفتحة دوماً على ثقافات الأمم دون أن تتخلى عن مقرماتها ، والاستعمار يستهدف من دعوته الى ترك تقليد القديم دفع الأمم الى تقليد الوافد الاجنبى . وذلك في محاولة التغريب الجادة الى اخراج الأمم من مثلاً وشخصيتها وتمييعها في الامية والشعوبية .

ولكل أمة فطرتها وثقافتها الخاصة التي تقوم على أساس تراثها .

يقول احد كبار المؤرخين : « لقد علمتنا التجارب أن المقلدين من كل أمة ، المنتحلين أطوار غيرها يكونون فيها منافذ لتطرق الاعداء إليها . وتسكن أفئدتهم مهبط الدسائس نتيجة لتعظيم الذين قلدوهم ، ويكون هؤلاء المقلدون طلائع الجيوش الغالبيين وأرباب الفارات يهبون لهم السبيل ويفتحون الابواب ، ويثبتون لهم الاقدام ويمكنون السلطان ،

## الربا

الربا، معناه الزيادة وكان العرب يطلقونه عن نوع خاص من معاملاتهم وهو أن يؤجل الدين أو ما يتبقى منه إلى تاريخ معين بحلوله يرد المدين ما أخذه مع زيادة معينة ، والربا في لغة الاقتصاد الحديث الفائدة ( Interet ) ويرجع لاستعمالها إلى القانون الروماني وكان يعنى بها التعويض الذى يدفعه المدين إلى دائئه عندما يقصر عن الوفاء .

فالربا هو ربح المال اقدم للعرض عن طريق المصارف أو المقرضون بالربا ، وهو قاعدة من قواعد الاقتصاد الغربى العصرى ، وللإسلام منه موقف واضح هو موقف التحريم القطعى ، وقد أقر الإسلام قاعدته الأصلية فى الأمر : وأحل الله البيع وحرم الربا .

والتعريف العام للربا يمكن أن يكون بتبادل سلعتين من نوع واحد أو من من نوعين متقاربين كالقمح بالقمح أو القمح بالشعير ، والربا فى القرآن له ثلاث عناصر :

١ - إعاره مال أو أغذية أو بضائع أخرى معينة .

٢ - فائدة باهظة . ٣ - وفاء مؤجل للدين .

فقد أراد الإسلام أن يجعل من التجارة عملاً أخلاقياً أساساً اقتصادياً للتقايض (تبادل السلع) والنهى عن أكل الربا فوضح فى قوله تعالى : يا أيها الذين آمنوا لا تأكلوا الربا أضعافاً مضاعفة ، وكذلك لا يقر الإسلام أن يدفع المدين مبلغاً من المال إذا تأخر فى وفاء دينه ، ذلك لأن الزمن ليس ساعاً تجارية تباع وتشترى ، من أجل ذلك لا يرى الإسلام أن يزداد الدين على المدين إذا تأخر عن تسديده ما عليه من المال .  
وهكذا يتضح أن الربا متعلق بالدرجة الأولى بالديون المعقودة إلى أجل مسمى

ولما كان الذين يستدينون هم الذين يكونون في حاجة ماسة إلى ما يستدينونه سواء أكان مالا عينياً أو عرضاً من عروض التجارة ، شاء الاسلام أن تكون جميع الديون قروضا حسنة ( بلا زيادة على مبلغ الدين الاساسى )

وتقدير الربا فى الاسلام لا يقتصر على الديون المعقودة فقط ، ولكن هناك عدداً من أوجه البيع العادى يمكن أن ينقلب ربا فى أحوال معينة .

وقد حرم الربا فى القرآن تحريماً واضحاً صريحاً ولم يعقب تحريمه تفصيل أو تفريق بين الربا الفاحش أو الربا المعتدل ، وليس فى هذا التحريم ما يعوق النهضة أو النمو الاقتصادى فى العالم الاسلامى أو الأمة العربية ، التى تقوم أنظمتها ومشاريعها وحركتها على عوامل مختلفة عن عوامل مدينة الغرب .

فالمعروف أن المدينة الغربية تقوم على الصراع وتوفير الذات ، ويغلب عليها الترف وحب الذات ، وفى ظل المدينة الغربية ومن منطلقات الربا والصراع ظهرت المضاربات والمضاربات .

ولكن مفهوم المدينة الاسلامية ومفهوم المجتمع الاسلامى الصحيح لا تقوم على مثل هذه البواحي بل يقوم على إحسان الحق وإزهاق الباطل والسعى لافراق حكومة عادلة تقوم على الأمر بالمعروف وبذل الصدقات ، والمواخاة والتعاون والتكافل ، لترقية النفس الانسانية وإعدادها للكمال . ولذلك فإن الاقتصاد الاسلامى لا يقوم على أساس التراحم والتنافس والمضاربة ، بل على التراحم والتساهل والملاينة .

وبالجملة فإن شكل الحضارة الاسلامية لا تقتضى وجود الربا فيه .

وحكمة تحريم الربا فى الاسلام : أن لا يتمانع الناس بالمعروف .

يقول لورد كيتس الأستاذ بجامعة كبريدج : من الممكن أن تنسب جميع الإفات الاجتماعية إلى الربا ، وبقدر ما يزداد مجتمع ما تقدماً فى المدنية والثقافة فإنه ينقص عنه نصاب الربا فى عين المقدار والنسبة بحيث أنه فى مجتمع مثالى سيكون المبلغ « صفرأفى المائه »



## الرق

أقرت الحضارة الرومانية «الرق» واعتبرته أساساً لبناء المجتمع الروماني ، ونصت جمهورية أفلاطون على تقسيم الناس إلى قادة وعبيد ودافع أرسطو عن إقامة نظام العبودية والرق

والقانون الروماني لم يكن يعتبر الرقيق إنساناً له شخصية ذات حقوق على الإنسانية بل يعتبره شيئاً من الأشياء كسائر السلع التي يباح الاتجار فيها . أما الإسلام فإنه وضع قانون تصفية الرق . بعد أن حصره في دائرة ضيقة . وأقام بين الإنسان ورفيقه علاقات جديدة كريمة لم تكن موجودة من قبل ، وجلب إليه العتق وقرر للأرقاء حقوقاً لم تكن لهم من قبل .

كما قيد الإسلام الاسترقاق ، بحرب شرعية على أن يكون المحاربون من غير المسلمين ، ودعا الإسلام المسلمين إلى رعاية أرقائهم . ونها النبي عن أن يقول « هذا عبيدي » وأمر باحترامهم والانعطاف لهم .

ولم يبطل الإسلام الاسترقاق لأنه كان واقعاً من أنظمة المجتمع القائم ، ولم يكن من اليسير إلغاؤه إلا بالتدرج كما أعطى الإسلام الأرقاء حقوقاً لم يحلم بها أحرار الأمم السابقة « اخوانكم خولكم »

يقول الدكتور جورج بوسك في كتابة قاموس الكتاب المقدس<sup>(١)</sup> أن المسيحية لم تعترض على (العبودية) من وجهها السياسي ولا وجهها الاقتصادي ولم تعرض المؤمنين على منازعة جيلهم ، في أدائهم من جهة العبودية حتى ولا على المباحث فيها ولم تقل شيئاً ضد حقوق أصحاب العبيد ، ولا حركت العبيد إلى طلب الاستقلال ولا بحثت عن مضار العبودية ولا عن فسادها ولم تأمر بإطلاق العبيد حالاً ، وبالأجمال لم تغير النسبة الشرعية بين المولى والعبد بشيء ، بل بعكس ذلك قد أثبتت حقوق كل من الفريقين وواجباتهما . وهكذا كانت عبودية

الإلسان في أمم الأرض عندما ظهر الاسلام فهو نظام كان معترفا به من كل الأمم،  
وأسواقه قائمة في كل مكان وأثاره موجودة في بيوت الناس ومجتمعاتهم .

وقد أمر الإسلام :

أولا — بحسن معاملة من تحت أيديهم من الرقيق إلى أقصى ما يمكن أن تسمحوا  
إليه الفضائل الانسانية .

ثانياً — الرغبة في تحرير الرقيق إلى أقصى ما ينتظر من دين عالمي جاء ليعالج  
عيرب المجتمع ويحسن توجيهه نحو الفضائل

ثالثاً — وضع قاعدة المعاملة بالمثل في الحروب الدولية فيما يتعلق بالأسرى  
ومبدأ الاسترقاق .

وقد نص القرآن على إيجاب تحرير الرقيق في سورتي النوبة والنور ، وجعل  
من مصارف الزكاة تحرير الرقاب ( أى تحرير المملوكين ) وجعل من حق الرقيق أن  
يطلب من مالكة التعاقده معه على مبلغ من المال يدفعه له أسعيه في سبيل التحرر  
من الرق . فكانت لهم إن علمتهم فيهم خيرا . لما جعل الاسلام تحرير الرق فدية  
عن أمور كثيرة .

والاسترقاق الشرعي في نظر الاسلام هو الذي يقع في حرب يراد بها إمداء  
كلية الحق على أن يعامل المسترق بالرفق والاحسان كما يعامل الابن والاخ .

وقد هاجم كثير من الكتاب الغربيين مفاهيم الإسلام في الرقيق وأثاروا  
الشبهات حولها على أن ومن هؤلاء الكوردينال لا فيجري الذي ألقي محاضرة عام  
١٨٨٨ في باريس هاجم فيها الاسلام ورد عليه أحمد شفيق باشا بكتاب بالفرنسية  
نشر عام ١٨٩٠ وترجم إلى العربية . وعما قاله شفيق باشا :

« إن الدين الاسلامي لا يبيح في أى حال من الأحوال معاملة أحد من الناس  
معاملة الرق إذا كان أبواه مسلمين حريين ، ولا يكون الاسترقاق إلا في الحرب  
ومع ذلك فهو مقيد بشروط وروابط معلومة . وأن الشريعة الاسلامية تأمر  
تابعيها بالتزام الرفق والراقة مع المملوكين ،

## الباب الرابع

قضايا الفكر والاجتماع



## الاحجار والبطولة

يخطئ كثير من باحثينا عندما ينساقون وراء مفهوم غربي للبطولة في تقدير طابع من طوابع الفن كالتماثيل أو ما يطلق عليه تجسيد البطولة في المهرجانات والاحتفالات الاستعراضية .

فنحن في التماسنا لأي جانب من جواب الفكر أو قضاياه يجب أن نلتمس جوهر قيمنا وذاتيتنا حتى لا تقع في خطأ كبير هو التماسنا لمفهوم دخيل علينا وهو لمفهومنا الاصيل أو تجميده .

« والبطولة ، قيمة من القيم التي تتمثل في مختلف الثقافات والأفكار الإنسانية ، شرقية وغربية ، أوربية أو آسيوية أو أفريقية ، وهو أمر متصل بكل المذاهب والإديان والدعوات ، ولكن هذه القيمة الإنسانية الكبرى . تختلف الرأي فيها أو يختلف مفهومها ، في كل ثقافة عن الأخرى ، وكل أمة عن غيرها ، استمداداً من تراثها وجوهر فكرها .

وفي فكرنا العربي الإسلامي يبدو الأمر واضحاً وضوحاً لا يحتاج إلى خفاء فنحن في فكرنا الاسلامي وثقافتنا العربية نكرم البطولة ونضعها موضع التقدير ولكننا نختلف عن الفكر الغربي في أساليب تقديرها وتكريمها ، أن هذه القيمة عندنا لها مفهوم يختلف ، والتماثيل تجسيد مادي للبطولة يتفق مع ثقافات أمم مختلفة ، ولكن الفكر الاسلامي العربي يعق فطرته وجوهره وذاته وطبيعته ومزاجه إذا تقبلها ، وتقدير البطولة في ثقافتنا يكون بتكريم العمل الذي قدمه البطل وبشعر الفكر وإعزاز الرأي ، وهو تخليد معنوي ، يقوم على تقدير السكلة ولا ينصب أبداً على تقدير الفرد أو تقديسه أو وضعه في صورة يبدو منها في مجال التساليه أو ما يشبهه على النحو الذي عرفه الاغريق قديما حين رفعوا أبطالهم إلى مصاف الالهة وألصاف الالهة . والامم الغربية مستمدة من نظرتها ومن تراثها الاغريق القديم تجسد الابطال في أشكال مادية ، ويرجع هذا أصلاً إلى الطابع الوثني المستمدة من فلسفات اليونان والهنود . ولكن الاسلام والفكر الاسلامي له طابعه ومفهومه لهذه القيمة الانسانية فبطولة الاسلام : بطور فكر لابطولة

تماثيل وأحجار وليس في الاسلام هياكل تدمر ولا يطعك ولا الاهرام .  
وقد عرض لهذا الرأي كثير من الباحثين ، وفي مقدمتهم الدكتور عبدالسلام المعجيل  
الذي يقول : ربما عد البعض هذا الفهم نقصا وليسكى أعتبرة من مزايا العبقرية  
فلم يخلف العرب ( والمسلمين ) على الحجارة ما خلفته الأمم الأخرى ، فأوابد  
الحضارة العربية لم تفتحها من حجارة أو تسجيلها الصخر بل سجلتها الأعمال الحية .

ويبدو هذا المعنى واضحا من وراء الوعي في قول عمر بن عبد العزيز لرجل  
كتب يستأذنه في بناء سور للمدينة ، قال عمر ( حصن مدينتك بالعدل ) وكم من  
سور يزوره السامعون وهو مبني على أساس من الظلم والجور ، ويمتد أثر هذا  
الفهم إلى الفن الاسلامي .

يقول الدكتور المعجيل : إن فن العمارة العربية لم يتميز بالضخامة والوسوخ  
بينما تميز بالجمال والدقة وخفة الظل فهو لم يقصد به أن يطاول الدهر وإنما أريد به  
أن يكون متعة للعين والروح ، ومعنى هذا غلبة المعنويات على الماديات في طابع الفن  
والبطولة ، ويصل هذا المعنى إلى غاية بالقول بأن الذوق الاسلامي العربي لم  
يتعلق بالتصوير كفن من الفنون الجميلة ، ليس لأن الدين نهى عنه بل لأن الروح  
العربية الاسلامية لا تميل إليه ولاه لا يتفق مع فطرتها التي تجدد مجاهلها الفني في  
الكلمة ، وليس هذا مفهوم الذوق العربي وحده ولكنه في الحق إنما يمثل  
مفهوم الفكر الاسلامي الاصيل المستمد من جوهر الاسلام والقرآن أصلا وربما  
أخذ به العرب وعقوه ، وأن تخلف في أجزاء أخرى لغلبة الفلسفات الوثنية السابقة  
للاسلام .

والفن الذي تعلق به العرب واخلصوا له قبل نزول القرآن هو الشعر ، لأنه  
أرضى رغبتهم في الحيوية والاستثارة وجاءت الموسيقى امتدادا للشعر واتصال  
به والفارق بينهما ، وهو الفارق بين السذاجة والترف ، جملة الرأي أن الطابع العربي  
الاسلامي في الفن والحضارة هو طابع الحيوية والروح العلية ، ملخصا في كلمات  
قليلة أعمال خالدة لا آثار خالدة .

## الأساطير

كلمة ( Historia ) كلمة يونانية معناها « خرافة » ، وهي التي دخلت إلى العربية في عصورها الأولى فأصبحت أسطورة ، ويطلق على الاسطورة أيضا كلمة ( Mythology ) الميثولوجيا ، وقد كان لدى الاغريق القدماء قصص كثيرة عن ماضيتهم تدور حول أبطال عظام ، هذه الاساطير كانوا يفسرون بها الحياة والطبيعية والخير والشر ، وكانوا يؤمنون بان هذه الامور بايدي الهة وألهة ، وقد آمن الرومان بالهة الاغريق وأطلقوا عليها اسماء رومانية كما أضافوا إلى الاساطير الاغريقية كثيرا من اساطيرهم ، وتستعمل كلمة ( أسطورة ) في التعبير عن الاعمال الخارقة وتدور حول الالهة وتختلف عن الملاحم التي تسجل أفعالا إنسانية ويرى الغربيون أن بين الاسطورة والدين علاقة ، وكثيرا ما تحكي الشرائع أحداث أسطورة والاسطورة في الاغلب تحكي بمنطق العقل البدائي ظواهر الكون والطبيعة والعاداة الاجتماعية وثمة تفسير يرى أن الاسطورة ابتكرت للإبانة عن الحقيقة في لغة مجازية ، ثم لسي المجاز المقصود وجرى تفسيرها حرفيا .

ولا يسلّم العلماء الآن بنظرية واحدة تطبق على الاساطير ، والأصح عندهم التفسير الخاص بأساطير كل أمة ، ومن حق أن يقال أننا حين نتحدث عن الاساطير إنما نتحدث عن عالم مختلف عنا وربما لا يتطابق تطابقا كاملا معنا ، فاختلاف الثقافات والامزجة بين الشرق والغرب يؤكد وجود اختلافات عميقة في مختلف مفاهيم الفنون والآداب والقيم الاجتماعية والنفسية ، وعليضا حين نتحدث عن الاساطير أن ننظر إليها لمعالمها وتحدياتها ، وكذلك الأمر في القصة والفن والدين ، والاغريق واليونان لهم في هذا طوابع وقيم تخالف جو الشرق الذي عرف بأنه مبعث الانبياء ومنتزل الديانات والذي طبع منذ القديم بطابع الإيمان بالله .

والخرافة لم تكن واضحة تماما عند العرب ومن هنا فان الاساطير التي عرفت عنهم قليلة ، أما الفراعنة والفرس والهنود فكانت لهم أساطيرهم المشتركة الاصل الوثنية الطابع ويجمع العلماء أن هذه المجموعة من الخرافات إنما كانت تهدف إلى

تمليل خلق المكون والله والإبطال ويمكن أن يطلق على الميثولوجيا : د علم الإنسان القديم ، ، وقد أعترف الاغريق بأن اسماء الالهة رموز لقضايا طبيعية وفلسفية ( ابلوا ) يرمز إلى النار و ( هيرا ) ترمز للهرام ( بوسيدون ) للسم و ( أرتمس ) للقمر ، وما حروبها ومغامراتها سوى إشارات إلى حرب العناصر الطبيعية .

وترى بعض النظريات أن هذه الالهة ليست إلا أسماء أفراد من البشر قاموا بأعمال باهرة ألهمتهم التخليد الذي رقي بهم في نظر الاغريق إلى مقام الالهة وأنصاف الالهة وهو نوع من عبادة الاموات أو عبادة الإبطال .

وهذا المعنى غريب على الفكر الاسلامي كله، هذا الفكر الذي عرف بوضوحه وصراحته وبساطته منذ جاء الاسلام ، حيث يقوم الفكر كله على قاعدة للتوحيد الخالص لاله واحد ، لا متعدد ، ولا يموت ، ولا يجارب البشر ، ولا يصارعهم ، ومن هنا تختلف مفاهيم عديدة من القضايا الخاصة بالطبيعة والخلق والتاريخ بين مفهوم الاسلام ومفهوم الهلينية .

فالبطولة في الاسلام هي بطولة العمل والكلمة ، وليست بطولة الفرد نفسه ، ولذلك فإن الإبطال في الاسلام ظلوا في درجة الإنسان ومكانه حتى بالنسبة لأعظم شخصية في التاريخ الاسلامي كله وهو النبي محمد صلى الله عليه وسلم (وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل ) ، ( قل إنما أنا بشر مثلكم يوحى إلى ) .

وهكذا يقطع الفكر الاسلامي قطعاً ببشرية الرسول ، وبانعدام عبادة الإبطال أو ترقيةهم إلى الهة وأنصاف الهة . وتبدو هذه التفرقة بين الفكر الهليني والفكر الاسلامي في تصوير الاله ، فضلاً عن تعدد الالهة .

فالهلينيون يصفون الالهة بالماغارة والضراوة وبالشراسة والجنون ، فهم يتزوجون أمهاتهم وأخواتهم ثم يقطعون أجسادهم ويزنون ويأكلون لحوم البشر (١)



وهناك آراء تقرر أن وضع الاساطير عند الهلينين وغيرهم انما كانت للذة والامتناع والايناس ، وليس للاخبار أو لاعطاء المعلومات ، ويقول الباحثون المتخصصون أن الميثولوجيا تصور خلق الانسان والسكون وخلق النجوم والشمس والقمر ، وأصل الموت وتغنى بسير الابطال ( واكثرها يدور حول قصة واحدة في روحها ومبدأها عاشق ومعشوق يقترب أحدهما خطيئة فيتوارى عن الانظار أو قد يكون سبب الافتراق خيانه أو فعلا مسببا عن غيره (١)

وقد قذف الغربيون : الفكر الاسلامي والادب والثقافة العربية بقدر ضخم من هذه الاساطير وعن كثير من الكتاب والآباء بترجمتها ومحاولة اغراق الادب العربي فيها ، وجرى البحث حول الاساطير في الادب العربي نفسه وكان من أهم هموم المستشرقين والمبشرين البحث عن الاساطير، وقال ريتان أن العرب ككل الامم السامية ليس لها أساطير في شعرها ولا في عقائدها ، وان هذا يدل على ضيق الخيال لديهم ، وقد عمد البعض الى بحث الاساطير العربية في عصر ما قبل الاسلام ، وفيها وصف العرب لآلهتهم وقد وجدوا من ذلك شيئا ليس بالكثير ولا بهذه الصورة الهلينية ، ومرجع هذا في الاغلب الى أن الوثنية العربية كانت وثنية تقليدية ، وليست فلسفية وانما لم تتعمق هذه الالوان ، فقد كانت العرب على دين ابراهيم وهو دين التوحيد ثم انحرفت الى وثنية طارئة ، فلما جاء الاسلام قضى على هذه الآثار ، وقد حاول طه حسين وغيره انتحال أساطير حول سيرة الرسول وألف عنها كتابا هو على (هامش السيرة) وقد عارض الدكتور هيكل هذا الاتجاه ووصفه بأنه اتجاه خطير من حيث حرص المسلمون طوال العصور على تنقية سيرة الرسول من الاساطير وأبعادها عن الرويات الخيالية والوهمية التي حاولت الاسرائيليات الصاقها بها (٢)

واذا جرت المحاولة للربط بين الاسطورة وعند العرب قبل الاسلام وعند الاغريق فقد ثبت أن هناك فارقا بعيدا بينها يستمد أصوله من مزاج الشعبين

وطبيعتها المتباينة فضلاً عن اختلاف الجغرافيا والتاريخ فضلاً عن الوضوح الموجود في البيئة العربية وفي هذا يقول الشوباشي : بيننا الشعر الاغريقي الملاحى يصور عالماً وهمياً لا تكاد يقوم صلة بينه وبين الحياة الحقيقية للجمع الاغريقي وتصف الهته وعمالقته وفرسانه بأنهم يتميزون بقدرات غير آدمية ويحققون الحوارق ويتسامون وراء شهوات وأطامع وأحقاد ويأنفون أن تغلب عليهم الرحمة أو تحبس قلوبهم حب أو حنان ويرتكبون في سبيل تحقيق غايتهم أثاماً تتفزز منها النفوس ولا يعتمدون على الاجساد لحسب ولكنهم يمثلون بالجثث والمرأة قاسية كالرجل، فهناك امرأة تشترك مع عشيقها في قتل زوجها والتنكيل بأبنائها وأخرى تزوج بأبنائها .

وبينما كان ذلك الشعر يرسم تلك الصور المشوهة المخيفة ، حرص الشعراء العرب القدامى على تصوير عالمهم الحقيقي بما فيه من خير وشر وتحليل واطفهم كما أحسوها ، ووصف الاحداث على نحو ما وقعت لهم ، وهناك فارق آخر أشار إليه الشوباشي وهو أنه بينما كان الشعر العربي ديوان علوم العرب وأخلاقهم وأخبارهم ، كانت حكمة الشعر الاغريقي أقرب إلى أن تكون مواظ تربية ،

وبينما كانت الملاحم الاسطورية اليونانية تقوم على شطحات الخيال والتهويل والاعراب، كان رواء الشعر العربي يحرصون على صيانتهم من كل تغيير أو تحريف .

ويتصل بالفوارق البعيدة بين مفهوم الغرب للاساطير، فارق الطبيعة النفسية الواضحة الصريحة في العرب والجو المكشوف في الصحراء . بيننا هناك وحشة الجبال وقسوة الطبيعة ولهذا الخلاف الجذري لم يترجم العرب والمسلمون الميثولوجيا والاساطير والالياذة اليونانية وقالو : أنها تعبير عن النفس الانسانية الهلينية ، ولهم تعبيرهم الاصيل عن النفس العربية .

---

(١) ص ١٣٨ رحلة الادب العربي الى اوربا للشوباشي

(٢) الرسالة م ١٩٤٩ ص ٨٢٤

(٣) نفس المصدر

وتختلف الميثولوجيا اليونانية عن الميثولوجيا المصرية القديمة أيضا كما تختلف عن العقيدة الإسلامية ، فالآلهة في الميثولوجيا اليونانية عن الميثولوجيا الاغريقية تدفعها حيوية عارمة إلى كل تصرفاتها ، حيوية لا تفرض العدل والحق والخلق والضمير لأنها حيوانية عاتية شهوانية باطشة ، والآلهة في الميثولوجيا المصرية القديمة تسيطر عليها فكرة العدل والخلق والحق في الغالب ،

أما الاسلام فيبذنها نائيا ففكرة الشهوة والظلم عن ذات الله ، وفكرة القدر في الاسلام لا تتفق مع الفكرة الاغريقية (١) ولقد حاول كثير من الكتاب ترجمة ايثولوجيا الاغريقية ولصكهم كانوا يحسون انهم ينحتون الصخر وذلك للفوارق الواضحة بين النفس العربية ونفس الاغريقية وقد أشار إلى ذلك كاتب الرسالة حين قال أن الصعوبة الاساسية في الاساطير واستلهاها ليست في الحاجة إلى الفهم فالفهم قد يكون ممكنا بالشرح ولكن الصعوبة الحقيقية كامنة في الشعور بها في أع.اق الضمير . أن الاسطورة تنبع من ضمير الشعب لا من رأسه وتعيش كامنة في دمه وأحاساسه وهي تراث شخصي لكل شعب لا يمكن نقله إلى ضائر الشعوب الأخرى ، كما لا يمكن نقل الثقافات إلى الرؤس بل كما يمكن نقل الاعمال الادبية التي لا تقوم على أسس وراثية كالاساطير ، ولا بد أن تعيش الاسطورة حياتها في تاريخ الامة وضميرها حتى يستسيغها ذوقها وتنفض لها قلوبها لهذا لم يكن ممكنا أن يشعر العرب بجمال التراجيديا الاغريقية والمستندة في صميمها إلى الاساطير لان تنقل إلى تراثهم كما نقلت الفلسفة لان الفلسفة تراث فني في الاغلب والاسطورة تراث شعوري في الصميم .

## الاستشراق

إن أبسط تصوير للاستشراق وأعمقه هو إنه « استخدّام العلم في خدمة السياسة » والاستشراق بعضه متصل بالنفوذ الاستعماري وبعضه متصل بالثقافات الغربية والمسيحية ، وبعضه نزيه وبعضه متعصب .

ومن هنا فقد كانت مادته في الأغلب نافعة لتغذية حركة التبشير وكانت أرائه وملتقطاته إنما تمثل « مادة » خاما يستطيع التبشير إستعمالها في دعم خطته « وفي إثارة عوامل الخلاف وتأريث القمبات بما يحقق خطته » ، والاستشراق إذا كان خاضعا لنفوذ ديني أو سياسي فانما يدرس القضايا بوجهة نظر مسبقة وبأحكام مقررة وبأهداف واضحة : أساسها خدمة النفوذ الاستعماري ، وقوامها التعصب والالتزام للشرق والاسلام والعربية ، ومهاصبها كنهاته في أسلوب له طابع على فانها تنطوي على عدم الحيادة وعلى الانحياز . وقد عمل عدد كبير من رجال الاستشراق في مجال التبشير ، وكانت كتاباتهم وقوداً خصباً في أيدي المبشرين ومن هؤلاء مرجيلوت وماسينيون وهنري لامنس ولويس شيخو وفنسك وجولدزير وهم من أشد المستشرقين تعصبا على الاسلام واللغة العربية .

وقد كانت كلمة (الاستشراق) في نظر الكثيرين وما تزال تحمل طابع البحث المجرد من الهوى . غير أن النصوص التي يقدمها علماء الاستشراق في مختلف البحوث تكشف عن غير قليل من القصور في الفهم أو الهوى في القصد ، وأخطر ما يتصل بتاريخ الاستشراق أن رجال الارساليات التبشيرية قد خلعوا أثوابهم في السنوات الاخيرة بعد أن انكشف أمرهم وتخفوا وراء أستاره كما أن هناك كثير من تحولوا من الاستشراق إلى التبشير وفي مقدمة هؤلاء : لويس ماسينيون الذي كان تابعا في عمله لوزارات الاستعمار وقد عاد في سنواته الاخيرة فعمل في معسكر المبشرين جبهة لإعتماداً على اسمه اللامع المحيط بقدر كثير من العلماء .

وقد يتحدث الكتاب ببساطة وحسن نية عن الدور الذي حققه الاستشراق

في بعث التراث الغربي الاسلامي . ونحن نعرف أن مصدر اهتمام المستشرقين بالشرق والاسلام ليس مجرداً ولا خالصاً لوجه العلم والحق إنما يرجع الى أن العالم الاسلامي واقع في قبضة استعمارهم فهم يدرسون تاريخه وأدبه بهدف محدد ، وهو التعرف إلى نفسية هذه الامم وذلك ليكيفوا مواقفهم ومعاملاتهم ويعرفوا من أى جهة يستطيعون إخضاعه وماهى جوانب الضعف فيه للتركيز عليها وماهى جوانب القوة فيه للقضاء عليها ، وذلك بهدف أن يبق نفوذهم ويستمر وهم في كل ماكتبوه قد عمدوا الى وضع : ( الاسلام واللغة العربية والثقافة والتاريخ ) في قفص الاتهام وحملوا كتاب العرب والمسلمين على الوقوف موقف الدفاع ورد السهام .

وإذا كان الاستشراق خالصاً لوجه العلم فلماذا يركز على الجوانب الضعيفة والروايات المدخولة والشبهات ، ولماذا يركز على النصوص الفلسفية حين يدرس التصوف وعلى الباطنية حين يدرس التاريخ ولماذا يولى اهتمامه للحلاج والسهروردي في الدراسات الصوفية وأبونواس وبشار في الدراسات الادبية وأبو بكر الرازي وابن الراوندي في الدراسات الفلسفية ، ولماذا يهاجم بعنف المنبني وابن خلدون والغزالي ولماذا لايعنى بالاصالة في الفكر الاسلامي ويهملمها ثم يركز على الاثار الفارسية والهندية واليونانية ولماذا يبعث من جديد تلك الشبهات التي أثارها الشعوبية قديماً ويعيد النظر فيها ولماذا يركز على الخلافات بين السنة والشيعة وبين المسلمين والنصارى وذلك كله في محاولة تأريث الخلافات بين المسلمين والعرب حتى لا تتم لهم وحدة فكر ولا نداء إلى تجمع ؟ ولماذا القول بأن هناك اضطهاد للفكرين ومحاولة لمنع حرية الفكر ، ولماذا الاهتمام بأخبار الزنج والقرامطة والمجوسية ولماذا تكتب الابحاث المطولة عن أبو مسيلة الكذاب ولماذا ينكر وجود عبد الله بن سبأ

واقدر مركز الاستشراق على الافكار الدخيلة في الاسلام والفلسفات الوافدة في محاولة لتصويرها بأنها جوهر الفكر الاسلامي مع الاغضاء المتعمد عن القيم الاساسية والدور الذي قام به أمثال ابن حزم والغزالي وابن تيمية والقاضي ابن العربي وابن الجوزي وغيرهم في تحرير الفكر الاسلامي من هذه الدعائل :

ويولى المستشرقون عناية كبرى بفكرتي وحدة الوجود والحلول . وهناك

ذلك الاهتمام الدائب بالعاميات والفلكلور وامثال الشعبية والاغانى والمواويل وكلها محاولات لخلق تصور وجود لغة عامية قائمة بذاتها .

وقد جاهد المفكرين المسلمون هذه الاتجاهات وكشفوا عنها وحالوا بين هؤلاء المستشرقين وبين تحقيق أهدافهم وكان عبد العزيز جاويز وأحمد زكي باشا وأحمد تيمور وغيرهم فى مقدمة هذا الرعيل ، وكانت فى مصر عند إنشاء المجمع اللغوى محاولة أخرى لرد المستشرق فنسبك عن عضوية المجمع ، وقد ماجه الدكتور حسين المرأوى وقدم صورة لأرائه فى الاسلام والنبى والقرآن وكشف عن اتجاهه واتجاه المستشرقين عامة ومن بين ما قاله : أن إذا أرد أحد منهم أن ينال من الاسلام أمراً فإنه يفرض فرضاً ثم يبحث عن الآيات القرآنية التى تتناسب مع هذا الرأى الذى فرضه ، فإذا وجد أية تدحض رأيه حذفها وانكرها أنكراً حقيقى يخرج بالنتيجة التى تزرع الشك فى قواد من يطلع على أقواله من غير تمحيض بحجج شبه منطقية يعرضون بها عقائد المسلمين وهى إحدى الطرق التى وضعها الاستعمار من زمن قديم وكانت إحدى وسائلهم مع تقوية اللغات العامية حتى لا يتفاهم بها المسلمون ولا يفهمون لغة قرآنهم .

ولا شك أن من أخطر أعمال الاستئراق هو وضع موسوعات كاملة أمام الباحثين العرب والمسلمين تمسكهم من أن يجدوا ما يريدون البحث عنه فى سرعة وسعة فيلجأون إليها دون أن يكلفوا أنفسهم مؤنة البحث عما تضمنه من حقائق أو أبا طيلس وذلك اعتماداً على طبيعة بعض المؤلفين والباحثين والعلماء من الثقة بالكلمة المطبوعة ومن الاعتماد على شهرة الاسماء التى وضعت على صدر هذه الابحاث .

ومن هذه المراجع التى يجب مراجعتها فى حيلة وحذر لاحتوائها على كثير من الشبهات « دائرة المعارف الاسلامية والمنجد والموسوعة العربية وبرو كلان فى الادب العربى والمهدف الاكبر من مثل هذه الاعمال الهادفة الى تشويه الحقائق هو خلق شعور بالقص وأحاساس بالازدراء من شأنه أن يسيطر على نفوس المسلمين والعرب ويصدق فى هذا قول الدكتور عرفان عيسى الحيد من أن هدف

الاستشراق هو خالق جيل يشكر لثراث هذه الأمة ليصير إلى حجة واضطراب  
فكرى فيسهل عنده غزو المجتمع الاسلامى بالفكر والمبادئ والمفاهيم  
والتصورات الغربية .

وقد أشار العلامة مالك بن نبي إلى أنه فى أى قضية أرسالة أو معضلة تواجه  
المسلمين فان الاستعمار والتبشير والاستشراق والتغريب قادر على طرح أجابات  
مستعمدة من محاولته المستمرة لتغيير مجرى التفكير الاسلامى .

وقد أجمعت كتابات المنصفين على أن المستشرقين لم يتخلصوا بعد من تعصبهم  
وأن عمائم لم يتحرر من الهوى وقد سجل لويس برنارد وهاملتون جب مثل هذا  
المعنى حيث أشار برنارد إلى أن ظاهرة التعصب الدينى واضحة فى مؤلفاتهم .  
وقال جب أن ظاهرة الإحكام المسبقة على الاسلام لا تزال تحكم أعمالهم بالرغم من  
محاولة التحرر منها ولاشك أن الزعم الجديد الذى يروج له المستشرقون فى  
السنوات الاخيرة من أن أبحاثهم قد أخذت شكل الموضوعية والتجرد من الأهواء  
والأخذ بأسباب البحث العلمى . هذا الزعم لا يثبت أمام الصورة المشوهة  
والعبارات الحاقدة والأهواء الدفينة التى تظهر هنا وهناك من وراء السطور  
وبالرغم من محاولة أخفائها ، هذا الاخفاء الذى هو الذى جد على هذه الأبحاث .

وبجمل آراء المستشرقين منحرفة ، وهى منصبية على القرآن والرسول والاسلام  
وعندهم أن القرآن صورة من الكتب السابقة عليه وأنه منقول منها ، وأن له  
لغة فى مكة تختلف عن لغة المدينة ، وأنه الاسلام جملة مستقى من الديانتين اليهودية  
والمسيحية وأن الرسول كان راهبا رومانيا غضبت عليه البابوية فخرج عليها  
ودعا إلى دين آخر ، وما تزال كتابات ورسوم دانق وفرجيل وفولثير وديدرو  
وهم من أندر كتاب الغرب وفنانيسه تحمل صورة التعصب وما تزال تؤثر فيهم  
تبعهم من أمثال لامنس ومرجليوث ولويس شيخو وسنوك وفنستك وقد  
انتقل إلى طه حسين وعلى عبد الرازق ومحمود عزمى وسلامه مومى وما تزال  
تنتقل إلى طبقة جديدة من أتباع المبشرين والمستشرقين .

---

راجع (١) مخططات التبشير فى غزو الفكر الاسلامى . (٢) الإسلام والثقافة العربية للمؤلف .

م . ٦ الشبهات والأخطاء الشائعة

## الاقتباس

« الاقتباس ، ضرورة لا يحيد عنها بين الأمم في محيط الثقافات والحضارة والنظم ويجب أن تتم في حرية كاملة وفي حالة من حالات الرشد الكامل والايان العميق بالجدور والمقدورات الاساسية » ودون أن تفرض أو يلتزم بها الاقتباس تحت ضغط نفوذ سيامي أو استعماري أو سيطرة من نوع ما ، وقوام الاقتباس المعرفة الكاملة بالفروق الواضحة بين المعرفة والثقافة وبين العلم والفلسفة ، وبين الجوانب العقلية والروحية ، وبين الحضارة والثقافة ، وأن تجرى في إطار كيان الأمة وشخصيتها ومزاجها وطوابعها الاساسية ودون أن يتعرض للخطر أى مقوم من مقوماتها للخطر أو الاضطراب.

ومن المعروف أن العالم الاسلامى يتعرض للاقتباس وهو تحت ضغط نفوذ استعماريات جبار يستهدف تحويل الامم عن قيدها وإخراجها من مقوماتها وضربها في بوتقة العالمية والاممية التى تستهدف إفقاد هذه الامم قدراتها وكيانها الخاص حتى تستسلم عن طريق الفكر للغزو الثقافى والنفوذ الغربى .

وأهم شروط الاقتباس (١) نقل الايجابى الصالح النافع (٢) الجراة في نقل العلم (٣) التحفظ في نقل الثقافة والادب مع الايمان الكامل بان العلم ليس ملكا للغرب ولا للشرق ، أما الثقافة (والادب جزء منها) فهو ملك خالص لكل أمة ولكل أمة قيمها الاجتماعية والاخلاقية والمدنية وهى من أهم المجالات التى تبرز فيها طبائع الامم ، والمعروف أن القيم الاساسية بالنسبة لى أمة أو ثقافة كالتربية بالنسبة للنبات والبذور فكل تربة لها مقوماتها التى تستطيع أن تنقل حضارة نبات بعينه أو بذره بعينها ، بينما لا تتقبل عشرات من البذور التى لا تستطيع أن تنمو في غير تربتها ولا بد أن تموت إذا أُنقلت إلى تربة أخرى، إذا أن لكل تربة عوامل خاصة تحوطها تختلف عن غيرها ، من جو وماء ومكونات جيولوجية كذلك لكل أمة تربة فكرية لها مقوماتها التى تصلح لبذر دون بذر .

يقول وايم مرسية : أن البذر والشعوب لا يقبلون من التأثيرات والعوامل



إلا ما كان ملائما للخلاصة الخالصة من عقائدهم، مسائرا لما فيها من حركة وتوهم  
وفي إيجاز فانه لا يجوز أن يقتبس الناس من غيرهم ولا الشعوب من بعضها  
إلا ما كان حيا في قرارة أنفسهم متوثبا للوجود .

وإذا كان هناك هو مفهوم — وم باحث غربي بالنسبة لما وقف الفكر الغربي من  
الاقتباس ، فلماذا يكون مفهوم الاقتباس عندنا عاقا للقطر ، خارجا عن القوانين  
الطبيعية والاجتماعية التي أسسها الأمم ، وما تزال الاصلة التي عرفها الفكر  
العربي الاسلامي طوال تاريخه تفرض عليه أن يرفض تلك النظرية الفجة التي  
ينادى بها دعاة التعريب والتي تقول تتقبل الحضارة الاوربية بفكرها : وخيرها  
وشرها ، ما يحمد منها وما يعاب .

أن أماننا بآصرة أصيلة هي تجربة المسلمين في القرن الرابع عشر من الترجمة والاقتباس .  
فقد أخذوا ما يتفق مع مقوماتهم وقيمهم الاساسية وردوا ما يختلف معها وعندما  
أخذوه صبروه في بوتقتهم وأصاغوه وحولوه إلى كيانهم فلم يغير من معالم  
شخصياتهم وإنما أضاف قرة إلى حياتهم وكذلك فعل توماس لاكويش حينما ترجمت  
أثار الفكر الاسلامي إلى اللغات الغربية إبان حركة النهضة فانه عمد إلى غرلة  
طوابع الفكر الاسلامي وحرر منها الفكر الغربي المتجدد .

وعندما نظر نظرة موضوعية منصفة لأؤلئك الذين يفرضون على الاقتباس  
غير المشروط نجد لامة كبير مثل الاستاذ هنري بوردو يقول له : لا شيء  
أقتل من تماثيل الأفكار الأجنبية لان الغاية التي تعال إليها هذه الافكار إنما جرح  
مواطن حسنا وشهونا فإذا أردنا أن نكون ثقافتنا ضربا من التو لا من التشويه  
لزمنا أن نجعل هذه الثقافة عاجزة عن تغيير طبيعتنا وروح هضرتنا ، يجب علينا  
قبل كل شيء أن ندرس أنفسنا فإذا وثقنا بأنفسنا بعد هذه الدراسة وتمكننا من  
استخدام قلوبنا وأفكارنا كما يستخدم القائد جيشه الامين الذي يترفع عن الضمام  
إلى العدو . حينئذ نحاول فتح المسالم أى الاتصال بأداب الأمم ، فالوطن كما  
عرفه احد كتابنا ، بما هو إجماع المرقق والاحياء في بقعة واحدة .

ويبدو خطر الاقتباس والاستعارة واضحا حين نرى أنما كبرى تحشى خطره  
حينما نحن ، ونحن بن شقى الرضى وفى قلب خطر صراع الثقافات تستهين بالامر  
وننظر إليه فى بساطة بل ربما حددنا ذلك أمراً لا أهمية الاحتياط له . يقول  
جون بول سارتر لو افترضنا أن شعباً أوربياً صغيراً أضطر بحكم الظروف السياسية  
والاقتصادية أن يستعير من الآلة لوجية الأمريكية أو السوفيتية شيئاً فهذا الشيء  
المستعار لن يبدل جوهره بمد الاستعارة إلا بعملية هضم صحيحة سليمة ، وذلك  
لأن أصوله مستمدة من طبيعة الاقتصاد والرضع الإجتماعى والسياسى فى أمريكا  
أو روسيا والمستعير حين يكون سطحى الثقافة لن يستطيع أن يبدل طبيعة هذا  
الوضع فيبقى الشيء المستعار فى جوهره أمريكا أو روسيا ينرض على ثقافة  
صغيرة لا قبل لها بتحويلة أو طبعه من جديد وذلك لأسباب تتعلق بطبيعة  
خلفه السياسى والحاجة والحاجة الاقتصادية والفقر الثقافى ،

وهكذا تبدو مسألة الاقتباس فى ضوء الواقع وينكشف مدى الخطر الكامن  
بوراثة ، أن النتيجة الطيبة هى ضياع مزاج الأمة وكيانها وطابعها وشخصيتها  
فعلى الأمم أن تحتفظ بخصائصها ، التى تتميز بها ، التى تستمد منها جذورها وتراثها  
وحياتها وعلمها أن تستوحى تاريخها وتستلهم أجوائها ، والتقليد أقل باعاً من الاصل  
لواضع شخصية ، وهو لن يستطيع أن يكون ذلك الاجنبى ولا أن يعود ذلك  
الاول . ومن هنا فان ذاته سوف تفسخ مسخاً وتضيع فى برقه العالمية والاممية  
على تنصهر فيها الأمم الضعيفة التى فقدت مقوماتها .

## الاحاد

الاحاد في التعبير الغربي ( Atheisme ) هو نفي وجود الخالق المبدع  
للكائنات ، وهو تعبير عن نفي وجود الله . والاحاد ضد الايمان . وقد بدأ  
الاحاد في القرن الرابع قبل الميلاد على يد الفيلسوف طاليس وتلميذه كهثرون  
وكان مرمام جميعاً التدليل على قيام الوجود بنفسه - معينا بقواه الذاتية عن مدبر  
حكيم فرق عالم المادة وقد دارت بين الاحاد والايمان منذ ذلك الوقت وإلى  
اليوم معارك متعددة :

ولا شك أن الإيـمان من طبائع الفطرة الإنسانية التي لا مفر منها ولا مرد  
عنها والاحاد عارض وهي ظاهرة طبيعية في البشرية لا تتوقف ولا تنتهي وقد جاء  
العلم الحديث فأعطى ظاهرة الاحاد مفاهيم جديدة نتجت عن قدرة الانسان على  
استكشاف المجهول والسيطرة على الطبيعة مما دفعه إلى الامعان في إنكار وجود  
الله .

وهناك عوامل أخرى دافعة إلى إذاعة مفاهيم الاحاد والتأكيد عليها  
وترديدتها تتصل باصحاب الحركات الهدامة الرامية إلى القضاء على التوحيد أو سيطرة  
نفوذ معين على العالم .

وتكاد تجمع الأدلة على أن تفشي ظاهرة الاحاد في الفكر الغرب إنما ارتبطت  
إلى حد كبير بعوامل تتصل بالدعوة إلى القضاء على الأديان ، أو على نفوذ  
الكنيسة والمسيحية في أوروبا ، وقد اصطنع الاستعمار ومؤسساته من تبشير  
وتخريب وشعبوية أساليب الاحاد وأمعنوا في إذاعتها وتوسيع نطاقها كجزء  
من الهدف المرسوم للقضاء على الاسلام في نفوس معتنقيه وأثارة جو من الريب  
والشبهات وخلق أجيال ضالة بعيدة عن مفهوم الايمان والدين والتوحيد ، لتكون  
الامم هم فريسة سهلة تمهد إلى إلتهاـم النفوذ الأجنبي لها .

وقد قامت في أوروبا خصومة صخمة بين العلم والدين . وغلبت نزعة العلم

حويطرت وحملت لواء الهدم العنيف للدين ومفاهيمه وقيمه ومن بينها القيمة العليا وهي وجود الاله الخالق الاكبر .

ولاكن هذه الحملة تركزت على الكنيسة وعلى مفهوم معين للدين أساسه المسيحية الغربية وطقوسها ومفاهيمها التي تختلف كثيراً عن مفهوم المسيحية المنزلة من السماء أو المسيحية الشرقية الأصيلة، فالأوروبيون لم يأخذوا المسيحية كاملة وإنما أخذوها إطاراً للفلسفة اليونانية الوثنية وللقانون الروماني ومن هنا فقد كانت الحملة على الدين في أوروبا مسألة مستقلة تدور في دائرتها ولا تتصل بأي دين آخر وخاصة الاسلام الذي ليس هو ديناً فقط ولكنه دين ومنهج حياة . وقد نقلت هذه المعركة إلى العالم الاسلامي كاسلوب من أساليب الاستعمار في آثاره الشبهات وتحريف المفاهيم ولكن الواقع يثبت أن الاسلام يختلف للعلم وللحضارة عن غيره من الاديان وأنه يقوم أساساً على مفهوم الانفتاح في مواجهته على العلم وفي ظل دعوته نشأ المنهج العلمي التجريبي .

ومن هنا فإن الحملة على الدين استبعت في أوروبا ظهور ظاهرة الاتحاد والحملة على الله بمفهوم الغرب .

والمعروف أن أول من اجترأ في هذا الصبيل هو نيتشه حين قال د لست ذات الله ، وقد ارتبط هذا الاتجاه في الفكر الغربي بخطة الاول والقديم في الفكر اليوناني حين قال الفلاسفة د أن الالهة المقيمة في المكان المقدس قد ماتت ،

وقد تنوعت فلسفات الاتحاد في العصر الحديث وتطورت ومنها ما يدعو إلى الوهية المادة أو الوهية الإنسان ، ومنها ما يجعل الخريزة محور تفسير الوجود ، وقد اختلف مفهوم الاله نفسه في الاديان التوحيدية ، فالاله في عرف اليهود إله قومي لهم وحدهم دون غيرهم من الاميين وهو إله شرير، وعند النصارى واحدهم ثلاثة والتفسير المادي للتاريخ ينكر فكرة الالهية ويربط الانسان ومصيره بالمادة ويفسر حركة التاريخ بعوامل ليس فيها ارادة الله . والملاحدي يرى أن الكون مادي جدار من داخل نفسه .

اما المؤمن فيرى أن وراء هذا النظام الدقيق وهذه القوانين الثابتة والنواميس الدقيقة خالق مدبر موجه ، وأن (١) هذه النواميس التي اكتشفها العالم ليست مستقلة في ذاتها ولكنها مظاهر مختلفة لقوة واحدة هي المهمة على الوجوه كلها ، وإنما لولم تكن كذلك لما كان هذا الترتيب البديع ، وهذا التضامن المتبادل بين العوامل الكونية ومعنى اتحاد قواميس الوجود كلها فيما بينها إنما مظاهر مختلفة لقوة واحدة عامة مهيمنة على الوجود بأسره حافظة له من التلاشي .

فالاحاد ضد الايمان ، والاحاد إنكار وجود الله ، وهو مفهوم قام على المذهب المادى الذى يرى أن كل ما ليس محسوسا فهو ليس موجودا أصلا :

ونفى الألوهية يتضمن نفي النبوة والكتب المنزل وعالم ما وراء الطبيعة والحزاء والحساب والقيامة والجنة والنار ويرجع بعض الباحثين الاحاد إلى نظرية أصل الأنواع لدارون ولكن المتعمق في الامر يجد أن دارون لم يخالف مبدأ الايمان بالله ولكن الذين تلقفوا هذه النظرية من بعده بهدف هدام ، هم الذين فسروها واستخرجوا منها ما يدفع إلى خلق طابع الاحاد . ويتمثل هذا المعنى واضحا في بروتوكولات صيهون :

ومن حق أن يقال أن هجوم الفلاسفة الاوربية على الأديان وعلى كل القيم الأساسية التي تمثلها ومنها وجود الله إنما كان منظورا فيه الى الكنيسة والاقطاع وأثرهما في تعويق النهضة وفي تحرير الإنسان وأن جميع المذاهب الفلسفية : سواء منها الفلسفات الاجتماعية أو الطبيعية أو النفسية ( نيشه ، ماركس ، فرويد ، دوركايم ) إنما كانت تضع أمام انظارها هدفا ضحيا تريد هدمه هو الدين الغربى ، وذلك نتيجة للتحدى الذى واجهته النهضة الاوربية مع الكنيسة من ناحية ، والدور الخطير الذى لعبته الصهيونية منذ الثورة الفرنسية وبعدها في تصديق المسيحية والكنيسة والقضاء على فكرة الإيمان والدين والقيم الاخلاقية والاجتماعية وذلك طبقا للخطط الذى كشفت عنه بروتوكولات صيهون في الاستيلاء على العالم ، وفي ضوء هذه البروتوكولات يمكن إعادة النظر في كل خطوات التاريخ الغربى وثوراته وفي ظهور الماركسية وغيرها .

---

(١) العلامة فريد وجدى - دائرة معارف القرن العشرين

ومن الواضح أن تتنفي تماماً بالنسبة للعالم الاسلامي والاسلام والامة العربية كل هذه التحديات التي واجهت الفكر الغربي، واسكن التبشير والتغريب والنفوذ الاستعماري قد اتخذ من هذه الشبهات سلاحاً هاماً في مواجهة الاسلام وزلزلة مفاهيمه في قلوب المسلمين عن طريق عرض هذه القضايا والتركيز على بعض الجوانب منها وأثارة الشبهات . فليس في الاسلام بالحق قصة خلاف بين العلم والدين ، ولا قصة صراع بين الشعوب والعلماء . وليس في الاسلام كنيسة ولا كهنوت ولا طبقة رجال دين ، ولا توجد فيه بالقطع ما يسمى بالسكبانه إطلاقاً فذلك شيء لم يعرفه التاريخ الاسلامي بمجملته ، ولقد كان علماء الدين على العكس من ذلك دعاة النهضة والعلم واليقظة وهم الذين أشعلوا نيران المقاومة والجهاد والنضال في وجه النفوذ الاجنبي . والذين أوقدوا شعلة العلم والحرية .

وإذا كانت نزع الاتحاد يمكن أن يتسع نطاقها في الغرب حيث تمتزج المسيحية المثلثة بالوثنية الاغريقية فانه في الشرق لا توجد هذه النزعة إذا سارت الامور على طبيعتها الا صدى خفيفاً ، فالمسيحية الشرقية والاسلام الموحد يبعد إذا سارت عن الاتحاد كثيراً واسكن الامور لم تتوقف في ظل التغريب ونفوذ التبشير عند هذا الحد بل نقل ميدان المعركة الى عالمنا الاسلامي وفرض علينا فرضاً ذلك الصراع . والنفس الاسلامية الشرقية بطبيعتها نفس مؤمنة بالله ، عميقة الايمان بالخالق ، وفي رحابها نزلت الاديان السماوية الثلاث فهي تعمق فطرتها حين تتعلق بمفاهيم الاتحاد الغربي الاصل الوثني الجذور :

وقد واجه الفكر الاسلامي والثقافة العربية تجارب قليلة في المجال منها ما كتبه اسماهيل آدم تحت عنوان ( لماذا أنا ملحد ) وقد كشف فيه عن تحدى نفسى خاص وشخصى يتعاق بالامر الذي دفعه الى هذا الانبهار فقد كان والده مسلماً متزماً يضربه في الصباح ليصلي الفجر قسراً بينما كانت أمه تأخذ أخته الى الكنيسة يوم الاحد في رفق ، وكان هذا هو التحدى الذي دفعه الى الاتحاد بعد صراع نفسى حاد .

وهذه تجربة فردية لاتصل بجوهر الدين نفسه ولا تمثل انكارا أساسيا للتوحيد ولكنها نوع من الانحراف دفع إلى مهاجمة كل القيم في سبيل الانتصار وتأكيذ الذات . وقد ذكر اسماعيل أدم ذلك في وضوح حين قاله أن الاسباب التي دفعتني للتخلي عن الإيمان بالله كثيرة منها ما هو على وما هو فاسق ومنها ما يرجع لبيئتي وظروفي ومنها ما يرجع لاسباب سيكولوجية : لقد كان أبي لا يعترف لي بحق تفكيري ووضع أساس عقيدتي المستقلة وكان يفرض على أراء الاسلام والقياس بشعائره وقد ثرت على هذه الحالة وأمتنعت، لقد خرج اسماعيل أدم عن جذوره في سبيل التحدى الشخصى وتأكد ذاته ، وامن بالعلم وحده ولكنه في النهاية كانت ماذا ! عندما تعرضت الاسكندرية لغازات أيام الحرب العالمية الثانية وفرغ المنزل الذى كان يعيش من ايراده أنتحر لانه أحس بأن مورده قد انقطع . وهذا مفهوم الاتحاد . والفرق بينه وبين مفهوم الإيمان بالله .

والمعروف أن الاتحاد كسائر أنواع الشرطارىء على النفس أى أنه ليس من طبيعتها .

ولقد كشف درس الطبيعة الإنسانية عن أن في أعماق النفس حاجة إلى التدين بدين ما ، وقد اكتشف الرواد الذين زاروا مجاهيل الأرض أنه لا توجد قبيلة من البشر بغير دين ، فالذين لم يعرفوا الله مثله حسب تصوراتهم فى الالهة التي اتخذوها لانفسهم وقد ظهر فى كل جيل ملاحده وهراطقه وأعداء للدين ولكنهم كانوا ولا زالوا قلة غير ذات فاعلية وما تزال الكتلة البشرية وستظل متدينة ،

والامر الجديد الذى تكشف عنه الدراسات العلمية اليوم، مع تفتيت الذرة وأتة حاتم الفضاء ، ومع إثنيار النظريات العلمية القديمة هو أن وراء هذا السكون خالق وصانع ومدبر . وقد ظهرت فى السنوات الاخيرة مؤلفات كبيرة لعلماء المعامل الذين يعيشون كالرهبان خلف الواجهات الزجاجية وبين أدق دقائق الاجهزة العلمية تكشف عن توصاهم باليقين إلى هذه الحقيقة . لقد أنهت مرحلة توتف العلم عند المحسوس والمعقول . ولذلك فإن العلماء المعاملين ليسوا هم دعاة الاتحاد وإنما تنطلق دعوى الاتحاد من محيط الفلافة والفلسفة

نظرية واقتراض وليست علماً ، وهي اقتراض يقوم في نفوس أصحابه أولاً ثم تلمس له الأدلة ، وهو قابل للانتقاض والتحول باختلاف العصور والبيئات .

ومناك فلسفات معاصرة ترى أن التحديات الأساسية لها هي في مهاجمة الدين وأثره النفس الإنسانية ضده وخلق جر من الحادوالإباحة لأهداف سياسية ورغبة في التسايط على العالم البشرى والسيطرة عليه . وقد استفاد الاستعماروالنفوذ الأجنبي من هذه الموجات والدعوات وحاول استخدامى في الاقطار التى يسيطر عليها وقد كانت الفلسفات المادية أساساً بعيدة عن العلم الخالص ، وقد حاولت منذ ظهور نظرية أصل الانواع لدارون أن تنحو بالمفهوم العلمى منها فلسفياً وتتخذ منه ذريعة لتأكيد المذهب المادى القائل بان الكون يدير نفسه بنفسه ولم يكن داردن ولا واحداً من العلماء التجريبيين أو المعملين قد قال بذلك ، واسكنها الفلسفة التى كانت تواجه تحديات معينة في مقدمتها الكنيسة ومفاهيم المسيحية الغربية وقضايا متعددة تتعلق بالنفوذ السياسى للبابواب وأمرأه الاقطاع . ثم كانت الفلسفة المادية المتمثلة في التفسير المادى للتاريخ والماركسية أعلى مراتب الدعوة إلى مخاصمة الدين والدين الذى تخاصمة الماركسية هو دين أوروبا .



## التسامح

لم يعرف فكر بشري معنى التسامح كما عرفه الفكر الاسلامي وخاصة في مجال العقائد المخالفة ، وقد كتب العرب والفوا في الملل والنحل وكانوا واسعي الصدر تجاه العقائد الاخرى ، وحاولوا أن يفهموها وأن يدحضوها بالبرهان والحجة ، ثم أنهم اعترفوا بما أتى قبل الاسلام من ديانات توحيدية ويخطئ ابن حزم في هذا المجال بالنصيب الاوفر ، وقد كتب أبو الريحان البيروني عن أديان الهند في القرن الخامس للهجرة فلم يمس عاطفة أحد من أهلها ، وكان إذا كتب عن نفسه يشعرك أنه هو أحد أبناء تلك النحلة لتلطفه في وصف شعائرها ، وكان كتاب العرب يذكرون جميع المخالفين بكل حرية ، وفي كتاب طبقات الاطباء لابن أبي أصبه وطبقات الحكماء لابن القفطي وطبقات الادباء لياقوت وفي الوافي بالوفيات للصفدي ، وفي تاريخ حكماء الإسلام للبيهقي ، أمثلة لهذا التسامح فقد ترجم المؤلفون للنصارى واليهود والسامريين والمجوس كأنهم أبناء ملة واحدة (١)

وفي مختلف مجالات المجتمع والفكر ترى هذا التسامح واضحاً فقد بلغ أرباب الديانات الاخرى في الحضارة الاسلامية مكاناً عالياً فكان منهم أطباء الخلفاء واعوان الأمراء ، ويرجع ذلك الى مفهوم الاسلام في التسامح مع أهل الذمة وأصحاب الكتاب من الملل المختلفة .

غير أن كلمة التسامح لم تلبث أن استعملت في العصر الحديث على نحو آخر جد خطير ، فقد استعملها دعاة التغريب وخصوم العرب والمسلمين على نحو يدعو الى تساهل المسلمين عن القيم الاساسية لفكرهم في سبيل إتاحة الحرية للحضارة ومن ذلك قولهم : الشرط الاول للحضارة وهو التسامح للاراء المخالفة وحرية الرأي ، ويذهب البعض الى القول بأن السياسة والاجتماع والدين لن ترتقى حق

تشملها الحرية شمولاً تاماً كما شملت العلوم للمادية ، والمقصود من ذلك أن يتجاوز الفكر الاسلامي عن قيمه الكبرى أو مفاهيمه للقيم الانسانية العامة ليفسح المجال للقيم الغربية في السياسة والاجماع والدين وهي مخالفة للفكر الاسلامي مخالفة جوهرية وتامة .

أن الفكر الاسلامي كان دائماً مفتوحاً على الفكر الانساني وعلى مختلف المذاهب والآراء والفلسفات والاديان ولكنه كان حريصاً على أن تبقى جذوره وقيمه الاساسية القائمة على التوحيد ، ولم يمنع عن تقبل أشياء كثيرة من هذه المذاهب ما التمس فيها قوة إيجابية وتقدماً ، ولكنه لم يقبلها على علانها ، بل صهرها في بوتقته وإذابها في كيانه وإساعها أصلاً بحيث أصبحت عاملاً مجدداً له ، دون أن يخرجها من ذاتيته وطواحه ومزاجه الاصيل .

ومن هنا فإن مثل هذه الدعوى إلى التسامح ، على هذا النحو لاغراق الفكر الاسلامي والثقافة العربية في اتون التيارات والمذاهب الغربية التي تمر الآن في مرحلة الانهيار ، وحيث تسيطر عليها وحضارتها على العالم وتحاول أن تفرضها بقوة هذا النفوذ ، وحيث أن الفكر الاسلامي والثقافة العربية لا تزال بعد لم تصل إلى مرحلة الموازنة التامة ، كان من حق كل ثقافة أصيلة أن تحتفظ بمقوماتها وأن لا تتمكن أي ثقافة أخرى من أن تحتاحها أو تنهرها أو تحتويها .

فهو التسامح والتساهل اليوم في هذا المجال ، مفهوم جدير بالنظر والاعتبار والتوقى والغريبيون أنفسهم في صدر حضارتهم لم يقبلوا الفكر الاسلامي كاملاً بل أخذوا منه ما جدد فكرهم ولكنهم يقبلوا التسامح معه الى الحد الذي يغير ذاتيتهم .

## التطور ( التطور والثبات )

التطور قانون طبيعي يعترف به الفكر الاسلامي على نحو ما يعترف به الفكر البشري كله ، وهو يقوم على أساس واحد هو أنه لا يعنى التغير الكامل ، فالفكر الاسلامي يؤمن بثبات الاصول العامة والقواعد العليا وتطور الجراثيم والتفاصيل والفروع ، وفكرة التطور لا تتعارض مع الفكر الاسلامي الا اذا استهدفت القضاء على الجذور والمقومات الاساسية ، أما فيما عدا ذلك فهي طابع من طابعه : يتمثل في المرونة والقدرة على الحركة والتجاوب مع ظروف البيئات والمصور ، والقدرة على امتصاص عصابات الثقافات والفتوح على الحضارات دون الانفصال عن جذورها وأرثها ذاتيتها . ومفهوم الفكر الاسلامي هذا عن التطور أقرب وأرق اتصالاً بالعالم من المفهوم الغربي الذي أوجدته الفلسفة وفرضت به إنبعاثاً من المادية الخالصة عدم وجود شيء ثابت مطلقاً .

ومفهوم الفكر الاسلامي في التطور والثبات هو مفهوم العلم في شأن الكون والوجود نفسه ، الثابت الاصول والطوابع المتطور الجذور والفروع .

ومفهوم التطور في الفكر الاسلامي يستمد وجوده من قانون الاعتدال والوازن فكل تجاوز لحدود الصورة أو النماية ينقلب بمحكم هذا القانون الى نقص أو اضطراب أو إختلال - وهناك إجماع بين الباحثين على أن التطور ليس قانوناً أخلاقياً وليس كل طور أفضل من الذي سببه بل أن التطور قانون اجتماعي واقعي لا يقتضى مطلقاً تفضيل الطور الآخر على الاطوار السابقة ذلك أن فكرة التطور الاجتماعي أخذت من فكرة التطور الحيوي ( البيولوجي ) والتطور في الحياه يكون تحسناً وارتقاء وقد تكون ضعفاً وإنقراضاً .

وهنا يبدو الفارق بين التطور والتطوير فالتطور يشمل أى تغير يحدث في أوضاع الجماعة سواء في إتجاه تقدمي تصاعدي أو في إتجاه عكسي تنازلي . ثم هو

فوق ذلك ينبغي على أن دوافع هذا التغيير وعوامله إنما يكون منشؤها ذات الشيء ومرورها الى ما فيه من طاقات طبيعية .

اما التطوير فهو على عكس ذلك . يختص أولا بالتغيير التصاعدي الذي تهدف دائما إلى طاب الكمال والحياة الافضل ويتأثر بدوافع خارجة عن طبيعته والقوة الخارجية هي القيادات الاصلاحية والدعوات التقدمية (١)

وهو يعنى الموازنة بين مقتضيات الفكر الاسلامي بما يتضمن من فلسفات وتشريعات ، وبين ما وجد في المجتمع تحت الحاح من عوامل التطوير الضروري في مختلف نواحيه السياسية والاقتصادية والاجتماعية ومن هنا فان التطور لا يمكن أن يكون قانونا تقدميا : أى أن كل طور أفضل من الطور الذى سبقه ورجال النظرية يقولون أن التطور يبدو كحركة دائرة ، إلى امام وإلى أعلى ، وتطور من البسيط الى المركب ومن الاسفل إلى الأعلى ومن السكينة إلى النوعية ،

غير أن التطور هو القانون الذى يتمثل فيه الجهود الإنسانية وتبدو فيه أعمال المتكافين الاختيارية والارادية التى هى مناط الحكم عليها بالخير والشر وبالخطأ والصواب ثم يبلغ ملائمتها أو عدم ملائمتها لصالح المجتمع ورفق الإنسانية .

ولما كان مفهوم التطور قد ارتبط أساسا بالمفهوم المادى الذى استخلصه الفلاسفة من نظرية داردن فقد قام على مفهوم إنكار وجود الخالق ، ويرى أن نشأة الكائنات الحية هى نشأة طبيعية أو من ذاتها . ولكن افكر الاسلامى يرى أنبات الخلق لله لا للطبيعة ووقوع الموت فى الآخرة ، مع الإيمان للكمال بالغيب ، ولذلك فان التطور الذى التسته المذهب الفلاسفة المادية بمعنى إطلاق الحريات الاجتماعية والفكرية على النحو الذى يصل الى الاتحاد والاباحه ليس من مفهوم الفكر الاسلامى ولا هو متقبل فيه . وأن ذلك النحو من الفهم إنما قام فى أورافى ظروف محلية خاصة وليس له قيمة حقيقة فى مجال القيم الإنسانية . وردت حكمة التطور بمفهومها الاسلامى فى الطبقات الكبرى للسبكي وفى مقدمة بن خلدون فى كتاب البدر الطالع للشوكافى قال السبكي ومزكرامات هذه الامة والتطور

(١) راجع بحث الدكتور محمد بيسار عن ( العقائد وأخلاق ) .

باطوار مختلفة وهذا الذي يسميه الصوفية بعالم المثال ويثبتون عالما متوسطا بين عالم الاجسام والارواح ، وأشار ابن خلدون الى أن اهل الدول ابدا يقلدون في طور الحضارة الدول السابقة قبلهم . الخ .

واقعد دارى مناقشات متعددة حول التطور والثبات ، بافتراض أن هناك تناقض حتمى بينهما ، والواقع أن الثبات يبدو نظريا نقيض التطور والحركة ولكن اذا أنعمنا النظر من الناحية العلمية والواقعية وجدنا أن للتطور والحركة ضوابط ، هذه الضوابط بطبيعتها ثابتة باعتبار المقومات والدوافع الأساسية للحركة والتطور ، فالقطار والسيارة والطائرة والصاروخ كلها أجسام متحركة ولكنها فى نفس الوقت محكمة الصنع بضوابط ثابتة ، تنظم حركتها وتيسر اندفاعها باستمرار ، ولولا هذه الضوابط الثانية لسكانت الحركة عشوائية أقرب الى الفوضى ولما اتولدت الحركة قط ، فالقطار يخرج عن مساره اذا أهمل صيانته ، واختلت ضوابطه ، وفقد أحكام صنعه ، والصاروخ ينفجر فى قاعدته اذا اختلت تلك الضوابط .

كذلك المجتمع الانسانى مجتمع دائب الحركة والتطور ولكن هناك ضوابط أساسية تنظم حركته ، هذه الضوابط هى القيم الدينية والخلقية ومن هنا لا يجوز أن نقول أن هذه القيم ثابتة ومن ثم فهى تتناقض مع الحركة ، والواقع انها ضوابط للحركة ، وليست بالقود المعوقة لها ، أما هؤلاء الذين يجارلون تصويرها كذلك استنادا الى نظرية المتنافضات فهم لا يهتمون بالحقائق .

## التعقيل

عبارة وردت على لسان بعض المفكرين في معارضة الحماسة والعاطفة .  
والتعقيل هو العمل الذي يحتكم إلى العقل ويستند إلى شراهد الحس والتجربة .

والمعروف أن ( مصطفى كامل ) داعية الوطنية المصري الكبير كان مصدراً  
من مصادر الوعي واليقظة ظهر بعد أن أصاب المصريين الممودة واليأس على أثر  
الاحتلال البريطاني . ومن هنا فقد كانت صحبته عاملاً هاماً في إيقاظ الوعي  
وتحريك المشاعر ودفع النفوس إلى التطلع العاطفي والروحي بالحرية والوطنية .  
ومن هنا كانت حركته مطبوعة بطابع الحماسة والوجدان والعاطفة ولم يكن في  
الامكان أن تبدأ حركة بعث الأمة بعد يأس إلا عن طريق تلك الشعارات المثيرة  
التي تهز النفس من أمثال قوله : « بلادى بلادى لك حبي وفؤادى ، لك حياتى ونفسى  
أنت أنت الحياة ولا حياة إلا بك يا مصر » .

هذه الدعوة التي حل لوائها مصطفى كامل بعد عشر سنوات من وقرع الاحتلال  
البريطاني كانت مبعث ثقة و يقظة عارمة بين طبقات الشعب المتطلع إلى الحرية .  
وقد ظل مصطفى كامل يشدو بمثل هذه الانغام منذ ١٨٩٣ تقريباً إلى أن توفي  
١٩٠٨ وفي عام ١٩٠٧ ظهرت الجريدة ونشأ حزب الأمة وطلع لطفى السيد  
بتلك الصيحة الداعية إلى « التعقيل » ، والمهاجمة للحماسة والعاطفة . إنطلاقاً من  
مفهوم التفاهم والمصالحة والالتقاء بالانجليز في منتصف الطريق ، على النحو الذي  
كان يطمح كرومر في تحقيقه ، بايجاد طبقة تحمل لواء الحكم في مصر وتوالى  
النفوذ الاجنبى ولا تماذيه وتقبل أوضاعه وتجري مع الامور بجري الاصلاح  
على مراحل ، دون أن يشوبها هذا الطابع من الوطنية الجارفة الذي أئسم بها  
مصطفى كامل وصحف وكتابات الحزب الوطنى والذي كان يتطلع إلى المطالبة  
بالجلاء والحرية كاملة .

ومن حق أن يقال أن طابع الحزب الوطني لم يكن طابعا علميا ولكنه كان  
ضرورة وطنية لابد أن تستهل بها الحركة الوطنية بعد الاحتلال الأجنبي :

غير أن التمهيد الذي دعا إليه لطفى السيد لم يكن قاصراً على هذا المفهوم  
وحدده ولكنه كان غمطاً كاملاً معارضا تمام المعارضة لاتجاهات الحزب  
الوطني السياسية والاجتماعية التي كانت تتسم بالإيمان ، بالوطن وحرارة  
الدفاع عنه :

(م. ٧٠ الاخطاء والشبهات القائمة)  
: هذا السطر من النص...

## التغريب

التغريب في أبسط مفهوم هو حمل المسلمين والعرب على قبول ذهنية الغرب ومحاولة غرس مبادئ التربية الغربية في نفوس المسلمين حتى يشعروا مستغربين في حياتهم وتفكيرهم وحتى تجف في نفوسهم موازين القيم الإسلامية : ويستهدف تحقيق ذلك إيجاد شعور بالنقص في نفوس المسلمين والشرقين عامة وذلك بإثارة الشبهات وتحريف التاريخ الإسلامي ومبادئ الإسلام وثقافتها وأعطاء المعلومات الخاطئة عن أمهله وإتقاص الدور الذي لعبه في تاريخ الثقافة الإنسانية ، ومحاولة إلكار المقومات التاريخية والثقافية والروحية التي تتمثل في ماضي هذه الأمة مع توهين القيم الإسلامية والغض من مقدره اللغة العربية وقطيع أوصال الروابط بين الشعوب العربية والإسلامية .

ومن مخططات التغريب الميلولة دون قيام ( وحدة الفكر ) التي هي مقدمة لوحدة الأمة وبلبة العقول والنفوس بعشرات من المذاهب والدعوات ، وتجميد الفوارق الثقافية والاقتصادية في الأمة الواحدة ، بما يحول دون قيام للوحدة .

وحركة التغريب ( Westernism ) دعوة كاملة لما نظمها وأهدافها ودعائها ، وتخدمها مؤسسات مختلفة أهمها التبشير والاستشراق .

ويقول أصحاب هذه الدعوة أن للمسلمين والعرب قيا ومثلا وذاتية خاصة تحول بينهم وبين الاندماج في الأمم الأخرى وتخلق فيهم قدرة قوية على مقاومة النفوذ الأجنبي والناصب ، ولا سبيل للقضاء على هذه المقاومة إلا صبر هؤلاء في بوتقة الفكر الغربي وأخراجهم من قيمهم لينصهروا في قيم الغرب ، هناك لا يجدوا في أنفسهم مشاعر الخصومة مع ، بل يجدوا طابعا من التقبل والانضواء تحت الوية النفوذ الغربي وفكره والرضى به .

ومن هنا يجرى العمل على إخراج الفكر الإسلامي والثقافة العربية من قيمها وجذورها ومفاهيمها بمحاولة فرض قيم متباينة لا تلتق مع الذوق والنفس والطابع والمزاج العربي الإسلامي ويجرى تحقيق ذلك عن طريق إيجاد النخبة والقادة الذين يتعلمون في مدارس التبشير ومعاهد الإرساليات :



## التقدم

مفهوم التقدم في الاسلام أنه يدفع الانسان دائما الى امام ، والتقدم في الاسلام هو تأكيد القيم الانسانية المطابقة ، وهو تقدم كامل شامل ، يعنى تقدم المادى والروحى معاً ، وهو تقدم سياسى واقتصادى ومعنوى ، وفى مجال التقدم المادى يتحتم أن يكون هذا التقدم منروطا بالقيم الاساسية لاخلاقية بغير اذلاله للخلق . وذلك انطلاقا من مفهوم الاسلام بان الحوافز الروحية تعطى المادى مثلاً أعلى .

وقد علت أصوات غادرة تدعى المسلمين والعرب الى أن الدين معوق عن التقدم ، مانع من النهض . وأن عليهم أن ينفصلوا عنه حتى يتقدموا ، هذه الاصوات ليست خالصة فى ذعوتها وليست صادقة فيما تدبت من نتائج . ذلك أن الاستعمار إنما كان يريد بذلك أن يخرج المسلمين والعرب من ذينهم ليكونوا أساس قيادة وليتصهروا فى بوتقة العالمية فتضيق شخصيتهم وطوابعهم ،

وهى ليست صادقة لأنه إذ كانت أوروبا قد فلت ذلك ، ونجحت بالانفصال عن دينها ، فان المسلمين يفشلون دائماً اذ تحقق لهم هذا الانفصال . ذلك أن أوروبا كانت بطبيعتها لا دينية وكانت المسيحية دخيلة عليها ولذلك سرعان ما لفظتها أو حرقتها ، أما الشرق الاسلامى العربى وهذا العالم الوسط بين الشرق والغرب فقد تشكل والدين جزء من ذاته وتكوينه فهو عنصر أساسى جدرى لا سبيل الى التخلص منه الا اذا اعيد تشكيل الامة من جديد ولا مفر من انزلت الاديان الثلاثة الكبرى فى هذه المنطقة .

ولذلك فالبحر ولة أخراج سامير والعرب من الدين بعام أو الاسلام بحاجة إلى هي تجربة مستحيلة ذلك لأنها مضادة لانحاء النايخ مخالفة لروح التقدم متعارضة مع مزج المسلمين ، ذوقهم والاسلام لم يل مطلقا خلال أرنخه درر التقدم وليس الاسلام الذى وقف أو ينف امام التطور أو النهضة والمصاره ، لأنه كانه

طبيعته مصدراً للبحث العلمى ومنشأ للمذهب العلمى التجريبي الحديث . وأن الحضارة التى أقامها كانت فنتاج إيمان المسلمين به وتحقيقهم لدعوة الدالة إلى النظر فى الآفاق واستطلاع أسباب القوة والعلماء فى الأرض .

وقد أكد المنصفون من الباحثين أن الاسلام قادر على التطور والحركة حتى مجال التقدم ولكن ليس الى الحد الذى يراد به من تبرير القيم الغربية ، فان هناك يفتح الباب لذوبان المسلمين وتلاشى شخصيتهم .

والواضح أن مفهوم التقدم فى الفكر الاسلامى يختلف عن مفهومه فى الفكر الغربى . وتاريخ الاسلام وحضارته ونهضته يستطيع أن يرسم هذا المفهوم حتى وضوح ويقرر حقيقة دور الاسلام والفكر الاسلامى فى التقدم الانسانى .  
سوق هذا يقول العلامة الفراهى مسمر :

إن تقدم العلوم فى الغرب فى وقتنا هذا حصل رغماً عن الدين ، أما دين الاسلام فإلى العكس من ذلك ، أى لا يمكن أن يبقى على قيد الحياة إلا بانتشار العلوم فان بين الاسلام والعلوم رابطة كلية . والغربى إذا صار عالماً ترك دينه أما المسلم فإما لا يترك دينه إلا إذا صار جاهلاً وبأى وجه يمكن نسبة التقدم الحالى إلى الدين النصرانى ، والحال أنه ما جاء إلا بعد خمسة عشر قرناً من ظهوره وبأى وجه يمكن نسبة تأخر المسلمين الحالى الى دينهم وفى عام ٧٤٣م أى بعد مائة واحد عشر سنة من وفاه ( محمد ) كانت دولة لإسلام أكبر من دولة الإسكندر المقدونى وفى عام ١٥٦٦ عند وفاة السلطان سليم كانت أكبر من مملكة الرومانيين . وبذلك يتضح أن عظمة الإسلام مكثت ألف سنة وكل من يعرف أنه لا يمكن الوصول الى مثل هذه الدرجة من الامور السياسية والحربية إلا بالعلوم ولتجدد . .

وفد اشار الى مفهوم التقدم وارتباطه بالإسلام العلامة جوستاف لوبون حين قال للشأن المسلمين الذين زاروه فى بيته بباريس فى أوائل هذا القرن :  
كان السبب فى انقطاع الشرق هو تركه روح ادين وتشبعه بالعقائد الباطلة وأن عبادة الدين قره أدبية كما أن الشعب الذى يريد الرقى يجب ألا يقطع الصلة التى تربطه بما سبه وقال أن العلوم لا تفيد المسلمين إلا إذا اقترنت بدينهم

## التكامل

هذا مصطلح إسلامي أساساً يكشف عن فوارق عميقة بين الفكر الإسلامي والعربي والفكر الغربي . فالفكر الإسلامي يؤمن بتكامل وحداته وعناصره المختلفة والتقاطها على الهدف الإلهامي للفكر وهو بناء شخصية الفرد وبناء المجتمع .

وابرز سمات التكامل في الفكر الإسلامي هو التوازن والموافاة والتفسيق بين تيارات الوحدات المختلفة واتجاهاتها ، بحيث يحميها من التعارض أو التضارب أو التخلف ويحول بينها وبين خلق جو من الصراع ، بحيث يلقى فروع الاجتماع والسياسة والاقتصاد والتربية والقانون على مفهوم متكامل أساسه بناء الفرد والجماعة ودفعها إلى التقدم والبناء والنمو وإداء الرسالة الإنسانية الأساسية التي يقوم الفكر الإنساني من أجل بنائها وحمايتها ودفعها إلى الأمام ، عندما يتم هذا الاقواء يمكن لهذه الرسالة أن تتحقق غايتها وهذا لا يتم إلا بوجود جو من التكامل بين هذه الفروع المختلفة من الفكر تستهدف غاية موحدة وتقوم على أساس فهم واحد مستمد من القرآن والإسلام .

أما الفكر الغربي فقد قام أساساً على غير ذلك ، بل على عكس ذلك ، قام على أساس الانفصال والتخصص والتباعد ، بين كل من أعمال العاملين في مجال الاجتماع والسياسة والاقتصاد والتربية والقانون أو أنه حين دفع هذه الفروع إلى العمل لم يخلق بينها ذلك الربط الأساسي والحملي الذي يربط أجزاء الفكر الإسلامي وهو الأخلاق ، والارتباط بالتوحيد والإيمان برسالة السماء التي يمثلها الإسلام ويرسم القرآن منهجها وطريقها ، بحيث يظل الفكر الإسلامي يستمد منها ويستمد في فلسفها ويستمدف الغاية من عمله تحقيق منهج رباني في مجال الفكر والحضارة إن الفكر الغربي ليس مرتبطاً في حركته بمسؤولية عقائديه أو اختلافة تنظيم وحداته كما التزم بذلك الفكر الإسلامي استمداداً من الإسلام ولذلك فقد حاول دعاة التنزيب التأثير في طابع التكامل الذي يتسم به الفكر الإسلامي بنحو أن تجزئة هذه الفروع ومن ذلك إعطاء الأدب مثلاً حرية خاصة تخرج به عن هدف بناء المجتمع ، أو الفصل بين الدين والمجتمع في مجال الحضارة

أو تفريغ السياسة من القيم الاخلاقية ، أو بناء الاقتصاد على الأساس المادى  
الخالص بينما هو فى الاسلام لا يقوم إلا على أساس التكامل بين المادة والروح ،  
والدنيا والآخرة .

ومحاولة التجزئة هذه لها إبعاد خطيرة حين يحاول الفكر الإسلامى الأخذ بها  
فإنها تصرفه عن منهجه الأصيل وتخرجه عن مساره الحقيقى المبتدى بأهداف  
الاسلام ومنهج القرآن .

ولذلك فإن الدعوة إلى التكامل ولفت النظر إليها إنما هى من الأسس التى  
لا شك فيها لتحرير الفكر الإسلامى والثقافة العربية من التبعية والغزو والتفريب  
ووضعها على الطريق الصحيح .

## التورائية

ليس هناك رأى واحد في كتابات من كتبوا عن التوراه من الباحثين والعلماء الغربيين يحزم بان التوراه المتداولة اليوم هي كتاب سماوى ، وحدث ما كتب في هذا العدد عدد خاص من مجلة لايف باسم الكتاب المقدس صدر في أبريل ١٩٦٥ ومن قبل ذلك صدور عديد من الدراسات والابحاث في الشرق والغرب تشير الى ان التوراه لم تعد كتاب علم وتشريع بعد أن وكل الغربيون امر العلم وسن الشرائع للانسان — على حد تعبير الدكتور أنيس فريجه ، الذى يرى أن ذلك قد جرر الانسان — الاوروبى من مقدس الحرف — فشمع انه حرق طليق من كل قيد ينظر فى الكون بعقله ويحس الجلال فى روحه ويرى الدكتور فريجه (١) فى بحثه باسم نقد التوراه ، أن هذا النقد هو ظاهره عامة فى هذا العصر ، من أجل إعادة النظر فى الدين والتوكيد على الانسان وعظمته والتقليل من اهمية الحرف وهى عوامل أساسية فى الفكر الغربى المعاصر ، حيث الانسان سيد نفسه له أن يفهم الكون بعقله ويرى هذا الباحث نقلا عن عدد كبير من الباحثين أن نقد نصوص الكتاب المقدس أصبحت اليوم ضرورة من أجل معرفة كتابها وأزمنة وضع مختلف أسماها ، وقد أدى هذا النقد الى اكتشاف فوارق فى الأسلوب وتناقض فى الروايات عن الحادث الواحد وتباين فى الأوامر التى يفترض أنها من مصدر واحد ، ويعقب على ذلك بقوله « بما جعل القول بان كل كلمة وكل نقطة من النصوص المقدسه هي وحى الى حرقى أمراً بالغ الصعوبة » ويقول : لقد كان الناس يستفيدون جيلا بعد جيل أن الكتب الخمسة الأولى من التوراه ( تكوين : خروج : لاويين : عدد : تثنية ) كتبها كلها النبى موسى مع أن مثل هذا القول لا يرد فى التوراه ذاتها ، وانه حين طبقت مقاييس البحث العلمى التى استعملت فى دراسة وثائق القرون الوسطى ثبت بما لا يدع مجالا للشك أن الامر خلاف ذلك (٢)

« والتوراة » كلمة عبرية الاصل معناها توجيه وتعليم ، ثم شرع وقانون . وقد اطلق لفظ التوراه اعلى الاسفار الخمسة المعروفة باسماء موسى بحسبان موسى هو صاحبها ( وعبرة الدكتور أنيس فريجه في هذا الصدد هي ) توها أن موسى مؤلفها ) أما في العربية فان لفظ « توراه » يطلق موسما على كتاب المقدس بجملته : أى بعهديه القديم والجديد ( ٦٦ كتابا ) .

ويقول الدكتور فريجه : لا يعلم بالضبط متى كتبت التوراه . ليس لدينا أدلة قاطعة سوى تلك التي جاءت نتيجة التحليل اللغوي والتاريخي للنصوص إذاتها . والنص العربي الذي ضبطت أحكامه بين القرن ٨ ، ٦ الميلادي فقد حدث في هذه الفترة شبه تسابق الى ضبط صرف السرياني والعبرية ، وذلك بسبب ظهور الاسلام وحرصه العجيب على الحفاظ على اللغة التي نزل بها الوحي . ويقول الدكتور فريجه أيضا : أن ترتيب الكتاب الذي استقر عليه يعود الى زمن أبعد من الزمن الذي ضبط فيه النص ( والمجمع عليه هو بدء القرن الثاني لليلاد ، ويرجع زمن تأليفها - أى التوراه - الى ما قبل المسيح ، وقد اعترف بقديسيها في القرن الخامس قبل المسيح ( ٤٤٤ ق م ) وكتب الأنبياء ( ٢٥٠ - ٢٠٠ ق م ) والكتب المقدسة بين ( ١٥٠ ق الى ١٠٠ ب م ) ولا يعرف أسماء المؤلفين ولا زمن التأليف بالضبط . وهناك إجماع على أن أقدم كاتب قد ظهر في يهوذا في القسم الجنوبي من فلسطين في القرن ١٠ ، ٩ ق م ) وحاول أن يكتب قصة الخليقة ويتميز أسلوب هذا الكاتب بدقة الوصف والحرارة الدقيقة التي تشيع في كتاباته وجاء بعده كاتب دني آخر دون قاريخ شعبه ( شمالي ) فلسطين وجاء كتاب آخرون متدهون .

ويقول الباحثون أن الشروع في دراسة التوراه دراسة نقدية لم يبدأ الا بعد القرن السابع عشر حيث جرى تطبيق قواعد النقد الادبي على التوراه وأن ذلك جاء نتيجة مباشرة للثورة الانجيلية ضد الكنيسة البابوية . بهدف التخلص من رتبة التقليد الكنسي ، وندم أن تقدم العلوم ساعد على نقد التوراه حيث آثار البناقض الواضح بين ما أنبته العلم وما جاء في التوراه شكاً وقلقا روحيا وإبرز

هذه التناقضات أن التوراه قالت أن الارض ثابتة . وعندما انجحت أفكار  
النزييين إلى الادب الاغريقي والروماني أحدث ذلك رد فعل ضد الكتاب المقدس  
وظهرت الدعوة إلى أن الفكر الشرقي لا يتلائم مع روح أوروبا ، وقد أشار الدكتور  
أنيس فريجه إلى ما أصاب التوراه من تغيير وتحريف ، وقال أن هناك اغلاطا منشؤها  
السهر والكسل والملل ، أو ضعف النظر ، وإذا كان الناصخ غير أمين في عمله  
عندما يعرض كلمة لا يستطيع قرائتها فإنه يعود إلى تغيير الكلمة أو تحويل  
النص بكامله ليستقيم المعنى فضلا عن أن كثيرا من هوامش المعلقين والشرح  
كانت تحشر في المتن ولم ينج نص التوراه من كل هذه الافات ، فجاء نصها  
مشوها قلقا غامضا في كثير من الاسفار . وقد جرت الدراسات إلى نقد التوراه  
وهل هي شعر أم نثر أم تاريخ أم دين وجرى البحث حول شخصية المؤلفين وهل  
هي شخصيات تاريخية أم أسماء وهمية .

واعتبرت التوراه وأدبا ، في نظر الباحثين أوقسا كبيرا منها اعتبر من الفنون  
الادبية ويرى بعض النقاد أنها دراما بطلها ديهوه ، يبدأ الفصل الاول بقصة الخليقة ،  
وظهر الانسان الاول فيمتع في الحديقة ويطرد من الفردوس ويرى قسم آخر أنها أقرب  
إلى الملحمه ، ملحمة الخلاص ، ويقول الدكتور فريجه أن من نتائج هذه الدراسات  
التقديية للتوراه أن اخذ الانسان في إعادة النظر في نشأة الدين .

وقد جاء في دراسات الكتاب المقدس في مجلة لايف ان التوراه أوسع  
الكتب انتشارا ومن أكبرها اثرا في تاريخ البشر ولكنها مع ذلك كتاب كتبه  
الانسان وأن مؤلفيه يحملون أسماء دائمة الصيت مثل : ( بسياه ، ايزبكيل ،  
جرمياه ، القديس بول ) . ولكن أغلب كلماتها كتبها أشخاص آخرون  
لا يعرف احد من هم ولا يمكن معرفتهم في يوم من الأيام ، فقد ظل الوحي  
الإلهي إلى الانسان ينتقل من الاب إلى الابن ألف سنة تقريبا بعد ابراهيم من غير  
أن يكتب وبعد ذلك فقط بدأ اليهود في تدوينه وكان ذلك قبل ألف سنة تقريبا  
من ميلاد المسيح فأخذوا يسجلون القصص والقصائد القديمة وأضافوا إليها قصص  
وقصائد أخرى جديدة .

وقد استلزم الأمر أن تعاد كتابة نفاقهم عدة مرات وأن ينقل وينسخ ، مما  
أوجد فرصا عديدة لالتحصى لتغييراته كثيرة لاحد لها بعضها مقصود والبعض  
الآخر غير مقصود . ولما بدأت المسيحية تنتشر بسرعة ازدادت الحاجة إلى عمل  
نسخ جديدة لاسيا العهد الجديد ، وأخذ كثير من المؤمنين يصنعون نسخا لأنفسهم  
بأنفسهم أو كان احدهم يقرأ بصوت مرتفع في (النسخ) بينما كان يتلقى عنه ما  
يقرب من اثني عشر ناسخ . وهذا ما مهد الطريق لاختفاء أكثر وأكثر ، لذلك  
فأنه لا يوجد اليوم أى نص (أصلى) لآى جزء من الكتاب وربما حوى العهد  
الجديد تغييرات أكثر وابلغ من العهد القديم . (١)

وقد اشارت هذه الابحاث إلى أن الكتاب المقدس كتب أول ما كتب باللغة  
العبرية القديمة واللغة الكوثينية أى الاغريقية الا أنه عاش أكثر ما عاش في  
الترجمة : وقد اصبحت الابحاث أن كل الترجمات ناقصة قاصرة ، وكانت طريق المترجمين  
محفوفة بالمخاطر والصعوبات فقد عجز القديس جيروم نفسه عن ارضاء الكنائس  
المعاصرة له والتمشى مع ذوقها وميولها .

وبعد فإن هذه الدراسات (الاوربية وما قبل فيها يفوق ما أوردناه) إنما تمثل  
موقف الفكر الغربى نقداً وإثارة للشبهات حول صحة التوراه الموجودة الآن  
وصحتها بالتوراه المنزلة من عند الله ، وهذا كله معروض للقول في مواجهة  
الحملات الاستعمارية والبشرية والتفريبية الخطيرة ومحاولاتها في اذاعة التوراه  
وتوزيعها في العالم كله من حيث أنها وثيقة تاريخية ودينية ويؤخذ من احصاء  
جمعية التوراه في نيويورك أن الكتاب المقدس نقل إلى ١٢ لغة غير اللغات الاوربية  
(عام ١٩١٨) ويقدر عدد النسخ التى وزعت من التوراه في العالم وفي جميع  
اللغات التى ترجمت اليها بأكثر من ٣٠ مليون نسخه وقد عمد كثير من الكتاب  
وخاصة الادباء المهجرون وفي مقدمتهم جبران خليل جبران وميخائيل نعيمة إلى  
نقل أسلوب التوراه إلى الالهام العربى وقد وصف ميخائيل نعيمة بأنه ربيب  
التسكوين الذى تغذى بالعهد القديم من آيات شعرية نافذة العبير السحرى مثل

(١) عن بحث الدكتور أمير رضا - الوعى الاسلامى - مايو ١٩٦٦



المزامير وشعر الجامعة وسفر أيوب ونشيد الاشاد حيث لا تخلو مقال من مقالات نعيمه ولا تخلو وأحد منها من تعبير شعر ديني أو من آية أو بضع آيات برعها ويطلق على هذه النعج : الاسلوب التوراني وهو أسلوب عرف منذ راجع ابراهيم اليازجى ترجمة الاناجيل التي قام بها الامريكيون في اوائل القرن وقد رغب اليازجى أن يتصرف في بعض كلمات الترجمة ويتخير الماظها ويزيل عجمتها ويخلصها من فساد التركيب وسوء التاليف فجعل بينه وبين ذلك ومنع منه ، وبذلك نشأت لغة تورانية عامية ركيكة التركيب ، وقد حاولت هذه اللغة غزو اللغة العربية الفصحى بمحاولات جبران ونعيمة ولكنها تراجعت بعد فترة من الزمن عاجزة عن تحقيق أى تحول في الاسلوب العربي القراءى المصدر.

وكان المستشرق كالمغاير قد أشار في ترجمته لجبران إلى أن تأثير الترجمة العربية للتوراة ظاهر في أسلوبه وخاصة فيما يتعلق بالرموز والاستعارات والمجازات .

ومن الحق أن يذكر أن (التوراة) كانت مستوحى الكتاب في الغرب أمثال فكيور هيجو ولامرتين وجوتيه وتوماس مور والفردى دى في وملتون .

أما في اللغة العربية فإن الدكتور أنيس فريجه يشهد بأنه ليس لها أثر كبير في الأدب العربي فيما عدا محاولات جبران ونعيمة التي أخفقت ، فليس هناك غير محاولات ساذجة من بعض الشعراء الذين يكتبون قصيدة النثر يستعملون فيها عبارات الخلاص والخطيئة وغيرها وهي كلمات ليست أصيلة في الفكر العربي وفي نفس الوقت يمكن القول بأن القرآن الكريم والحديث النبوي قد كانا ولا يزالان المصدرين الهامين من مصادر الاسلوب الادبي والاداء الفكري والموضوعي ، وفي مجال الدراسات العلمية والاجتماعية والسياسية والاقتصادية وليس في مجال القصة أو التاريخ وحدهما .

وفضلا عن ذلك فقد ظل القرآن بعيدا عن كل اهتمام بالخاط والاضطراب أو الشك حول نصه أو مضمونه فضلا عن أنه لم تثبت قط أى معارضة في لوصفه لاي

نظريات عليّة حديثة أو اختلاف مع المنهج العلمي الحديث من ناحية مصادره  
أو مضمونه أو النصوص الواردة فيه .

وقد حاول الدكتور طه حسين أن يقف منه موقف كتاب الغرب من التوراه  
بنقد النص الأدبي أو التاريخي والسكتة فشل فشلا ذريعا وتحطمت محاولته  
ومحاولة تابعيه أمام وثاقة النص القرآني وسلامته ، وهجز التنبّهات التي جمعها  
الدكتور طه حسين من المبشرين والمستشرقين عن أن تقدم شيئا له أهميته أو من  
شأنه أن يثبت أمام التحقيق العلمي أو العقلي :

## التوحيد

يقسم الاسلام بسمة واحدة كبرى اُصلية تمثل محور عقيدته وشريعته ونظامه الاجتماعي كله تلك هي التوحيد ، وعليها تقوم الفواعد الاخلاقية والفكرية والعقائدية والوجدانية جميعا ، هو الله الذي لا اله الا هو عالم الغيب والشهادة هو الرحمن الرحيم ، والتوحيد هو مفهوم الفطرة السليمة التي تتمثل في أنه لا معبود سوا خالق ولا رزاق ولا ضار ولا نافع غير الله سبحانه وتعالى .

والتوحيد في مفهومه الاصيل هو أن يثق الإنسان ربه في كل أماله ولا يرى سوى الله وحده سيّدا وهدفا ، فليس غيره من يخشى أو إليه يلجئ ، أو يستند ، فإذا عرف الإنسان مفهوم التوحيد معرفة كاملة دفعة ذلك إلى الصدق والخير والشجاعة فلا يرى غير الله ولا يخشى سواه . ومن هذا المفهوم نفسه يقوم كيان الفكر الاسلامي كله في مختلف الجوانب السياسية والاجتماعية والاقتصادية :

وقد وقعت البشرية في اخطاء الوثنية والتعدد والشرك والإنكار الكلي وتآلية البشر وغيرهم نتيجة لقصور في الادراك وخطأ في التصور وقد وصل بها ذلك إلى مراحل عديدة من الاضطراب والتخبط والبعد عن مناهج العدل والحق .

ذلك أن مفهوم التوحيد في الاسلام إنما يرسم دائرة كاملة للمجتمع والفكر الإنساني كله فوامها سيادة الإنسان للكون تحت حكم الله وللتقاء القيم الروحية بالقيمة المادية ، وإرباط القلب بالعقل ، والدنيا بالآخرة . ومن هنا فإن جوهر الاديان في مفهوم الاسلام واحد لا يتغير وإنما نشأت الانحرافات بمرور الزمن ، والدين واحد على لسان جميع الانبياء والرسل وشرع لكم من الدين ما أوصى به نوحا والذي أوحينا لإبراهيم وما وصينا به إبراهيم وموسى وعيسى أن أقيموا الدين ولا تفرقوا فيه ، وقوام التوحيد أعلاء الله سبحانه عن الشريك والشبيه وشجب عبادة الاصنام والانحياز إلى الاعتقاد بوجود الله من طريق التأمل والبصيرة والعقل والدليل والايمان بقوة عليا مهيمنة .

والتوحيد غير الثنوية وغير التثليث مما أقول به بعض والمذاهب الأخرى

والتثليث ليس خاصا بدين معين فإن بعض الإديان القديمة غير المنزلة فيها تثليث خاص بها . وهناك الثالث الفرعوني والاغريقي والهندي .

أما في الإسلام فإن الله منزّه عن المشابهة والمشاكلة وأنه لا يجوز عليه اتحاد وتركيب بل لا يجوز أن نتناول التكلم في ذاته المقدسة بقولنا القاصرة ، ليس كمثل شيء ، ولا يحيطون به علما ، ولا شك أن الإديان كلها قامت على التوحيد ، ولكن بعد وفاة الرسل تدخل الأمم إلى تعاليمهم جميع أهوائها الموروثة لها من الوثنية الأولى من التشبيه والتجسيد والتعديد في ذات الخالق ، أما الإديان في مبادئها فكانت بريئة من ذلك كله . وكان أتباعها الأولون على غير ما عليه أشياءها الآخرون (١) .

ويقول الدكتور حسن صعب أن قاعدة الإسلام الأزلية هي الاعتقاد بوجود الله التي لا تتغير يتغير الزمان والمكان .

وحقيقة كونه واحد هي حقيقة لا يأتها الباطل من قريب ولا من بعيد وكل الدهوات الباطلة تتحدى هذه الحقيقة بالإنكار والمبالاة ويتحداها بالفي والاستهزاء .

وتمطى عقيدة التوحيد للسلم أعلاء الله سبحانه على كل عظيم ، فلا تعبد الأفراد ولا الأبطال ولا الصالحين ولا الأوصياء وتقدر أعمال الناس بأعمالهم لا بأحسابهم ولا بمكانتهم المادية ولا أضولهم ولا أساجهم والترحيد هو الذي يقرر المفهوم المطلق الذي يفتح الباب بين الإنسان والله سبحانه عن مصراعيه بغير واسطة أو وساية .

، وإذا سألك عبادي عنى فانى قريب ، وفى ذلك قول الرسول وإذا ( سألت  
فاسأل الله وإذا استعنت فاستعن بالله ) .

فانه خالق كل شىء ، وإليه ىرد كل أمر ولا يقطع قضاء إلا بأذنه ( والله فى  
العقيدة الإسلامية وجود كامل متصف بالحياة والعلم والقوة والارادة . والله المثل  
الاعلى ) وايس كمثل شىء ، وهو واجب الوجود - والإنسان وفق هذا المفهوم من  
التوحيد : حر مسئول ، لا ىقر بالجبرية ولا ىقبل بالقدرية .

## الثورة الفرنسية

شغلت الثورة الفرنسية جزءاً كبيراً في الفكر الاسلامي الحديث وهدما كثيرون مصدر النهضة واليقظة في العالم الاسلامي والامة العربية ورتبوا على وجودها كل مظاهر التقدم الفكري والاجتماعي ولم يكن هذا هو الحق بوجه من الوجوه ، فقد بدأت اليقظة في العالم العربي كحركة طبيعية تلقائية داخلية عرفها التاريخ الاسلامي في عديد من مراحلها ، حيث تنبعت الحركة من الداخل ولكن اصحاب هذا القول كانوا دائماً دعاة التغريب وصنائع المستشرقين والمبشرين والعاملين على محاولة صبغ اليقظة العربية الاسلامية الحديثة بطابع غربي بينما تنقسم هذه اليقظة بعربية ولامسلمية المصادر والبواعث والمراحل المختلفة .

والثورة الفرنسية حركة غربية مرتبطة بالمجتمع الاوربي ولها بواعثها التي من أهمها : محاولة حصول طبقات معينة من المجتمع كانت معزولة عن الحياة على حقها في الحرية والعمل والمشاركة في النشاط السياسي وأهم هذه الطبقات هم اليهود حولهم يغري قيام هذه الثورة :

ويمكن القول بان الثورة الفرنسية كانت بمثابة رد الفعل الذي واجه الفكر الغربي في العصر الحديث بعد إصابته بالفكر الاسلامي فان الحرية والاخاء والمساواة وهي شعارات الثورة إنما استمدت أساساً من الاسلام وهي حلقة من الحلقات المتصلة بتأثيرات الاسلام في الفكر الغربي والمجتمع الاوربي والتي بدأت بحركة لوثر وكالفن وقد تمثلت في أولا : إلغاء الوساطة بين الله والناس ثم تمثلت في الثورة الفرنسية ثم في الدعوة إلى إلغاء نفوذ الإشراف ورجال الدين ومحو الفوارق بين الطبقات .

وقد أشارت إلى هذا المعنى واكدته ابحاث كثيرة ، مالت الى الاعتقاد بان الثورة الفرنسية بروحها كانت وليدة التعاليم الاسلامية والتراث العربي .

ففي القرن الثامن عشر كانت الثقافة الاسلامية قد أثرت إلى حد كبير في أذهان مفكرى أوروبا وادبائها والفرنسين منهم خاصة . وكانت كلمات عمر بن الخطاب من مثل قوله « منى أستعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحراراً » هي الأصل في رجال الثورة الفرنسية « يولد الناس ويعيشون أحراراً متساوين في الحقوق » وقد ثبت اطلاع مفكرى فرنسا وفلاسفتها على التراث الاسلامى أطلاعاً كبيراً يقطع بهذه الصلة التي لا ريب فيها وهي أنهم تأثروا بما وقفوا عليه من مفاهيم الاسلام في الحكم والشورى والعدل والمساواة .

ويتصل بهذا ما ذكره رفيف خورى في كتابه عن الثورة الفرنسية نقلاً عن رفاعة الطهطاوى حيث يقول : « قرأت جزأين من كتاب روح الشرائع لمؤلفه مونتسكيو ويلقب عندهم بابن خلدون الافرنجى ، فرسكو إذن أطلع أطلاعاً مؤكداً على آراء فيلسوفنا الاجتماعى ابن خلدون فما الذى يمنع أن يكون روسو وسواه من مواطنه قد أطلعوا أيضاً على الشيء أكثر من التراث الاسلامى .

ويقول « أوليس من المعجب أن يستعمل المفكر الفرنسى روسو كلمة جارية ابن قدامه « عهدا وميثاقا » في جبين كتابه الذى كان إنجيل الثورة الفرنسية كما لقبوه ، أو ليس المعجب أن نقول جارية للخليفة : ( أعطينا عهدا وميثاقاً وأعطيناك سماً وطاعة فان وفيت لنا وفينا لك وأن نزعك إلى غير ذلك فأننا تركنا وراءنا رجالاً أشدأداً والسنة حدادا ) وفي هذه الكلمات المحدودات زبدة المساواة التي ارتكزت عليها الثورة الفرنسية .

ومعنى هذا أن الفرنسى الحديث تتلذذ على المسلم العربى القديم ، ومن غرسك أن إطلاع فلاسفة فرنسا وكتابها على الفكر الاسلامى قد خلق فيهم استعداداً نفسياً كبيراً للثورة - هذا هو الواقع الذى أنكره كتابنا للعرب والمسلمون حين كتبوا عن الثورة الفرنسية وصوروها على انها كانت بعيدة الأثر في الفكر العربى الاسلامى دون أن يذكروا انها استمدت وجودها منه أصلاً ، ومن الحق أن يقال أن كتابات أدهاننا عن الثورة الفرنسية إنما كانت تحاول أن تصور عظمة فرنسا وتأخر العرب والمسلمين لتلقى ظلاً من التبعية والاضباب بالغرب والولا . الفكرى م ٨ - التشبهات والاختلافات الشائعة

والسياسي دون أن يعرف هؤلاء أبعاد الهدف الذي اتخذوا مخدوعين كخالب قحط  
له ، ذلك الهدف هو إعطاء الثورة الفرنسية مسحة قداسة حتى تخفى بواعثها  
الحقيقية التي كان من ورائها اليهود .

ذلك أن ماحققته الثورة الفرنسية باعتراف قطب من كتاب فرنسا هو  
جوستاف لوبون ، كان سيتحقق طبيعياً دون قيام هذه الثورة ، ولكن الهدف من  
الثورة في تقديرنا إنما كان في أن يصل اليهود إلى مقاليد الإدارات السياسية ومكان  
الصدارة ليس في فرنسا وحدها في أوربا جميعاً ، وإذا كانت مبادئ الثورة الفرنسية  
كانت ذات أثر في العالم الإسلامي فإن هذه المبادئ أساساً هي بضاعة الإسلام  
والعرب ولاخير من أن ترد إليهم ، هذا مع التأكيد الواضح على أن ميشافا لحقوق  
الإنسان قد وقع أمره المماليك في مصر للشعب بقيادة علمائه عام ١٧٩٧ حيث  
لم تكن آثار الثورة الفرنسية قد وصلت إلى الشرق وقبل وصول الحملة الفرنسية بما  
يؤكد أن نقطة الشرق ونهضة إنما كانت مستمدة من أعماقه وأن الاحتكاك الغربي قد  
وسع الجوانب ولكنه لم يكن المصدر الأول ولا الباعث السابق أو الوحيد .



## الجرح والتعديل

كان من أعظم ما قصد إليه مفكرو الاسلام في سبيل توثيق النص، وحمايته من هجوم خصوم الاسلام والغزو الفكري هو إنشاء علم الجرح والتعديل أو علم أسماء الرجال وهو ميزان دقيق يكشف خصائص الباحثين والثقة بصفاتهم ويجعل من سواهم موضع الشك والريبة ومن ثم فلا يؤخذ العلم منهم .

وقد وصف الدكتور أسبرنجر هذا العلم بقوله :

لم تعرف أمة في التاريخ ولا توجد الآن على ظهر الارض أمة دقت لإختراع فن أسماء الرجال الذي نستطيع بفضله أن نقف على ترجمة خمسمائة ألف ( نصف مليون ) من الرجال المسلمين ، وقد ألزم المحدثون الصدق والصراسة في دراسة هؤلاء الرجال وجميع ما يتصل بهم وما يدل على تفوقهم ويقظتهم واحتياطهم ونسألهم .

ويمكن أن يسمى هذا العلم بعلم الكشف عن الشبهات، التي يدسها اعداء الفكر الاسلامي وخصومه ، والتي تحمل أحيانا طابعا بارعا وظاهرا متقبلا وصياغة براقا ربما خفيت على البسطاء والغافلين عن خطر من لبسوا ثوب الاسلام وعملوا على هدمه من الداخل من اتباع المجوسية والباطنية والديانات القديمة والفلسفات الغنوصية والوثنية .

ومن هنا فقد حرص مفكرو الاسلام على وضع قواعد عامة لعلم الكشف عن الشبهات من شأنها أن تكشف هؤلاء الخصوم وأن ترد الناس إلى الحقيقة وأن تقيم حصانة دائمة ويقظة مستمرة إزاء مثل هذه المحاولات في مواجهة هذه الشبهات .

وقد أصبح هذا المنهج الذي أصطنعه رجال الحديث من بعد ضروريا في مختلف مجالات الحياة الفكرية العربية الاسلامية وذلك لكشف عن حقائق الامور في حياة الباحثين والمفكرين ومعرفة اتجاهاتهم وهوياتهم وطوايفهم .

وقد وجه علم الجرح والتعديل إهتمامه إلى عدة عناصر مامة في هذا المجال منها :

أولاً — لابد من معرفة تاريخ الرجال وأهوائهم قبل معرفة أقوال الرجال .

ثانياً — لابد من إلقاء نظرة شاملة على الأمور ، لا نظرة جزئية .

ثالثاً — كل قول يؤخذ منه ويترك الا قول الرسول المعصوم صلى الله عليه وسلم .

رابعاً — العلم والمعرفة ملك للناس جميعا ، أما الفكر وللثقافة فربطان بالقول والأرواح ولكل فكر قيمه وأسسه ومفاهيمه .

خامساً — يرفض قول أصحاب البدع والأهواء .

سادساً — لابد من وجود مطابقة اخلاقية كاملة بين حياة كل باحث ومفكر وبين فكره .

سابعاً — لا يقبل رأى من لا تتوفر فيه الثقة الاخلاقية والعدالة والكرامة .

وإذا نحن راجعنا تاريخ الفكر الاسلامي وتطوره وجدناه قد واجه نوعين من التحدى .

( النوع الاول ) : التطور الانساني في قطاعه الافقى والرأسى ( ١ ) الافقى مع تغير الازمنة ( ٢ ) والرأسى مع اختلاف البيئات .

( النوع الثانى ) : يتمثل في التحديات الخارجية المتمثلة في الفلسفات والاديان والمذاهب القديمة التي تحاول فرض مفاهيمها وتعاليمها . وقد حاولت هذه التحديات هدم أو تدمير مفومات الفكر الاسلامى ، وقد تمثلت هذه التحديات في دعوات أو حركات مختلفة : كالراوندية والبابكية والحرمية والمقنعة والباطنية وغيرها .

وقد أثارَت هذه الفرق عديدا من الشبهات والقضايا التي نقلتها من الاديان والفلسفات القديمة : كالمجوسية والزرادشتية والمناوية والمزدكية ، وذلك لمحاولة

تغيير جوهر الفكر الاسلامي وتحويله عن قيمه الاساسية ، وقد انصببت هذه التحيزات على تحريف مفهوم التوحيد والنبوه وما وراء المادة والبعث والجزاء واثارت إلى جانب ذلك دعوات إلى الالحاد والاباحه ، كما اثارت دعوات إلى الوثنية والتعطيل . كما اثارت قضية ظاهر الكلمات وباطنها وذلك يقصد قطع الصلة بين المعاني والكلمات واللباس العقائد الوثنية ثيابا اسلامية تهدف إلى زعزعة إيمان الناس في الاسلام وإعادة بعث دياناتهم القديمة وإدخالها في الاسلام .

وقد اسقطاع المفكرون المسلمون عن طريق علم الكشف عن الغيبات دحض كل هذه المفتريات بعد كشفها وكشف الدعاة عنها ومن ثم فشلت هذه الدعوة كما فشلت دعوات كثيرة من قبلها ومن بعدها .

## الجبرية

حاول كتاب التغريب وصف الاسلام بالجبرية لموقفه من قضية القضاء والقدر ، وفي ظل مرحلة الضعف التي مرت بالعالم الاسلامي ، هذه المرحلة التي يحاول خصوم الاسلام عزو أسبابها إلى الاسلام ، والواقع أن مفهوم القضاء والقدر مفهوم إيجابي بناء وقد كان مصدر انتصار المسلمين وقوتهم ، وكان قوة دافعة في حياتهم فهو الذي حرضهم على أن يهبوا أرواحهم خالصة لله فلا يخشون الموت . ولقد فرق المسلمون دوماً بين التوكل على الله مع العمل والحركة وبين التواكل ولقد كانت الشبهة التي يثيرها خصوم الاسلام دوماً تتركز في القضاء على هذا الفرق الواضح .

ومن هنا كان « اصطلاح » الجبرية التي أريد به ، أقرار مفهوم التواكل والاستسلام للأقدار وهو غير ماعرفه الاسلام .

وقد انتشرت فكرة الجبرية في القرون الأخيرة السابقة لحركة اليقظة الاسلامية المصدر ، نتيجة لانتشار مفهوم خاطئ جاء في أطوار التصوف حين تأثر بالمذاهب الاغريقية والغنوصية الشرقية فيما يتصل بالقول بوحدة الوجود والحلول والاتحاد وغيرها من المفاهيم البعيدة عن جوهر الاسلام المطهور أساساً بطابع الوحدانية الخالص .

وذلك فقد كانت أولى بواعت حركة اليقظة الاسلامية التي انبثقت من الجزيرة العربية والازهر قائمة على التوحيد وفي مواجهة خطر الجبرية التي ليست من أصول الاسلام . وإنما جاءت انحرافاً عن مفهوم الاسلام الصحيح وأطلق على دعوات التواكل والاستسلام للأقدار على النحو الذي خاق شبهات عديدة حول موقف الاسلام الواضح لإزاء العمل والمستمرية الفردية التي هي عماد مفهوم الاسلام .

ومن الحق أن يقال أنه ليس في مفهوم القدر الاسلامي ما يميّث شجاعة المسلم أو يؤدي إلى فتور همته ، وأن هذا القدر مرادف لسنة الـكون التي تهيمن على جميع أعمال الناس وقد أكد القرآن حرية الإنسان وتأثير إرادته في عمل الخير والشر .

## الجهاد

الجهاد فريضة من فرائض الاسلام الأساسية : تعنى حماية الفكرة والامة من عدوان المعتدى والتأهب الدائم والاستعداد المتصل بحماية النفوس وإعدادها وحماية الثغور وحراستها ، وليس هو بمفهوم القتال والحرب إلا فى حالة واحدة هى العدوان .

وتتمثل فى آى القرآن الواضحة ، وأعدوا لهم ما أستطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم ، فهو ليس قتالا ولا يكون أبداً عدوانا وإنما هو أروهاب وأشعار باليقظة الدائمة ، ود الذين كفروا لوتغفلون عن اسلحتكم وأمتعتكم فيميلون عليكم ميلاً واحدة ، والجهاد ، هو الركن السادس للاسلام فقد أمر الشارع بالجهاد صراحة لى كيان الامة الاسلامية من أن الاعتداء الخارجى وحفظ الحدود الدول الاسلامية من أن يخترقها العدو ، وقد أجمع الائمة على أنه فرض كفاية يجب على أهل كل ثغر أن يقاتلوا من يليهم من العدو فان عجزوا ساعدتهم من يليهم من المسلمين .

ولكن كلمة الجهاد ، فى دراسات المستشرقين والمبشرين قد لقيت غنتا شديداً وأثيرت حولها الشبهات المختلفة ، وجوربت أعنف الحروب ، وكانت آيات الجهاد فى القرآن تلقى من الاستعمار والتبشير وما تزال تلقى حرباً عنيفة ، فقد كانت الدعوة إلى جهاد المستعمر عن طريق مفاهيم الاسلام من أخطر الأسلحة التى قاومت بها الامة العريضة النفوذ الاجنبى ، حتى لقد حرم المحتلون الفرنسيون فى الجزائر تدريس ( الجهاد ) فى آيات القرآن أو فى أبواب الفقه .

وقد أوسع هذا المفهوم المنحرف فى الهند ، فقامت دعوات أبدها الاستعمار تفسر القرآن تفسيراً جديداً يقول فيه مفهوم الجهاد بما لا يناقض الوجود الاستعماري البريطاني غير أن أقطاب الاسلام ما لبثوا أن كشفوا هذه الخدعة .

## الحرية

للحرية في كل فلسفة مفهوم . ولها في الفكر العربي الاسلامي أرى في مفهوم وأحق مضمون، فهي الحرية بمعناها الشامل القائم على حماية حريات الآخرين وعلى تقدير التبعية إلى جوار تقدير الحرية . وهي بمفهوم الشريعة الاسلامية ، والقدرة على عمل كل شيء لا يضر بالغير ، والحرية حريات :

( ١ ) فالحرية ضد الرق ، فلا يكون الإنسان - رجلاً أو امرأة ، مسترقاً أو مملوكاً لغيره ، ولا تكون الأمة محملة أو مستعبدة بل تملك حريتها :

( ٢ ) الحرية هي حق الدفاع عن النفس أمام القضاء (٣) حرية الرأي هي حق التفكير والحكم على الأشياء .

( ٤ ) الحرية في التعليم في مواجهة الجهل ، والحرية في التعليم حق للرجل والمرأة

( ٥ ) الحرية في الاعتقاد والحرية في القول .

( ٦ ) حرية التملك ، وشرطية هذه الحريات كلها في الاسلام أن لا يكون فيها طغيان على حريات الآخرين ، وقد كفل الاسلام حرية العقيدة ( لا إكراه في الدين ) ودعا إلى تحرير الفرد فكرياً وتحريره من الرق الاجتماعي فوسع من نافذ للعق و الحرية و حصر الرق في أضيق نطاق ، محاولاً تصفيته على التدرج .

وأعتمد كرامة الإنسان قائمة على أساس الإخوة ، وجعل الاسلام الحرية السياسية قائمة على الشورى وجماع نظرة الفكر الاسلامي في الحرية هي أن الناس جميعاً ولدوا أحراراً ، لا فضل لعربي على عجمي ولا لاسود على أبيض إلا بالعمل النافع . وما يراه فلاسفة اليسار من أن الحرية هي إلغاء استغلال الإنسان للإنسان هي جانب من جوانب مفهوم الحرية في الاسلام ولكنها ليست الحرية كلها ، وما يراه بعض فلاسفة الغرب من إطلاق الحرية بغير حدود فلا يقبله الفكر الاسلامي لأنه يراه دهوة إلى تحطيم قيم المجتمع التي تحميها الحرية .

ومفهوم التوحيد في الاسلام هو أعلى مفاهيم الحرية حيث تتحرر النفس

الإنسانية والعقل الانساني من قيود الوثنية وعبادة الفرد والعبودية لغير الاله الواحد الأكبر ، وقد ائت دعوة التوحيد أمام الإنسانية الضوء الصادق فخرتها من كل قيود العبودية : عبودية العقل والنفس وخلصتها من عبادة ما غير الله وفتحت الطريق أمامها إلى فهم الحقائق الكبرى .

فالحرية في مفهوم الاسلام هي ضد العبودية والرق والوثنية والظلم ، وهي حرية الفرد والمجتمع جميعا ، ليست حرية المجتمع على حساب الفرد ولا حرية الفرد الممتاز على حساب المجتمع والجمهير ، وهي حرية الفكر المنطلق في طريق الحق ، إلى الاجتهاد والابداع والتجديد ، له أجر إذا خطأ وأجرين إذا أصاب ، وهي حرية المتدين حيث « لا اكراه » ، والعقل هو المنطلق والبرهان هو أداه الجدل والحوار ، وكل مسلم يعود إلى الحق متى تبين له ، حق الرسول نفسه وهو المعصوم يقبل الحق ويعود إليه ولا يرى في ذلك ضيراً فالحق أحق أن يتبع .

والاسلام ينمى على الذين يستخدمون الحرية من أجل الغرض الخاص ، أو الغايات الفردية ، وينمى على الذين يتبعون الرأي من غير أن يعرفوا ادلته ووجه الحق فيه ، ويأخذ عليهم أن يتمسكوا بالباطل متى استبان لهم الحق .

والاسلام أول من دعا إلى الحرية بمعنى التحرر من قيد الجهل والخرافة والتقليد في فهم الظواهر والأحداث .

## حرية الفكر

هناك قضية تثار بين آن وآخر يرددها بعض الكتاب ، هي أن حرية الفكر وجدت اضطهاداً خلال العصور المختلفة وفي مجال الأديان والأمم المختلفة . وأن منكرين لغوا حقهم من أجل حرية الفكر أو قول للكلمة . وهذا القول على إطلاقه لا يمثل الحق ، وإنما يستهدف اتهام المجتمع الإسلامي بأنه عجز عن حماية المفكرين ، وأن شأنه في ذلك هو شأن المجتمع الأوروبي ، وأخص حرية الفكر وأرتكب من أجلها الاضطهاد والقتل ، ويضرمون أمثال السم حردى والحلاج في مجال القتل وابن رشد في مجال المضطهدين ، والحق أن حرية الفكر لم تكن مصدر اضطهاد أو قتل في الإسلام على أى نحو من الأنحاء ، أو وجه من الوجوه ، وأن هناك فارقاً بعيداً بين ماواجه جاليلو وسقراط وغيره من مفكرى أوروبا وماواجه أمثال الحلاج وابن رشد .

أن الكنيسة والدين الغربى قد ضاق بحرية الفكر وبالكشوف العلمية وضاق بمخالفيه فأقام لهم محاكم التفتيش ومذبحة بارتلى وعقد عديدا من المحاكمات هذا معروف وثابت بواقع التاريخ ، ليس هناك مجال لانكاره ، أما في مجال الإسلام والمجتمع الإسلامى فلم يضار مسلم واحد مما بلغ من حرية الفكر وإطلاق الكلمة .

وأن الذين عوقبوا لم تكن الكلمة هي سبب عقوبتهم ولكنه كان التصرف الخاطى . ، ولولا ثبوت اليقين باتصال السم وورى والحلاج بأعداء المسلمين محرضين أو متآمرين ، لما كانت محاكمتهم ، وأن الكلمة وحدها لم تكن مصدر اضطهاد ، فقد بلغ غيرهم من حرية الفكر ما هو أشد جراحة دون أن يسمى ، أذى من أمثال ابن عربى وأبى العلاء المعرى ، ولكن الاتهام بالنسبة للسروردى والحلاج كان واضحا واكيدا فليست الكلمة هي التي قتلهم ولكنها المؤامرة ، وأفند كان الإسلام سمحا في حرية الفكر التي كانت أساسا من أسسه . وقاعدة من قواعده . ومنها استطاع العلماء المسلمون أن يصدروا في دراسة الفكر اليونانى والرومانى والفارسى والهندي وأن يصبروا ما قبلوه منه وفق مفهوم التوحيد ، وأن يرفضوا ما عارضه . ولقد أطلق الإسلام



لدعاة الاديان الدافع عن عقائدهم وسمح لهم بالسجال والجدل في حرية كاملة كما حفظ لهم حرية العقيدة وحرية العبادة .

فاذا ذكر ابن رشد فان تحريق مؤلفاته لم يكن خصومه للفكر نفسه .  
ولكن الخصومة الشخصية بينه وبين امير الاندلس هي التي جرت عليه عقوبته واضطهاده . فلما زالت اسباب الخصومة عادت لابن رشد ومؤلفاته مكانها في نفس حياة ذلك الامير ومجتمعه ، ولم يكن الامر في هذا كله متصل بآراء ابن رشد ولا بحرية الفكر نفسها من قريب أو من بعيد (١) .

وعلى الجملة فان المسلمين لم يضطهدوا أحدا ولم يسفكوا دم أحد عقابا له على الاشتغال بالعلم أو الفلسفة ، حيث لا اكراه في الدين ، ومن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر ، وقد اتفق القتال بين المسلمين من أجل الاعتقاد . كما عهد المسلمون إلى التساهل مع أهل العلم والنظر من كل ملة ، وحيث لم يسمح في تاريخ المسلمين بقتال وقع بين السلفيين أو الاشاعرة والمعتزلة كما حدث بين البروتستانت والكاثوليك في تاريخ أوربا ، وما كان يقع في القسطنطينية من سفك الدماء بين الارثوذكس والكاثوليك في عهد القياصرة الرومانيين . بل أن أبو العلاء المعري قال ما لم يقل بمثله فولتير وروسو ، أرادت مع ذلك على فراشه ، ولم يرد في التاريخ الاسلامي علماء يحرقون لأجل معتقداتهم وهم على قيد الحياة كما صنع الاوروبيون في ديوان التفتيش في أسبانيا ، وقد جاء ذلك نتيجة لتقدير المسلمين للعلم ولا احترامهم للآراء الدينية أشد احترام ، وهم لا يسفكون من أقر بالتوحيد وأن اختلف في الرأي والفروع .

وحرية الفكر في الاسلام انما هي حرية شاملة ، تشمل المسلم وغير المسلم ، وهي مطلقة خالصة لوجه الحق وحده ، فالمفكر المسلم يقول الحق ولو على أقرب الناس إليه وينصف من هو أهل للانصاف ولو كان من غير ملته ، وغير هذا مفهوم حرية الفكر في الغرب بشهادة جوستاف لوبون نفسه : الذي يقول : أن حرية الفكر في الغرب تختفي لدى الأوربي عندما يمتدبحه إلى فكر العالم الاسلامي ، فان

المفهوم الصليبي العميق الأثر في النفس الأوروبية يحول دون الانصاف .

ومفهوم حرية الفكر في الاسلام إنما يهدف إلى تحرير الإنسان من رق التقليد  
الاعمى وتربيته على استقلال الإرادة واحتقار التقليد والتبعية العمياء ، وتحريره  
من عبادة الأهواء ودعوته إلى الاقتناع بالدلائل ، تحرير من الجهل والظن .  
وقد نهى الاسلام عن التقليد الذي يقوم على المصيبة الوراثية والنمرة الطائفية .

## الخطيئة

والخطيئة الاصلية، مصطلح غربي مسيحي ، له أبعاد في الفكر الغربي ، ويعني ما يسمونه الخطيئة التي ارتكبها آدم وورثها عنه البشر وتموت عليها في تقديرهم مادعى بصلب المسيح فداء للبشر وتكفيرا لهذه الخطيئة .

وقد كان هذا الاتجاه مفهوما جديدا في المسيحية أعلنه أحد مفكري المسيحية بعد المسيح (بولس) وأقرته المجامع وأصبح جزءا من الفكر المسيحي والاوربي جميعا وقامت من أجله معارك عديدة في عصر النهضة الاوربية ، وأصبح من بعد له تأثير كبير في الفكر الغربي وفي عقلية الاوربيين ، ويعد في نظر بعض المؤرخين مصدر النشوء كنه من المدارس الإلحادية ، وقد تغلغل الصراع من أجل هذه الفكرة في الأدب الغربي والفلسفة الغربية ، وفي كثير من النظريات السياسية الاوربية .

أما الفكر الاسلامي فان هذا الاصطلاح لا يمثل شيئا معينا ، ومفهوم الاسلام كما أورده القرآن بالنسبة لآدم وعيسى واضح فليس في حمل آدم ما يعمد خطيئة عامة شاملة للإنسانية كلها ، وإنما يقرر القرآن أن آدم عصا ربه فعوى ، ثم تاب عليه ربه فهدى ، والاسلام بذلك يقرر عدم وراثة الخطيئة ، ويعتبر أن كل أمرى بما كسب رهين ،

وألفاظ الصلب والخلاص والفداء والخطيئة ألفاظ ذات دلالة واضحة في الفكر الغربي المسيحي ، ترتبط بهذا المعنى ، ولكنها لا تحمل مثل هذه الدلالات في الفكر الاسلامي وليس لها تاريخ أو أثر ، والفكر الاسلامي يكشف في هذا عن استقلاله عن التأثير بما هو خارج عن عقيدته .

## الدولة الشيوقراطية

من الأخطاء التي ينسبها الغربيون للإسلام اتهامه بأنه أقام الدولة الشيوقراطية أو يدعو إلى إقامتها ، وتعنى الدولة الشيوقراطية : الحكومة الدينية في المجتمع الغربى ، ومن الحقائق الواضحة الأكيدة أن الإسلام لم يقم الدولة الشيوقراطية على المفهوم الذى عرفه البابوات في حكوماتهم ، والدولة في المفهوم الاسلامى تحمل جميع المواطنين متساوون أمام القانون في الحقوق والواجبات ولكل مواطن الحق في ارتقاء أعلى المناصب ما عدا منصب الرئيس ، وحرية العبادة في الدولة الإسلامية مكفولة لجميع المواطنين ، والمبادئ الاجتماعية في الدستور الاسامى توافق جميع الديانات وان احتوى بنوداً تشجع نمو العقيدة الإسلامية دونما تمييز للسلميين عن سواهم بمنافع خاصة ، والإسلام أسلوب صالح للحياة الكريمة تسوده الإصالة ويتفوق فيه الجوهر على المظهر .

ومفهوم الدولة الشيوقراطية ( أى الدولة الدينية ) لا يقوم في العالم الاسلامى قط ، لأن الاسلام ليس عبادة وتدين ولكن أسلوب صالح للحياة الكريمة تسوده الإصالة ويتفوق فيه الجوهر على المظهر . والدولة البشوقراطية التي يتولى أمرها رجال الدين على المعنى المتعارف عليه في الغرب لا توجد في الاسلام وشريعته السمحاء لا تقر وجود ما يسمى رجل الدين ، والعلمانية والشيوقراطية لا وجود لها في الاسلام حيث في الدول الإسلامية يتساوى المواطنون أمام القانون في الحقوق والواجبات وحيث حرية العبادة مكفولة لجميع المواطنين على السواء .

ومن هنا فان ما يردده دعاة التغريب من وصف الحكومة الإسلامية بالدولة الشيوقراطية ليس صحيحاً على إطلاقه ، حيث لا توجد في الاسلام سلطة للكهانة

ولم تكن يوماً أداة من أدوات الاستبداد على نمط الحكومات الشيوقراطية التي عرفت في أوروبا . وليس في التوحيد بين السلطين الدينية والدينية في الاسلام ما يؤدي إلى شيء من التضارب ، فليس الاسلام حقائق روحية خالصة ، ذلك فيه ولكن حقائق روحية ونفسية وإجتماعية .

## رجل الدين

كلمة « رجل الدين » كلمة غريبة وافدة يحاول الكتاب والمفكرون أن يطلقوها على العلماء المتخصصين في دراسات العقائد والفقه والشريعة والتفسير ، والذين تكون دراساتهم في الأغلب مستمدة من المعاهد الإسلامية الخاصة : كالآزهر والزيتونة والقرويين ، والواقع أن الإسلام لا يمتزج بهابطة معينة يمكن أن تسمى رجال الدين لها نظام خاص ، أو حقوق معينة ، أو نفوذ من أى نوع ، ولكن هنالك علماء متخصصون في الدراسات الإسلامية والدينية .

ورجل الدين في الفرنسيين يوصف بأنه (Relig uienx) ومعنى هذا الوصف أنه لا يصلح لفهم أمور المعاش بسبب انقطاعه عن صحبة الناس .

وقد جاء هذا المفهوم في الفكر الغربي نتيجة للتحديات التي واجهها الدين في أوروبا ، في صراع الكنيسة مع العلم ، مما دعا العلماء والباحثين أن يضعوا الدين موضع الخصومة العنيفة ، حتى أن جميع الفلسفات النفسية والاجتماعية تهاجم الدين وهي لا تقصد إلا مفهوم الدين في المجتمع الغربي وليس المسيحية المنزلة .

ومن هنا كان اتهام رجل الدين بأنه منفصل عن المجتمع . أما في الإسلام فإن عالم الدين (وليس رجل الدين) ، له خبرة عميقة بالمجتمع وادواته ، ذلك لأن الإسلام دين وزيادة ، فهو ليس قاصراً على العلاقة بين الإنسان والله بل شاملاً للعلاقة بين الناس والمجتمع .

## العلم والدين

أن كل ما يقال عن الصراع بين العلم والدين يقصده الصراع بين العلم التجريبي والمسيحية الغربية . أما بالنسبة للفكر الاسلامي فليس هناك صراع أو معضلة ما . فقد ربط الاسلام بينه وبين العلم ، بروابط عميقة . والاسلام هو الذي دعا إلى حرية البحث وصراحة التفكير والتسامح الديني ، فلم يناهض الاسلام العلم ، بل في احضانه تكامل الدين والعلم ، فالاسلام كما يقرر المثل الأعلى اقواعد الإيمان يقرر المثل الأعلى لقواعد العمل ، ويربط بين العلم والعمل . والاسلام لا يقرر ما ليس عليه دليل وبرهان ، ولا يقرر المفاهيم والافكار بمعزل عن العمل والتطبيق وإنما يرى المفاهيم والافكار مقدمات دافعة لبناء حياة كاملة .

والعلم في مفهوم الاسلام هو العلم المطلق ، وليس العلم الديني وحدة ولكن كل ما يتصل بالعلم من كيمياء وفلك وتكنولوجيا وقد أطلق الاسلام كلمة العلم على كل نوع منه ولم يقصرها على نوع معين منه . وقد وردت مادة العلم في القرآن بصورة تدعو إلى الكشف والنظر وتكررت ٨٦٠ مرة ومادة البيان وردت ٥٢٣ مرة ومادة الكتابة ٢٢٠ مرة ، ومادة القرآن ٢٨٠ مرة ومادة الرأي ٢٣١ مرة ومادة السمع ١٨٥ مرة ، ومادة البصر ١٤٨ ومادة النظر ١٣٠ مرة ، ومادة العقل ٤٩ مرة ومادة الفؤاد والقلب ١٩٤ مرة .

وأول كلمة نزلت من القرآن هي : اقرأ ، وأول قسم في القرآن كله ، أقسم به الله سبحانه في ثاني آية نزلت بعد الأمر بالقراءة صدر بحروف من حروف الهجاء وكان بالقلم وما يسطر العالمون : ن والقلم وما يسطرون ،

ونقول مع الأستاذ عبد العزيز جاديش أنهم إذا تحدثوا عن تاريخ النزاع بين العلم والدين فأنما يأخذونه من غير تاريخنا وإذا ذكروا وضع السلطة بين أيدي رجال الدين فأنما يكلمون عن محيط غير محيطنا وماض غير ماضينا .

وليس في تاريخ الاسلام أو الفكر الاسلامي ما يشير إلى أن هناك مناهضة بين العلم والدين وقعت ، أو أن الدين ناهض العلم ، أن علماء الغرب وجدوا في كتبهم الدينية المقدسة ما يتعارض مع كشوفهم العلمية خالفوها ، أما القرآن وهو كتاب المسلمين المقدس فليس فيه ما يخالف أو يختلف أو يتعارض مع رأى من أراء العلم والعلماء ، بل على العكس من ذلك أن كثيراً من النظريات العلمية الحديثة لها مدلول في القرآن .

والدين بمفهوم العقائد له مجاله واسلوبه في المعرفة ، والعلم بمفهوم الكشف عن الطبيعة له مجاله واسلوبه ولكن الاسلام يجمعهما معا ولا يجد هناك تعارض حيث يجمع الاسلام في منهج المعرفة بين أسلوب العقل واسلوب القلب معا .  
والاسلام هو الذى دفع المسلمين إلى ابتداع المنهج العلمى التجريبي الذى قامت عليه الحضارة الحديثة .

## العقل العربي

جرى دعاة التغريب على إثارة الشبهاب حول العقل العربي، وإتهامه بالقصور ضمن نظرية السامية والاربية التي تحاول أن تعلل من شأن العقل الأوربي والغربي وهي إحدى النظريات التي يتخذها الاستعمار لتبذير وجوده، ولخلق جو من التقدير والاعلاء للعقل الأوربي.

أما العقل العربي في ميزان الإنصاف فانه يختلف عن العقل الغربي، إذ يجمع بين الازداد والاشباه فيربط بينهما في السجام، دون أن تتصارع أو تختلف، بينما يعجز العقل الغربي عن مثل هذا التوحيد ولا يرى الاشياء واحداً وضده.

ومرجع ذلك أن الاسلام يقوم على التكامل والوسطية، فيجمع بين الدين والدنيا، والعقل والقلب والعلم والدين، والروح والمادة.

ومن هنا كانت استطاعة العقل العربي توحيد الازداد في السجام: المسجد والقصر والسدو المصنع، كما جمع بين العقل والطبيعة وبين الحكمة والشرعة.

والعقل في مفهوم الفكر الاسلامي أساس ضخم ولكنه وحده عاجز عن أن يصل إلى كل الصواب وللعرفة في الفكر الاسلامي طريقان يجريان معاً. العقل والقلب. أما الإيمان التقليدي الموروث فهو مرفوض قطعاً، والعقل ليس مستقلاً بالاحاطة بجميع المطالب ولا كاشف للخطأ في جميع المضلات، وإن هناك حقائق لا يدركها إلا القلب.

والعقل في تقدير علماء المسلمين نور في القلب يعرف الحق من الباطل والخير من الشر والحس من القبيح. وقد حدد الإمام الغزالي حدود نطاق العقل وانكر الاعتماد عليه كلية في إدراك الامر الالهية، وقد كان هذا المفهوم الاسلامي هو الذي جاوز بالفكر الاسلامي مرحلة الفيبات وأطل على التجربة، حين انشأ المذهب العلمي التجريبي. فالمسالمون هم الذين وضعوا قاعدة: (جرب واحكم) في مجال الطب والفلك والهندسة والكيمياء.



## العروبة والاسلام

من اكثر المحاولات التغريبية خطرا ، تلك المحاولة التي تريد أن تصفى العروبة من مفهوم الاسلام وتفصل بين الاسلام والعروبة وذلك في نطاق النظرية التي تقول بأن الدين ليس مقوما من مقومات الدعوات القومية وكيفما يكون الرأي في هذه النظرية فإن الاسلام ليس ديننا بمفهوم اللاهوت القائم على العلاقة بين الله والإنسان وإنما الاسلام إلى جوار ذلك منهج حياة ونظام مجتمع وثقافة وحضارة .

ومن هنا فإن علاقة الاسلام بالقومية ، أو علاقة الاسلام بالعروبة هي علاقة عميقة الجذور بعيدة المدى حيث أرتبط منذ طوير أرتباطا عضويا ، وما مقومات القومية من لغة وتاريخ في مجال العروبة والاسلام يمكن الفصل فيما بينها فاللغة والتاريخ العربيين مرتبطين بالاسلام ارتباطا شاملا متصلا على مدى القرون الاربعة عشر وليس هذا قولنا وإنما هو قول بعض العلمانيين والتغريبين حيث لا مفر من الاعتراف به ، بقول دكتور نبيه أمين فارس : أن تشابك الاسلام والعربية في التاريخ تشابكا عضويا متفاعلا حيث لا مجال إلى فصل الواحدة عن الاخرى ، وهل كانت النهضة العربية الحديثة إلا نياراً من النهضة الاسلامية في القرن التاسع عشر هذا بالإضافة إلى تشابك المفاهيم القومية والاسلامية وقوة النزعة الاسلامية في الجماهير .

ولقد كان مفهوم الوحدة العربية مفهوما اسلامي الجذور منذ بدأت حركة اليقظة ، ولم يكن في الامكان غير ذلك ، غير أن الدعوة التغريبية ومحاولة القضاء على أصالة الفكر الاسلامي والثقافة العربية كانت دائما تحاول أن تفرع مفهوم القومية العربية من الاسلام وتجعله علمانيا خالصا مجرداً بينما لم تستطع القوميات في الغرب أن تنفصل عن مفاهيم المسيحية الغربية التي هي بطبيعتها ليست إلا ديناً لاهوتياً خالصاً ، وقد جرت هذه المحاربة في الحركة الطورانية ، وفي العالم العربي حاولت بعض أحزاب الحركة العربية أن تتبنى هذا المفهوم في محاولة خلق

قومية عربية علمانية على الطراز الذي عرفته تركيا عن طريق الاتحاديين والماسونية  
ومر هنا فقد كانت أزمة الوحدة العربية هي ذلك الجفاء بين الواقع وبين النظرية  
المستوردة التي لوصلحت للتطبيق في بيئات الغرب فهي لا تصلح للتطبيق في بيئة الفكر  
الاسلامي والثقافة العربية : وفي هذا المعنى يقول ( عيسى البندك ) وهو مسيحي  
يفهم أعماق الروابط والعلاقات بين الاسلام والعروبة : « أن العربي مسلما أو  
مسيحيا يرتبط بالاسلام والعربية : اللغة التي يتكلم بها والاخلاق التي يخلق بها  
والتقاليد التي يزاوئها ، وما يعتز به من آباء وشهامة ومروءة » « أننا نؤمن بإيماننا  
قاطعاً بأن كيان النصارى العرب جزء من كيان أخوانهم المسلمين » ، ويقول دكتور  
عمود حمزي : الاسلام مبدأ يخضع له جميع العاملين في الميادين الاجتماعية  
والاقتصادية والسياسية في بلادنا مهما كانت عقيدتهم

« عقيدة المسلمين أو المسيحيين أو اليهود ونحلم والملاحدين ذلك أن بلادنا قد  
غيرتها » الاسلامية ، بالمعنى الذي نفهمه ، ويقول دكتور السنهوري : أنه في الاسلام  
إلى جانب الدين توجد المدنية والذين يؤمنون بتعاليم الدين هم المسلمون . أما  
الذين ينتمون إلى الثقافة الاسلامية فهم أولئك الذين يضمهم هذا الوطن الاسلامي  
الكبير على مختلف أديانهم ومذاهبهم وجنسياتهم ونحلم - ليس المسلمون هم أصحاب  
الفكر الاسلامي واسكن كل من استظل براية الاسلام وانتمى إلى الثقافة الاسلامية  
ولو كان غير مسلم .

## العصرية

من الكلمات التي تتردد كثيرا كلمات العصرنة، والحداثة، وهما بمعنى واحد، ونتيجة في الغالب إلى مجرى الدعوة القائلة بتطور كل شئ، والتي تحاول أن تشق طريقها إلى مجال الأديان وخاصة الاسلام غافلة عن أن الفكر الاسلامي يؤمن بالثبات والتطور معا: لا بالتطور المطلق، الثبات للقيم الأساسية العقائدية والتشريعية والاخلاقية ثم التطور في التفاصيل والمسائل الفرعية بما يتفق مع المصوّر والبيئات وتحاول شهادت التفریب أنه ترمى الاسلام وفكره بالتأخر نتيجة لهذا المفهوم بينما هو في نظر العقل الراجح اسمي ما يمكن التوصل إليه في سبيل موازنة نوااميس الفكر والمجتمع والحياة .

وهناك أصوات تقول بالدعوة إلى عصرنة الاسلام أى وضعه في مجال التطور وهو ما يستحيل على الفكر الاسلامي تقبله في مجال القيم الثابتة .

فالعصرية فكرة تفریبية خطيرة يراد بها لوى أعناق الاصول الاسلامية لتبرير الواقع الحضارى القائم بما فيه من مخالفات ومعارضات لمفهوم الاسلام أو مفهوم الدين عامة ، وتجري هذه المحاولة عن طريق ما يطلق عليه « التأويل »

فالعصرنة هي محاولة فرض مبادئ وأهداف غربية تحاول احتواء الفكر الاسلامي وجعله خاضعا للواقع الغربي في قيمه ومذاهبه وفلسفاته ، في تجاهل ما بين الفكرين الاسلامي والغربي من خلاف وتباين عميق في قضايا كثيرة وأنه لا سبيل للعصرنة إلا بان يخضع الفكر الاسلامي للفكر الغربي ويتقبل اطاره وقيمه وهو مالا يمكن أن يحدث ومن الاستعالة أن يقع ، فالفكر الاسلامي باصوله القائمة على التوحيد كان دائما قادرا على أن يتقبل من الفكر البشرى ويترك ، ولكنه لم يكن في وقت من الاوقات - حتى في احلك فترات ضعفه - بحيث يمكن أن ينصهر أو يخضع أو يفقد مقوماته ، وقد استطاعت الفلسفة اليونانية أن تحتوى الديانة والفكر اليهودي ، ثم اُحوت الديانة والفكر المسيحي ولكنها هجرت عن أن

تحتوى الفكر الاسلامى، الذى قائم بها وأخذ منها ورفض، واستطاع بعد صراع طويل أن يتحرر منها وأن يقيم منطقة ومقوماته مستمداً أصول ذلك كله من القرآن نفسه .

وإذا وقف الاسلام موقف الثبات، أمام محاولة احتوائه أو صهره، كان ذلك معناه فى نظر دعاة التغريب : الرجعية أو التعصب وهى عبارات لا يستطيع الخوف منها أن يذل الاسلام وفكره للسيطرة الغربية ، وقد أيد كثير من المفكرين الغربيين أن الاسلام والفكر الاسلامى والتاريخ الاسلامى واللغة العربية لا يمكن تفسيره فى ضوء المذاهب الغربية العلمانية والمادية .

أما إذا كانت المصيريه بمعنى دفع الاسلام والفكر الاسلامى والثقافة العربية إلى مواجهة الحياة المصرية والإلتقاء بالحضارة وبالفكر البشرى أخذاً وعطاءً ، فإن ذلك أمر لم يتأخر عنه الفكر الاسلامى يوماً فقد كان دائماً فكرياً مفتوحاً قادراً على الأخذ والعطاء ، وأن له من جوانبه المتطورة ما يمكنه من الإلتقاء بخلاف النظريات الحديثة البناء التقدمية كما أنه قادر على أن يكشف لهذه النظريات جذوراً فى أعماقه وفى قيمه الأساسية ، ولم يكن الفكر الاسلامى يقيم الثبات فيه بعاجز يوماً عن التطور والحركة والتقدم ، بل أن هذه القيم الأساسية من عقيدة وشريعة وأخلاق ، كانت هى أقوى الحوافز لأعطاء الحضارة قيمة إنسانية أعلى أعلى من مفهوماها المادى الخالص . ولكن الإسلام ليس من شأنه أن يبرر انحراف الفكر الغربى أو الحضارة الغربية القائمة أو يقبل من مفاهيمها ما يختلف مع جوهر التوحيد . أو يمارض مع أصولها القائمة على دحض الربا والاباحة والاحاد والثنية .

لقد استطاع الفكر الاسلامى أن يتحرر من أعظم قيود للفكر الغربى وهى قيود الوثنية والعبودية لغير الله وحده وبذلك أطلق مفاهيم الحرية والعدالة والأخاء والمساواة التى عجزت الحضارة الغربية والفكر الغربى المعاصر عن وضع حلول لها فباتت وهى مدخلة العصر وازمة الإنسان ، هذا فضلاً عن أن جمع الإسلام بين الروح والمادة ، والعقل والقلب ، والدنيا والآخرة ، قد أعطاه قima عقليه ولفسية وسعت مجال إنسانية وسماحته وقضت على كثير من الصراعات والازمات وخاصة ازمات القلق والاضياغ التى يعانى منها الفكر الغربى ، هذا فضلاً عن أن التراث الاسلامى العربى ليس تراثاً منفصلاً أو مجزأ أو متحفظاً ، بل هو ميراث ملى بالحياة لم يقف عن التفاعل فى المجتمع الاسلامى والفكر الاسلامى خلال أربعة عشر قرناً كاملة

دون انفصال أو توقف وهو تراث بناء تقدمي ، ما تزال مفاهيمه قادرة على  
إعطاء البشرية خير ما تحتاج إليه .

وليس في مفهوم الفكر الاسلامي - استمداداً من قوماته وقرائنه التي تعطيها  
القدرة على التجدد من الداخل - ليس فيه جمود أو وثنية أو انحرافاً أو صراخاً  
وما تزال القيمة الأساسية للفكر الاسلامي حية متفاعلة قادرة على العطاء .

## العصور الوسطى

ما تزال كلمة العصور الوسطى في إطلاقها تعنى الفترة ما بين القرن الخامس الميلادى والقرن الخامس عشر الميلادى أيضا وهى الفترة التى سقطت فيها الحضارة الرومانية خلال عشرة قرون كاملة إلى أن بدأت حركة النهضة الأوروبية (الرينسانس) وتحاول كتب الغرب أن تصف هذه الفترة بالعصور المظلمة وهذا المفهوم صحيح وصادق بالنسبة لأوروبا ولكنه كاذب ومضلل بالنسبة للعالم كله وللغفيرة البشرية عامة . ذلك أنه خلال هذه الفترة ظهر الاسلام فى القرن السادس الميلادى واشرفت شمسها فعمت العالم كله وأمتدت من حدود الصين شرقا إلى حدود فرنسا وقدمت للانسانية مجدداً قيم التوحيد والعدل والاخاء . كقوميات الحضارة الإنسانية كانت بعيدة المدى والأثر فى الحضارة البشرية وفى النهضة التى بزغت فى أوروبا بعد ذلك .

لذلك فإن إطلاق القول بأن فترة العصور الوسطى كانت فترة ظلام دامس، هو قول باطل، وهى محاولة لتجاهل العصر الاسلامى الزاهر، وذلك وفق اتجاه الفكر الغربى الذى يحاول أن يربط بين الحضارة الرومانية المتناهية وبين الحضارة الأوروبية الجديدة كأنما ليس فى العالم إلا أوروبا وحدها .

ولذلك فإن إطلاق كلمة العصور الوسطى على العالم كله إنما هو إطلاق ظالم ، فالعصور الوسطى المظلمة إنما كانت كذلك بالنسبة للغرب وحده ، ولكنها كانت مضيئة مشرقة بالنسبة للعالم الاسلامى (الهند وفارس والامة العربية والاندلس) .

وتعبير العصور الوسطى تعبير غريب ينطبق على أوروبا وحدها فقد سقطت هذه الفترة فى الظلمات فترة ما بين سقوط الحضارة الرومانية وعصر الرينسانس ( النهضة ) أما فى العالم الاسلامى فإن هذه الفترة بالذات كانت الفترة الذهبية بالنسبة للاسلام وحضارته .

فاذا أراد دعاة التغريب تعميم هذا المفهوم فأبما يراهم به انكار فضل الحضارة الاسلامية على العالم .

## عصر الانحطاط

حاول التغريب والفكر الاستعماري الغربي أن يصف مرحلة القرون الثلاثة السابقة للقرن العشرين بأنها عصر الانحطاط، وهو تعبير قاس ظالم، وكان يمكن أن يطلق عليه عصر الضعف والتخلف ولقد تجرأ الشبهات باتخاذ إنتاج هذه المرحلة أسلوباً لمحاكاة الاسلام به، أو اتخاذ سند الرمي الاسلام وفكره بالقصور والتخلف خاصة فيما يتعلق بظاهرة « الجبرية » التي سادت مفهوم الصوفية وأثرت على مفاهيم الحياة والارادة الإنسانية ومن الحق أن يقال أن هذه المرحلة لها وجوه ضعفا ولها وجوه قوتها .

أما وجوه الضعف فهي تأثر الفكر الاسلامي بالفلسفات الهندية والفارسية والمجوسية التي حملت مفاهيم معقدة مضطربة كوحدة الوجود والحلول والانحداد وغيرها من المذاهب التي لا تتفق مع جوهر التوحيد .

والمفروض أن يحاكم الفكر الاسلامي إلى أصوله الاولى وإلى إنتاج أعلامه الرواد، ولا يحاكم إلى إنتاج فترة الضعف والجمود التي توقف فيها الابداع والتجديد والاجتهاد غلب طابع التقليد .

فالفكر الاسلامي في جوهره الاصيل مازال مضيئاً إيجابياً مؤثراً معطياً للامم المختلفة والعصور المتعددة دفعات التقدم والبناء والحيوية .

أما وجوه القوة فهي تتمثل في عملية والتجميع، التي قام بها المفكرون حيث ظهرت في هذه الفترة الموسوعات الادبية والفنية والعقائدية المختلفة التي جمعت الآثار المختلفة الموزعة، وهي عملية رد فعل لما حدث نتيجة الغزو الصليبي والتتري من حرق وتدمير آثار الفكر العربي الاسلامي فقد حمد العلماء والادباء إلى عملية التجميع كوسيلة لمقاومة فناء الفكر الاسلامي وهو عمل نافع إيجابي يدل على القوة لا على الضعف وأن وجه إليه النقد بأنه لم يحرر من وجهة التنسيق الفني أو التحقيق العلمي ولكن التقدير المنعف لاخطار هذه الفترة وظروفها من شأنه أن ينصف العاملين في هذه المرحلة ويقدر لهم هذا الجهد على إطلاقه .

## علة تأخر المسلمين

تعددت أبحاث المفكرين المسلمين في السنوات الأخيرة حول دعلة، تأخر المسلمين وتعددت آرائهم في ذلك، ولكنها أجمعت على شيء واحد، ذلك هو أن المسلمين منهجاً فكرياً واجتماعياً استمدوه من القرآن الكريم وأن هذا المنهج هو سر نجاحهم وظفرهم واتساع ملكهم، وفيه تكمن قوتهم الحقيقية .

ويدور هذا المنهج حول التوحيد، والعدل، والإهداد بالقوة يرهبون بها خصومهم، وبالجهاد يوجهون به من يعتدى عليهم . مع الاستمساك بالحق، ودون الاعتماد على مشورة الغير، والنهي عن إتخاذ بطانة من غيرهم . ولقد مضى المسلمون على هذا النهج فانتصروا وعزوا، فلما انصرفوا عنه وقصروا فيه ذلوا وضعفوا وكلوا عادوا إليه عادت إليهم العزة والسيادة.

واليوم وهم يراجعون أنفسهم في ظل تحديات الاستعمار والغزو السياسي والاجتماعي والثقافي، يتقدم إليهم كثيرون من غيرهم بتأصيحهم بالباطل، ويكتمون عنهم سر قوتهم ويردونهم عن طريقهم، بل ربما ذهب هؤلاء الخلفوم إلى اتهام الاسلام نفسه بأنه هو مصدر ضعف المسلمين .

وربما قام هذا الاتهام على النظر في واقع المسلمين اليوم وهو ليس من الإسلام في شيء، وربما كان هذا الاتهام تعصبا وضعفا على العرب والمسلمين حتى لا يعودوا إلى مصادر قوتهم . وليس من شك أن الإسلام محجوب اليوم بالمسلمين وإن ما يحياه المسلمون اليوم ليس هو الاسلام ولكنه التقليد والمتابعة، فالمغلوب مولع دائماً في الاقتداء بالغالب، ولكن المسلمين لم يقبلوا التبعية، وأكدوا رفضهم لما أيا كان مصدرها وهم الآن على أبواب الرشد الفكري . وقد جربوا مذاهب الغرب التي فرضها عليهم نفوذهم فلم يحقق لهم النصر أو السيادة، وهم لا بد عائدون إلى قيمهم ومفاهيمهم الأصلية يستمدون منها وسائلهم في مقاومة الغزاة وإقامة الحق .



## الغيبيات

هناك عالمان : عالم الشهادة المكشوف الواضح الذى نراه بالعين وندرسه بالقل والتجربة من خلال الاناييق والمعايير العلية وهو ما يسمونه المحسوس .  
وهذا عالم الغيب الخفى الذى لا نعرفه بالعلم ولكن بالوحى والايمان والبصيرة .  
وهدتنا إليه اديان السماء ، وقد جرت بعض الفلسفات منذ قديم الى انكار عالم الغيب والطعن فى وجوده . ومن ثم تشك فى الالهية والنبوة والوحى والاديان والكتب ، ومن ثم تشك أيضاً فى البعث والجواء .

وقد كان العلم يجرى مع الفلاسفة فى هذا الطريق الى أن تحطمت الذرة ، وتبين أن مفاهيم الذرة كلها تنصل بالعضوء والنور ، وهما من عالم الغيب ، فأب العلم أو أوشك الى اليقين وبقيت الفلسفة المادية تثير الشكوك والشبهات من أجل إرار مفاهيم هدامة ترمى بها الى تدمير المجتمعات وسيطره نفوذ الاستعمار والصهيونية .

وإذا كان الانسان روح ومادة ، فلا بد أن يكون جامعاً للغيب والشهادة فى تركيبه وكيانه ، ولما كان الانسان هو سيد الكائنات تحت حكم الله فقد أوتى العقل وعلى أساسه تقوم المسؤولية الفردية والتبعة الاخلاقية ، ومن ثم فان الدنيا ليست هى الحياة ، والموت ليس هو نهاية الحياة ، ولما كانت التبعة مسئولية فقد كان لها جزاء ، ومن هنا يتقرر البعث والحساب والجنة والنار .

أن النفس الانسانية فى فطرتها تؤمن بالدين وتؤمن بالقوة العليا القائمة وراء الحياة الطبيعية ، هذه القوة الممثلة فى الله الواحد الاحد ، الذى أرسل رسله بالهدى ودين الحق .

ذلك هو الغيب الذى لا يختلف فيه العلم والذى تعارضه الفلسفة المادية ، لانها تدعو الى هدف واضح خطير ، ولا تعتمد على أسلوب المعرفة الحقة القائم على العقل والوجدان .

## الفلكلور

كانت الدعوة إلى ( الفلكلور ) في السنوات الأخيرة تستمد وجودها من الإيمان بالتراث الشعبي ، تراث الأمم القديم الذي يعطى صورة نفسياتها ومزاجها وطواياها الاجتماعية . غير أن الدعوة إلى الفلكلور قد شابتها أهداف وغايات انحرفت بها عن هدفها النبيل وغايتها الحقة . فقد اتخذت وسيلة لإذاعة العاميات وجمع الأتجال والمواويل والأمثلة العامية على نحو أراد به دعاة التغريب والغزو الثقافي أن يثبتوا أن العامية ليست لهجة ولكنها لغة ، واتخذوا من ذلك سلاحا لمعارضة الفصحى وأعضاها وتغليب العاميات عليها .

ولقد بدأت حركة الفلكلور على أيدي المبشرين ودعاة التغريب الذين حملوا لواء الدعوة إلى العامية واللغة المحكية في محاولة لإقصاء الفصحى: لغة القرآن عن مكان الصدارة ، وتعزيز العامية في كل قطر وبلد . مستهدفين تفكيك وحدة الأمة العربية وأبعادها عن مستوى بلاغة القرآن وآدابه .

كما عمدت دعوة الفلكلور إلى استحياء الماضي القديم الوثني البائد ، من وراء عصر الإسلام ، فهي قد ارتبطت بالفرعونية في مصر ، وبالفيثيقية في لبنان وكانت تحاول بذلك إحياء قيم ماتت وانتهت ، وتقاليد ومظاهر وأعياد عرفت في الأمة العربية في وثنياتها ثم تحررت معها مع ظهور الإسلام . ولم تعد مرة أخرى إليها . وقد جاءها الإسلام بالتوحيد الخاص فقصى على هذه الحضريات القديمة البائدة التي تتعارض اليوم مع الثقافة والقيم جميعاً .

ولقد جرى الفلكلور اليوم في مجارى ثلاث كلها بعيدة عن جوهر ذاتية الأمة ومزاجها النفسى . إما بإحياء الوثنيات الفرعونية أو العادات الجاهلية العربية أو الوثنيات الاغريقية . وهذه الثلاث لا تتصل مطلقاً بحقيقة الأمة العربية التي تحررت منذ خمسة عشر قرناً من هذه الطقوس والوثنيات .

## الفكر أم العنصر

في العصر الحديث علا صوت العناصر والأجناس والعروق والدماء، وجرت الدعوة إلى القوميات، وكانت أوروبا هي التي فتحت هذا الطريق حين خرجت من نفوذ الكنيسة إلى القوميات المختلفة.

ولقد كانت الدعوة إلى الوحدة العربية دعوة عتافة عن ذلك تماماً، متحررة من طابع الأقلية أو التعصب للأجناس أو إقامة حواجز المصومة والخلاف مع القوميات الأخرى على النحو الذي شهدته أوروبا في صر القومى.

ذلك أن الأمم العربية والفارسية والتركية والهندية، قد جمعتها إلى أحقاب طويلة، وحدة فكر، أساسها الإسلام ومادتها القرآن وقوامها اللغة العربية التي حملت الفكر الإسلامى إلى العالمين.

وقد كان هذا الفكر إسلامياً ولم يكن عنصرياً، استمد وجوده من واقع المسلمين ومن تلك البوثة الروحية والنفسية التي انصهرت فيها الأجناس جميعاً وتوحدت على تعاليم واحدة قوامها الإسلام والنبوة والعدل والتوحيد.

ومن هنا فإن ذلك التساؤل الذى يثار فى باب الشبهات بين حين وحين يقال: حضارة عربية أم حضارة إسلامية، وفكر عربى أم فكر إسلامى، أو أن الغزالي كان فارسياً والفارابى كان تركياً والكندى كان عربياً أو ابن خلدون كان مغربياً، فالحقيقة أن هؤلاء جميعاً لم يكونوا يصدرون عن عنصر أو دم أو جنس حين كتبوا ذلك الفكر. وإنما كانوا منزهين فى بوثة الفكر الذى صنعه الإسلام وقام عليه القرآن والذى لم يكن به شبهة من شبهات العصبية أو العرق. وإنما كان استمداداً من مفهوم التوحيد والعدل الذى جاء به محمد صلى الله عليه وسلم إلى الناس كافة.

## القيم

تعبير حديث مشتق من قيم الشيء ، ومن القيمة ، وهو اصطلاح اقتصادى ولكنه مهم فأصبح يعنى الاحس التى يستند إليها فى كل ما تصدر الاعم والافراد من افعال وافعال ، وهو يستعمل بمعنى المعيار الذى يقاس به الجهد الانسانى فى أى زمان ومكان ، تقاس به القيم الاساسية : روحية ومادية ، أو عقلية ونفسية ، أو أخلاقية وأباحية ، والقيم الآن هى مجال الصراع بين الحضارات والثقافات المختلفة ، فالحضارة الإسلامية والثقافة العربية تؤمن بالقيم الإنسانية المتكاملة فى مجال الروح والمادة بينما تحاول النظريات المستحدثة أن تقصر القيم على الجوانب المادية والعقلية فى مجال الإطلاق والاباحة وذلك بدعوى أن العصر والحدائق كلها أصبحت تلقى ظلا على القيم الاخلاقية والروحية ومن الحق أن يقال أن القيم تتبع الإنسان نفسه فإذا كان الإنسان روح وعقل ، ومادة ونفس ، فإن القيم تكون كذلك ، وما دام الانسان لا يمكن أن يكون مادة خالصة فكذلك القيم التى ترتبط بوجوده وكيانه .

أن مفهوم التقدم ومفهوم الحضارة من شأنه أن يصرف عن الانسان كل ما يحطم شخصيته ، أو يدمر كيانه ، وأن يحوره من ربة الخرافات وسيطرة الجهل ، أما مفهوم المذاهب المدمرة التى أخذت تسيطر على الفكر الغربى فى السنوات الأخيرة سواء فى مجال علم النفس ، أو فى مجال مفاهيم التربية أو فى مجال الفلسفات فأنما هى ثمرة المجتمع الغربى نفسه ، ولها امتداداتها للفلسفات اليونانية والوثنيات الاغريقية والقيم الهيلسفيه التى تستهدف التحرر من قيود الاخلاق والانطلاق فى عبادة الأجساد .

وهذه المفاهيم غريبة كل الغرابة على الفكر الاسلامى والثقافة العربية ولذلك فإننا حين نحاول أن نفرو قيمنا نجد صعوبة بالغة فى تقبلها لأنها تتعارض مع قيمنا الاساسية ومكونات شخصيتنا وجوهر روحنا ومزاجنا وطبيعتنا .

وإذا كانت للثقافات الغربية قد عزلت الدين عن منهج حياتها وفكرها

ومجتمعها بعد أن وجدته معوقاً لها من الحرية أو النهضة أو الحركة فإن الأمر يختلف بالنسبة لعالمنا وأمتنا ، حيث يعترف الاسلام بالزعات البشرية وفي مقدمتها الجنس ويعالجها علاج المواجهة والصراحة ولا يقيمها قعاً ، ولا يطلقها إطلاقاً :

وحين يقع ( الغرب : فكره ) ومجتمعهم ) في صراع بين الفردية والجماعية يقف الفكر الاسلامى موقف التكامل والتوازن بين الفردية والجماعية جامعاً بينهما .

فالدين في مفهوم الفكر الاسلامى ليس قيمة رجعية أو متخلفة أو جامدة ، وليكنها قيمة حية ذات فاعلية رحا جز نفسى عظيم في مواجهه أخطار الحياة وتحديات الابداحة وعامل من عوامل التوازن النفسى والتكامل البشرى ، وضوابطه الاخلاقية من أسباب الايجابية والقوة .

فالفكر الاسلامى والثقافة العربية لا ترى رأى الغرب في أن المادة وحدها هى معيار القيم ، وإنما تراها متصلة بالالسان ووجوده وكيانه ، فالالسان هو معيار القيم لا العلم ولا المادة ، والالسان مادة وروح ، ومن هنا فانها تربط بينهما في توافق وتناسق وتوازن إيجابى بناء .

ومن حق الفكر الاسلامى أن يرى أن القيم المادية وحدها لا تحقق نمو الشخصية ولا اكتمالها وأن القيم المتكاملة هى العامل الأول في دفع الامم إلى النجاح والتقدم .

والقيم في مفهوم الفكر الاسلامى لا تتصل بالبيئة وحدها ، ولا تتغير بتغير الظروف والبيئات ، وإنما هى قيم ثابتة أساسية مع كل الظروف وقيم أخرى متغيرة مع الاحداث والظروف والبيئات أما القيم الثابتة فهى القيم المتصلة بالمبادئ والاخلاص والشرائع وقوامها التوحيد والآخاء والحرية والحق والعدل ، أما ما عدا ذلك من القيم فإنها تخضع للبيئات والزمن وضوراً واتساعاً والقيم في صميمها إنسانية ودافعة إلى العطاء والرحمة وقد أثرت شبهات حول مفهوم الفكر الاسلامى للقيم حين وصف بأنه فكر روحى ومن الحق أن يقال أنه فكر ( روحى ومادى ) وأنه لم يغفل من حسابه المادة بل هل المكس أفر القيم المادية رطال الناس بالاقبال عليها

وبين أهمية بناء الحياة والعمران فأمر بالزجاج والشراب والزينة والطعام ولكنه طالب في نفس الوقت بعدم الاسراف فيها والنظر إلى التقدم على أنه ليس تقدماً مادياً شاملاً ، وبذلك فإن المادة لا تتقدم القيم الروحية ولا تعجزها .

« واتبع فيما أتاك الله الدار الآخرة ولا تنس نصيبك من الدنيا » .

بل أن الفكر الإسلامى يسمو بالقيم المادية ويحولها إلى قيم إنسانية متجاوباً مع طبيعة الإنسان التى تتكون من جسم وروح .

ولا شك أن التقسيم الغربى للقيم وإعلاء الماديات منها إنما جاء استمداً من الفكر اليونانى الذى قسم الناس إلى سادة وعبيد ، والسادة لهم الحكم والرئاسة والعبيد الإنتاج المادى ، وقد عرف الغرب نفس هذا التقسيم حين دانوا بالهين أحدهما للخير والآخر للشر ، وكانت القيم عندهم مرتبطة بالذات والاستجابة للشهوات .

وجاءت المسيحية الغربية معارضة تماماً لليونانية والفارسية حين دعت إلى الزهد واحتقار المادة ، وانصراف الإنسان عن الملذات والمعكوف فى الأديرة والتكفير عن ما وصف بأنه خطيئة الإنسان ثم جاء الإسلام فصصح المفاهيم وعدل الموازين حين دعا إلى التوحيد والتقوى والكرامة الإنسانية ونادى بالحرية والعمل ودعا إلى السلام والعدل وجمع بين قوى الدنيا والآخرة ، ووازن وجمع ولسق بين القوى المادية والقيم الروحية فى وحدة تؤدى إلى التوسط والاعتدال فى تحقيق مطالب الجسم ومطالب الروح .

ومن أبرز قيم الاسلام الحرية فى الاختيار وما يتبعها من مسئولية وجراء ، بما يحقق للإنسان الإرادة المطلقة فى الترجيح بين الشر والخير على النحو الذى يجعله مختاراً مسؤولاً ، مسئولية حرة ، وهى من أعظم القيم التى تعطى الإنسان كفاءة فى الإرادة والتحرر من أغلال الآخرين واستعبادهم له ، فضلاً عن تحرره من أسر الشهوات ومن سيطرة المال والجاه والناس جميعاً .

## القديم

تجرى المحاولات التغريبية إلى دعوتنا - نحن وحدنا العرب والمسلمون - إلى أزدراء القديم وكرهيته بل ويسارع فيقدم لها الشبهات التي تحمل طابع السخرية والاحتقار لهذا القديم، ولكنه مع الأسف يتناقض مع نفسه فلا يفعل ذلك مع القديم الغربي، بل على العكس من ذلك فهو يعلى من شأن القديم عنده، بل ويحاول أن يعلى من شأن هذا القديم الخاص به عندنا فهو يدعونا إلى الأدب الاغريقي ويحيط الدراسات الهلينية بهالة من الفخر، ويحاول أن يربط بينا وبين اليونانية واللاتينية، وتقرر الابحاث والدراسات التاريخية أن الغرب لم يحدد نفسه ولم يدخل عصر النهضة إلا من طريق البعث والاحياء للاغريقيات واللاتينيات، فلما أذن هذا التنكر التراثنا وقديمنا، ونحن تؤمن أن أى أمة لا تستطيع أن تدخل عصر النهضة إلا عن أساس أحياء قديمها والارتباط به، ومن عجب أن الغرب قد أحيانا انفصل عنه ألف سنة، والصهيونية أحييت لغة انفصلت عنها ألفى سنة، ولكن المقاييس تختلف إذا جاءت للحكم على قديمنا وتراثنا الذى لم ينفصل عن أممتنا خلال أربعة عشر قرن متوالية متصلة. ولنستمع إلى عالم غربي هو كارل بيرسون يتحدث عن التديم :

د أن من أقوى المؤثرات التي تحفظ الثبات الاجتماعى وتحول دون تحله تلك الصفة التي نبغضها : صفة الجود على القديم، لا بل نقول أن العداء الصارخ الذى تقابل به الجماعات الانسانية كل الفكرات الجديدة لمن أخص تلك المؤثرات، وهذه الصفات بمشابة الكور المتلظية نيرانه، والتي بدونه لا يستطيع أن تفصل بين المعدن الصحيح والفضلات الزائفة، وهى التي تحمى الجسم الاجتماعى من أن يترك معرضا لتغيرات تجريبية فجائية غير مقيدة آنا، أو باللغة أقصى الضرر أنا اخر، .

ويؤكد الباحثون أن الأمم الناهضة توازن بين روح القديم وروح الجديد وثبنى الجديد على أساس من القديم، وتجدد من القديم ما هو صالح وإيجابى

وترفض من الجديد ماهو غير صالح أو إيجابى أو يتفق مع كيانه ومزاجها وطابعها . وأن الدعوة إلى قطيعة القديم ، كالدعوة إلى تقبل كل جديد ، وكلاهما معارض لناموس الوجود وسنة الحياة التى تبني الجديد من مادة القديم .

فالتوازن بين القديم والحديث هو طابع النهضة الأصيلة ، فإذا أهمل القديم ضاعت مقومات الأمة وتعرض كيانه للخطر ، واهتزت شخصيتها ، وباتت معرضة لخطر الاحتلال . وأن كل دعوة إلى أنكار القديم إنما هى دعوة العدو . والمستعمر ، وكل طابع فى هدم هذه الأمة ، والعمل على إفناء وجودها ، ولو كانت الأمة العربية حرة لاستطاعت أن تقف موقف الانصاف من ترانها ، ولكنها واقعة تحت عواصف شديدة من الغزو الثقافى ودعوات التغريب المنبعثة من داخل الأمة نفسها ، ومصدرها معاهد الارساليات التبشيرية التى تحاول أن تخدم أهداف المستعمر والنقوذ الاجنبى ،

ونحن نحاول أن نجد مثل هذه الدعوة إلى تدمير القديم وسحقه والتشكيك فى أداب الأمم الغربية فلا نجد ، وإنما نجد عكس ذلك ، حرصاً شديداً واستماتة فى الربط بين القديم والجديد ، وبين التراث والواقع الحى .



## الكتب الصفراء

أطلقت عبارة ( الكتب الصفراء ) على كتب التراث العزى الإسلامى لأنها كانت مطبوعة فى المصور الأخيرة على الورق ذى اللون الأصفر ، بيد أن هذه التسمية إنما كانت محاولة للسخرية بهذا اللون من الكتب وتحقيراً له ، بينما تمثل الكتب الصفراء عملاً مجيداً بالغ الأهمية فى تاريخ الحضارة الإسلامية والفكر الإنسانى .

ولقد كانت هذه الكتب الصفراء مصدر تنافس خطير بين الغربيين الذين نقلوها إلى بلادهم وكانت مصدراً للنهضة العلمية والفكرية المعاصرة ، بل لقد بذل المستعمرون منذ وردوا العالم الإسلامى جهوداً ضخمة فى الحصول على الوف المخطوطات والكتب المدفونة فى المساجد القديمة ونقلوها حتى عمرت بها مكتبات لندن وباريس وبرلين ولندن .

ولقد جهل المسلمون والعرب قدر هذه الثروة الضخمة وتحاموها فترة طويلة تحت ضغط الدعوات المضللة التى كانت تدعوهم إلى النظر إليها بعين الاحتقار ، إزاء المؤلفات الغربية الحديثة الباهرة المظهر ، ولكنهم عادوا من بعد إلى إيمان عميق بتراثهم وانتقل كثير من أعلامهم إلى خزائن الكتب الغربية يصورون هذه المؤلفات وينقلونها إلى وطنها مرة أخرى .

واتدحوت هذه الكتب الصفراء درراً من العلم والفكر ، وخاصة كتب الفقهاء التى ضمت عشرات من حلول القضايا والمعضلات وكتب التاريخ التى جمعت مئات المواقف وتراجم الأبطال وكتب الكيمياء والطب والعلوم الطبيعية المختلفة التى قامت عليها نهضة أوربا الحديثة والتى كشفت للغربيين أصول المنهج العلمى التجريبى الإسلامى ،

وما تزال هذه الكتب الصفراء مرجعاً ثراً للسليين والعالم كله ، بما حوت من تراث ضخم حى ، لم يستطع المعاضرون استيعابه والانتفاع به .

## كتب المحاضرات

في فترة من فترات التاريخ الاسلامي ، استشرت كتب المحاضرات التي جمعت ما تجمع لدى العرب والمسلمين من أساطير الأمم السابقة ورواياتها وخرافاتهما وشعرها وحكمها وقد بدأ ذلك على أنه تراث يكشف للمسلمين علامات فكرهم الاصيل المستمد من القرآن والتوحيد ، وبين الفوارق البعيدة بين التوحيد والوثنية ، وبين العلم القائم على العقل ، وبين الخرافات والالوهام .

غير أنه في خلال مراحل الضعف التي مرت بتاريخ المسلمين ومع ضغط قوى الغزو الاجنبية من مجوسية وباطنية ودعاة الفلسفة اليونانية ، وجمعت هذه الاساطير والخرافات وشكلت تياراً ليس هو من الفكر الاسلامي الاصيل ولكنه من الدخائل وإضافات التقليد والابتداع .

ولقد حرص كثير من الباحثين المنصفين على الإشارة إلى هذه الآثار والكشف عن أخطائها وسمومها ، وحذروا من اعتبارها مراجع أصيلة ، أو مصادر سليمة ، غير أنه في خلال يقظة الفكر العربي الحديث ، لم يلبث دعاة الغزو الثقافي والتغريب أن عملوا على من أحياء هذه الكتب لإعادة إذاعتها من جديد ووضعها أمام الباحثين على أنها مصادر يرجع اليها . ومن ذلك ألف ليلة والالغاني وكليلة ودمنة ورسائل إخوان الصفا وغيرها ، ولقد اعتمد الدكتور طه حسين في كثير من مؤلفاته على هذه الكتب وكان من العاملين على إعادة طبعها ونشرها والتعريف بها .

كما عمل على احياء كثير من الاساطير التي أحاطت بالسيرة النبوية وحياة المسلمين في العصر الأول وضمنها كتابه ( على هامش السيرة ) ، هذا بالإضافة إلى دعواه المبجلة في القول بأن القرن الثاني كان عصر شك ومجون اعتماداً على نصوص استخراجها من كتاب الالغاني الذي لم يكن مؤلفاً ليكون مرجعاً تاريخياً أو علمياً ولكنه كان من أعمال الترف والتسلية في جمع شعر الالغاني وسير شعراءه .

ولا شك ان الباحث الثبت لا يتخذ من مثل هذه الكتب مراجع أساسية له .

## اللاتينية

جرت محاولات كثيرة في مطالع هذا القرن وفي ظل النفوذ الاجنبى إلى أعلاء شأن اللغة اللاتينية وفرضها للتدريس بجوار اللغة العربية واللغات الحديثة وكذلك إلى توجيه الاهتمام بالأدب اللاتينى القديم . والمعروف أن اللغة اللاتينية قد هجرها أصحابها منذ وقت بعيد وإنما قد ماتت، ونشأت على أنقاضها لغات الفرنسية والإيطالية والانجليزية الحديثة التى لا يريد عمرها على أربعمائة عام .

ولقد حاول كثير من دعاة التغريب عقد المقارنة بين اللغة العربية واللغة اللاتينية والعجب من بقاء العربية بينما أنتهت اللاتينية وأنطوت صفحتها ، ولقد جرت المحاولات لأعلاء شأن اللهجات العامية فى العالم العربى كمحاولة للقضاء على اللغة العربية الفصحى ، لغة القرآن ، وإحلال هذه العاميات مكانها، غير أن هذه المحاولات كلها باءت بالفشل فليست اللغة اللاتينية كاللغة العربية ، وإذا كانت اللغة اللاتينية لغة أمة فقد أنتهت بإنهاء أمتها ، أما العربية فهى لغة أمة ولغة فكر ، وقد أرتبطت بالقرآن الكريم فأصبحت إلى جانب إنها لغة العرب الذين يبلغون مائة مليون فانها لغة المسلمين الذين يبلغون سبعمائة مليوناً، فهى لغة فكرهم ولغة دينهم ولغة هذا التراث الاسلامى العربى الضخم، الذى لا سبيل للعرب ولا المسلمين إلى الاستغناء عنه .

أما اللغة اللاتينية فإنها لغة تاريخية تدرس اليوم من أجل أحياء نصوص الأدب اللاتينى القديم، وربما كانت لها أهمية خاصة فى دراسات الجامعات الغربية ولكن أهميتها فى دراسة الجامعات العربية قليل، ذلك أن الاداب اليونانية واللاتينية تختلف اختلافاً واضحاً مع الآداب العربية والاسلامية فى مقاصدها ومقوماتها، ولقد رفض المسلمون فى القديم ترجمة الاداب اللاتينية بينما ترجموا العلوم، ذلك لأن كل أمة أديها المستمد من ذاتها والقائم على أساس مزاجها النفسى والاجتماعى . ولقد ترجمت كثير من آثار اللاتينية إلى العربية وحرص هؤلاء المترجمون على أذاعتها بكل وسيلة ولكن الذاتية العربية رفضتها وأحست بالفارق العميق بين طابع النفس العربية القائم على الفطرة والإيمان بالله وبين طابع النفس اللاتينية الوثنى .

## اللاهوت

أطلقت كلمة اللاهوت في الاصطلاح المستعمل في الكتابة العربية على مفهوم الدين الغربي، أى فيما تمثل العلاقة بين الله والناس، أو ما يطلق عليه في مصطلحات الإسلام : العبادات .

ولما كان مفهوم الدين في الفكر الغربي قائم على هذا الجانب وحده ، فقد وصف بأنه لاهوت، ومن هنا تبدو التفرقة الواضحة بين مفهوم الفكر الإسلامى ومفهوم الفكر الغربى فالإسلام ليس ديناً فحسب ، ولكنه دين ونظام مجتمع .

ذلك أن الإسلام لم يفصل بين علاقة الإنسان بربه وعلاقته بالناس والمجتمع بل هما عنصرين متكاملين لا ينفصلان .

أما فى الغرب فقد تلقى الأوروبيون الدين المسيحى فى ظروف كانت الأمم قد أقامت مناهجها الاجتماعية على أساس الفلسفة اليونانية الوثنية، والقانون الرومانى ومن هنا فقد قبلت أوربا دين المسيحية كإطار جامع بين وصايا المسيحية وبين هذين الترائين ، ومن هنا بقى مفهوم الدين فى نظر المفكرين الغربيين قائماً فى أساسه على العلاقة بين الله والإنسان، أما فيما يتعلق بالمجتمع فقد أثر الغربيون مناهج اليونان والرومان التى كانت سائدة فعلاً .

أما فى العالم الإسلامى فقد بدأ الإسلام ببناء جماعة صاغها على مبادئه وظلت هذه الجماعة تنمو حتى شكلت المجتمع الإسلامى من خلاله مفاهيمه وقيمه ، ومن هنا فقد تكاملت فى مجتمعه عناصر الإسلام عن عقيدة وشريعة وأخلاق . ومن هنا اختلف مفهوم الغرب عن مفهوم الإسلام فى هذا الأمر ، وكان لهذا الخلاف أثره البعيد فى فهم الغربيين للإسلام أو فى محاولة التغريبيين تحويل المسلمين عن هذا المفهوم، ودعوتهم إلى قصر الإسلام على الجانب العقائدى أو اللاهوتى وحده وهو ما لا يتفق أبداً مع طبيعة الإسلام نفسه أو تركيب العقل العربى الإسلامى منذ خمسة عشر قرناً .

## المنهج العلمي التجريبي

جاء الإسلام ديناً ومنهجاً اجتماعياً ولقد كانت دعوته إلى العلم أبرز مناهجه ، فقد حث المسلمين على النظر في الكون ، والسعى في آفاق الأرض ، واستخراج ثمرها ودعا إلى العلم ونادى بالبرهان والدليل ، وأقام الإنسان سيداً على الأرض تحت حكم الله . فكان هذا هو منطلق المسلمين إلى النظر والبحث والعمل .

ومن هنا نشأ منهج المعرفة الإسلامي ذى الجناحين القائم على أساس العقل والبصيرة معاً ، دون فصل أحدهما عن الآخر أو لإعلانه ، ومن هنا أخذ المسلمون علوم السابقين جميعاً فنظروا فيها ثم صححوا ما كان فيها من أخطاء وأعادوا صياغة مناهجها بما يتفق مع روح الإسلام وطبيعة المجتمع الإسلامي التى تختلف عن روح اليونان والاعريق الوثني وعن مجتمعات الرومان العبودي ومن ثم أنشأ المسلمون منهجهم العلمي التجريبي الذى تخطى المنهج الاغريقي النظري ، وتقدم في مجال الطب والفلك والعلوم الطبيعية والكيمائية على نحو حقق كثيراً من النتائج العلمية .

ثم كان أن تتلذذ الغربيون على هذه المناهج في جامعات قرطبة وأشبيلية ونقلوها إلى أنحاء أوروبا ثم سيطر الاوربيون على الأندلس وأخرجوا المسلمين والعرب من أوروبا جميعاً ، واستولوا على هذه المناهج والأبحاث ، ثم امتدت أيديهم حتى حققت ثمرات العلم والحضارة العصرية .

غير أن الغربيين أنكروا فضل العرب والمسلمين على هذا العمل فترة طويلة ، وظلوا أكثر من أربعمائة عام يؤكدون أن المسلمين كانوا يعيشون القرون الوسطى ، وأنهم لم يكونوا إلا نقلة للفكر اليوناني ، غير أن أصوات منصفة لم تلبث أن ظهرت في السنوات الأخيرة كشفت عن الحقائق واعترفت بفضل العرب والمسلمين ، ليس في مجال العلم والطب والمنهج التجريبي وحده بل في مختلف مجالات الفكر العالمي من تاريخ واجتماع وسياسة واقتصاد .

## المرأة وتحرير المرأة

كانت الدعوة إلى تحرير المرأة أساساً ثمرة من ثمار الدعوة الإسلامية ، فقد أعطى الإسلام للمرأة حقوقاً في مجال المجتمع والاقتصاد والعلم لم تكن تعرفها أوروبا إذ ذاك ، حيث كانت تعقد المؤتمرات في الغرب للنظر فيما إذا كانت المرأة مخلوقاً إنسانياً أم لا ، في هذه الفترة بالذات كان محمد بن عبد الله ينادى في قلب الجزيرة العربية بحرية المرأة ومكانتها ويعلن حقوقها الاجتماعية والاقتصادية التي منحها الإسلام .

وقد كتبت المرأة المسلمة في ظل الإسلام صفحة ناصعة في مختلف المجالات غير أن مرحلة الضعف والتخلف قد ألقت ظلها على المرأة وعلى المجتمع كله ، فانزوت المرأة ، ثم فرض عليها الجهل والحجاب ، فلما جاء الغرب جعل من بين أهدافه الاستعمارية تدمير الأسرة وإخراج المرأة إلى الحياة وخلق أجواء من الحب والغرام والائتم ومحاولة تحرير المجتمع من قيم الغيرة والعرض والكرامة التي قدمها الإسلام للمرأة .

غير أن الاستعمار لم يكن يستطيع أن ينفذ برامجه الأعلى مراحل طويلة ، فكان من أبرز ماعمل لاذاعته : « القصة الغربية الاباحية ، فأغرى كثير من الكتاب الشوام بترجمة القصة فذاعت ذيوهاً شديداً ودخلت كل بيت وألقت إلى العذارى تلك النشوة الخيالية في صور من الاباحية والوهم ، فأثارت في النفوس ثائرة العذرية وألهبت في المشاعر عواطف الجنس وأغرقت البلاد بالاندية الليلية والرافصات . والخور وأساليب الدهارة وأباحث البغاء وجعلت له أحياء خاصة ودافعت عن وجوده :

ولقد حرص الغيورون على كشف مفاهيم الإسلام في تحرير المرأة ، هذا الفهم القائم على تعليم المرأة واشتغالها بالأعمال التي تناسب طبيعتها بعد دعم شخصيتها بترية بيتة قوامها القدوة الصالحة ، وتعليم متخصص يدرس لها ما تحتاج إليه ولا يشغلها بما يشغل به الصبيان غير أن الاستعمار حال دون ذلك بإفساد التعليم وإفساد الأسرة نفسها ، ومن هنا فقد كانت استغلت صيحة تحرير المرأة التي نادى بها بعض الكتاب ، في سبيل لتحقيق أهداف الاستعمار نفسه ، ولقد ركز المبشرون في تقاريرهم على تعليم المرأة في مدارس الارساليات الخاصة الداخلية واهتموا بتعليم أبناء السراء والأمراء والقادة وقالت إحدى كليات المبشرين أن هذا التعليم هو أقرب طريق لهدم الأسرة المسلمة .

## المحافظة

وصفت المحافظة، في الأدب العربي الحديث بأنها تقف في مقابل (التجديد)، وكان هذا خطأ متصوفاً ومغالطة تغريبية خالصة، ذلك أن المحافظة ليست جموداً ولا تأخراً ولا رجعية إلى التقليد، ولكنها محاولة لايجاد الترابط الصحيح بين الخطوط المختلفة لشخصية المجتمع والفكر جميعاً.

فإن الدعوة إلى التجديد وحدها إنما تستهدف لإخراج الفكر والمجتمع من مقوماتهما الأصلية بينما الجود وحده هو دعوة إلى التوقف على النمو وكلاهما ليسا من الخير الذي ترقبه المجتمعات لإبان النهضة.

ولما يقوم النهضة على عوامل مختلفة قوامها المحافظة على القيم الأساسية الثابتة التي بنيت عليها الأمة أساساً ثم تفتح الباب للجديد فتتغير فيه في وعي ورشد، فتأخذ منه ما تراه صالحاً لنموها وتجديد حياتها.

ولقد كانت تجارب الأمم جميعاً من هذا النوع، ولم نر أمة أصيلة التاريخ عميقة الجذور ذابت في فكر أمة أخرى أو مناهجها وانتقلت كلياً إلى الجديد الوافد.

ذلك أن هذا الجديد الوافد إنما يحى عادة قسراً وفي ظل ظروف القهر والاحتلال، وإن هذا الجديد قد يكون خاصاً بأمة وأهله، من نتاج فكرهم وفي مواجهة معضلاتهم، وتحديات مجتمعاتهم. ولذلك فإن أى تجربة من تجارب النعوض في الاجتماع أو السياسة أو الاقتصاد في أى أمة، لا تكون صالحة للنقل أو الاقتباس من أمة أخرى، شأنها شأن البذور التي قد تنمو في تربة ولا تنمو في تربة أخرى.

ولقد كانت الدعوة إلى التجديد وإتباع المحافظة، من التحديات التي واجهت مجتمعاتنا في ظل النفوذ الأجنبي الذي كان حريصاً على أن يخرج هذه الأمة عن مقوماتها وإغراقها بالرأى الجديد الوافد الذي تختلف مع طبيعتها وعقائدها

وذايتها ، حتى لقد دعا أحدهم إلى أن نأخذ الحضارة الغربية شرها وخيرها وما  
يحمد منها وما يعاب ، فإذا تصدى أحد هؤلاء الغزاة وأعلن أن لهذه الأمة  
مقوماتها وصف بالمحافظة أو الجرد أو الرجعية ، ثم تحرر الفكر العربي ثمة من  
هذه الدعوة الضالة حيث تحول بعض هؤلاء الدعاة إلى المحافظة والاعتدال  
وعرفوا أن قيم الأمم عميقة الجذور يستحيل أن تقصف أو تقتل تحت أى  
تهديد أو إغراء .



## المعرفة والعقيدة

كان من أخطر ما واجه الفكر العربي الاسلامي في مواجهة التغريب والغزو الثقافي : تصيب المصطلحات وتمويه المفاهيم ووضع الأغشية في وجه الفوارق بين القيم ، البسطاء حتى يظل السذج على فهم مضلل ، ودون أن يعرفوا الفرق بين كلمة حق وكلمة باطل مموهة لها بريق وخداع .

ومن أخطر هذه المصطلحات محاولة إحلال كلمة المعرفة ، بدلا من كلمة العقيدة . فالمعرفة : هي الثقافة العامة والعالمية ، المشاعة للناس جميعا ، والتي تمثل التعريف بأنواع المعارف المنشورة في الثقافات المتعددة وهذه تختلف اختلافا واضحا عن العقائد التي تتصل بأمة بذاتها والتي تتشكل من خلال تراث وقيم وتاريخ ودين ، وهي تختلف اختلافا واضحا في كل أمة عن الأمة الأخرى ، وتختلف بين أمة الشرق والغرب ، وتختلف بين المسلمين وبين غير المسلمين ، وبين العرب والغرب .

ولقد تشكلت الأمم منذ قديم من خلال عقائدها وقيمها ولغاتها ومفاهيمها على نحو جعل لكل منها طابعا مختلفا . فإذا صنفنا هذه الخلافات وصلنا إلى ثلاث جذور هي :

• الأمم الشرقية ذات التراث الروحي الخالص التي تستمد مفاهيمها من آراء بوذا كنفوشيوس والبرهمية وغيرها من العقائد التي تعنى شأن الوجدان والقلب والبصيرة .

• الأمم الغربية ذات التراث اليوناني الاغريقي الروماني الهليني الوثني من آراء سقراط أرسطو وأفلاطون وغيرها من العقائد التي تعنى شأن عبادة القوة وعبادة الجسد تالية والعقل .

• الأمة الاسلامية ومنها العرب ذات التراث التوحيدي الخالص القائم على منهج متكامل من العقل والبصيرة ، الرابط بين الروح والمادة ، والدينا والآخرة ، والعلم والدين . ومن هنا فقد كان من الضروري لا متنازعا وهي مفتوحة النوافذ للمعارف المختلفة والعقائد المختلفة أن تكون على وعي بالفوارق بين المعارف والمتائد .

## المثل الأعلى

يختلف المثل الأعلى في كل دين وعقيدة وفلسفة ، وقد صورت المسيحية المثل الأعلى في القديس المتبتل الزاهد الوداع . ويصور نيتشه « المثل الأعلى » في السوبرمان الطاغية الانانى المتغطرس المتجبر ، أما في الاسلام فلانجد المثل الأعلى في الانسان بل نجده ممثلا في الله سبحانه وتعالى ، وفيه تعالى يجتمع من الكمالات المطلقة أقصى ما يستطيع عقل بشرى أن يتصوره . ويجد المسلمون في الله سبحانه وتعالى المثل الأعلى في صفاته وأسمائه الحسنى والله المثل الأعلى ، « وله المثل الأعلى في السموات والارض وهو العزيز الحكيم » ،

ويرى الدكتور توفيق الطويل : أنه إذا كانت الرحمة في المسيحية هي رأس الكمالات والقوة عند نيتشه هي قمة الفضائل ، فقد جمع الله تعالى بين الرحمة والقوة في تضاد وتوازن فهو قادر منتقم وهو غفور رحيم وصفات القوة والجبروت عنده لا تطفئ على صفات الرحمة ، ويقول : إن الله هو المثل الأعلى لكل من آمن بالاسلام فمن اعتدى يهدى الاسلام حق عليه الاقتداء بالله ، ومحاولة الاقتداء بصفاته الحسنى ، أو كما يقول الصوفية من المسلمين : « تحقيق الكمالات الالهية على قدر الطاقة البشرية » ، ويتجلى المثل الأعلى الاسلامى في مفهوم السلم والحرب بأجلى صورة فالله سبحانه وتعالى حرم البدء بالعدوان ( ولا تعتدوا إن الله لا يحب المعتدين ) ولكنه أكد رد العدوان ( فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم ) .

وهو سبحانه الذى دعا إلى المصابرة والمرابطة : يا أيها الذين آمنوا اصبروا ( أى غالبوا الاعداء بالصبر على المكارة في الحرب ) ورابطوا ( أى اجتمعوا في الثغور مترصدين للعدو متأهبين للغزو ) ويقول ( وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل أى قلاع وحصون ) .

أما في الغرب فقد أنكر الفلاسفة مفهوم المسيحية للمثل الأعلى ، ودعا نيتشه إلى صورة أخرى للمثل الأعلى تتمثل في الانسان الأعلى : وفي صورة الطاغية المستبد الانانى الجبار الذى يعتمهم بالظلم والقسوة والجبروت ويحتقر الصبر والحلم والهدوء

يطالب بالقضاء على المرضى والمحتاجين ، ويرد الدكتور توفيق للطويل المثل الأعلى الذى رسمه نيتشه إلى نظرية التطور التى تأثر بها ، وأصر على تطبيق قانونها على الاخلاق ، ودعا إلى ترك المبادئ الخلقية والانصراف عنها ، حتى ينقرض الضعيف ويبقى الاقوى ، وكانت نتيجة التطبيق مروعة ، إذ سرعان ما تحولت به فضائل المسيحية من إحسان وتضحية ، وأصبحت القسوة والظلم والبغى والعدوان ونحوها فضائل تتجلى فيمن أسماه ( السويرمان ) وقد قسم نيتشه الاخلاق إلى وأخلاق سادة وأخلاق عبيد ، ووصف المسيحية بأنها أخلاق عبيد ، أما أخلاق سادة فتمثل فى إرادة القوة واحترام الظلم والفسوة والمغامرة .

ويرى الدكتور الطويل أن مرد فلسفة نيتشه إلى رجل مصاب فى جسمه وفى عقله وقد أمضى عمراً من حياته يعانى آلام مرض وراثى فى جسمه ، وفى متاعب صرع أصابه فى عقله مما دعاه إلى التماس مثله الأعلى فى دنيا المغامرة واقتحام الاخطار .

ولكن نيتشه انتهى ، ومثله الأعلى لم يفته ، بل يكاد يكون المثل الأعلى للفكر الغربى فى العصر الحديث وبه يتمثل الاستعمار والنفوذ الاجنبى والصهيونية .

ويتصل بالمثل الأعلى الغربى بآراء ميكافيل ، ومذهبه فى السياسة الذى اعتنقته أوروبا حيث يرى أن السياسة لا ترتبط بالضمير ولا بالأخلاق .

## منطق أرسطو

سبقت الفلسفة اليونانية الأديان الكبرى الثلاثة ثم كان لها تأثيرها الواضح على الديانة الموسوية ثم أنتقل إلى الديانة المسيحية . فلما ظهر الإسلام وتمت رسالته واكتمل منهجه ، وكانت دعوته إلى التوحيد أمتداداً لمفهوم الأديان المثلة من عند الله قبل أنحرافها ، بدأ هذا التوحيد غريباً بالنسبة لمفاهيم الأديان التي كانت قد اختلطت فيها الفلسفات اليونانية والهندية والفارسية مع الإديان القديمة كالبوذية والمجوسية وغيرها ومن هنا بدت مفاهيم هذه الأديان متقاربة متشابهة . وبدأ الإسلام منذ ذلك الوقت وإلى اليوم وكأنه يحمل مفاهيم مستقلة تختلف كل الاختلاف في جوهرها عما وصلت إليه الأديان من تضارب وتحريف .

ولكن الفلسفة اليونانية لم تلبث أن أفتحت مجال الفكر الإسلامي وأثرت فيه ، فقد أستمعان الإسلام بمنطق أرسطو في فترة من أدق الفترات وفي مواجهة مهاجمات الأديان وصياها ومساجلاتها ومنه أنطلق علم الكلام للرد على شبهات خصوم الإسلام بنفس منطقهم .

غير أن الفكر الإسلامي لم يلبث أن تحرر من منطق أرسطو، وكشف أعلام هذا الفكر عن منطق القرآن وكان لابن حزم والغزالي وابن تيمية آراء واضحة في هذا المجال وما ذكره الغزالي أن منهج الكلام مثل الرداء وهو عما يحتاجه الإنسان في فترة المرض .

أما منهج القرآن فهو مثل الماء والغذاء مما يحتاجه الإنسان في مختلف فترات حياته . ثم جاء ابن تيمية فالف كتابه الرد على المنطقيين فإشار إلى أن للقرآن منطق خاص يختلف عن منطق أرسطو . وقد كشف ابن تيمية في منطق أرسطو عن خصائص العقلية اليونانية التي تباين الفكر الإسلامي ويختلف عنه فالعقلية اليونانية تقع تحت الطابع النظري في التفكير وتعلل من شأن العلوم النظرية وتراها أشرف من العلوم العملية وتهتم بالجانب الصوري من المنطق دون المادى وتجعل القياس أكثر أنواع الاستدلال يقيناً بينما يقرر الإسلام أو ضاع الحياة العلمية ويعتمد

على التجربة ويقول الدكتور النشار : أن العلوم الإسلامية نشأت تبعاً لحاجات الحياة بل أن اهتمام الفكر الإسلامي بالحاجات الإنسانية قد دعا الفقهاء في الأحكام إلى العدول عن قياس الغائب على الشاهد إلى الاستحصان .

ويقول العز بن عبد السلام أن الله شرع لعبادة السعى في تحصيل مصالح عاجلة وأجلة تجمع كل قاعدة منها علة واحدة ثم استثنى منها ما في ملابساته مشقة شديدة أو مفسده تربو على تلك المصالح ، ويعبر عن ذلك بما يخالف القياس وذلك جائز في العبادات والمعاملات وسائر التصرفات .

ومن هنا فقد ناصر ابن تيمية المنطق المادى وانتقد المنطق الصورى ، وهاجم أفكار الماهيات والكميات وسائر التصورات التى لم تستند إلى وجود غيى ، وبذلك بعد ابن تيمية رائداً لكل الاتجاهات الحديثة في نقد منطق أرسطو من أرجانون فرنسيس باكون إلى المنطقية الوضعية لدى ستينج وكرناب وغيرهما كما ترك بصمات واضحة في المنطق المادى لدى يكون وميل والمنطق السيكلوجى لدى كوزان ثم وقد هاجم ابن تيمية الفلاسفة الذين تشيعوا منطق أرسطو أمثال الغزالي وابن سينا وابن رشد .

وكان منهجه الواضح هو الكشف عن أن هناك مبانة واضحة بين الفكر الإسلامى والفكر اليونانى في اعماق أعماقه وفى قضاياها الرئيسية .

ويرى ابن تيمية أن التسليم بمنطق اليونان يقوض أساس الحضارة الإسلامية إذ سينتج عن ذلك أحكاماً عامة تهدم ما تبناه المسلمون من أحكام ولا سيما في نطاق الإلهيات . فكانت عبقرية ابن تيمية لافى فقد المنطق الارسطاليسى وإتباعه في استخلاص منطق بعيد عن خصائص العقلية الإسلامية ويعمل طابع الحضارة فيها .

## المسرح والفكر الإسلامى

يتردد القول كثيراً حول المسرح والقصة في الفكر الإسلامى والأدب العربى .

لماذا لم يظهر المسرح في الفكر الإسلامى ، والواقع أن ذلك يتفق تماماً مع طبيعة النفس العربية الإسلامية بطبيعة تركيبها ومن خلال مزاجها النفس الذى اتصل بمنهزم الإسلام والقائم على التوحيد فقد تشكلت هذه النفس مطبوعة على الصراحة والوضوح ، وقد فرض عليها ذلك إيمانها بالله « وجوها الصحراوى الواضح الذى يمتلىء بالضوء منذ الصباح الباكر فاذا أشرقت الشمس عم الكون كله ضياء ونور .

فالنفس العربية واضحة كل الوضوح ، صريحة كل الصراحة لا تحتاج إلى الرموز ولا إلى الإيحاءات ولا تجد هناك ما يحول دون أن تقول الكلمة ، وقد أعطاهما فكرها الإسلامى هذه القوة وهذا الوضوح ، فضلاً عن بساطة العقيدة الإسلامية التى لا تحتاج إلى مسرحية طويلة لتشرحها أو تجلى في نفوس الناس وعمقوهم فلسفتها ،

وبالإضافة إلى ذلك فقد شكل القرآن منهج البلاغة العربية فأقامها على الوضوح والإيجاز ، حتى عد أبلغ الكلام هو السهل الممتنع . وقال النبی عن نفسه : أن الحكمة قد اختصرت له اختصاراً وقالت السيدة عائشة رضى الله عنها : أن النبی لم يكن يسرد كسر دكم هذا ولكنها كلمات موجزة .

كل هذه العوامل كانت بعيدة الأثر في انتفاء الملاحم والأساطير والمسرح عن الأدب العربى والفكر الإسلامى ، فقد كانت هذه الملاحم والأساطير والمسرح نتيجة لطبيعة الأمم التى عرفت هذه الفنون ، فقد اتخذتها وسيلة للافصاح عن فكرها حيث عاشت في بلاد تميزت بالليل الطويل والظلام والغيوم

والسحب ، وعرفت بالجبال العالية والبحار العميقة ، وما يتصل بذلك من مخاوف  
كانت تملأ قلوب سكان تلك البلاد ومن هنا نشأت الاساطير والقصص الخرافية ،  
وكانت الفلسفة الوثنية تحتاج إلى تفسير وإيضاح ، ومن هنا كان الرمز في التعبير  
وكان المسرح للتوضيح فكيف يوجد هذا في بيئة تختلف كل الاختلاف ،  
ولا تحتاج إلى مثل هذه الوسائل لإيضاح أفكارها أو تبليغ كتبها .

ولقد رأى العرب الشعر اليوناني والقصة اليونانية إبان حركة الترجمة التلقائية  
فأعرضوا عنها لأنها كانت مليئة بالوثنيات والاساطير وكانت متعارضة مع  
ذاتيتهم وعقائدهم ، أما ترجمتها اليوم فان ذلك لم يكن بارادة الفكر الاسلامي ،  
ولكن بما فرض عليه ومع ذلك لم يسفها ولم يتقبلها .

## القرآن والأدب

جرت محاولات في دراسات الأدب العربي خلال الثلاثينات ، كانت تستهدف وضع القرآن الكريم موضع النقد وتعتبره أثراً أدبياً يمكن أن يجرى عليه ما يجرى على أى قصيدة شعرية أو قطعة بلاغية .

ولقد أخطأت هذه الدعوة طريقها ، لأنها اعتبرت القرآن كتاباً موضوعاً ، كتبه محمد ، بينما القرآن ليس كذلك ، فهو من آى الله المنزلة من السماء وليس من صياغة بشر ، ولذلك فإن وضعه موضع النقد ليس بالأمر الصحيح علباً حيث تناقش أثار الأدباء والكتاب .

ولقد أجرى الغربيون نفس المراجعات على التوراة والكتب الدينية ، غير أنهم أكدوا بطريقة حاسمة قبل أن يقوموا بهذا العمل أن هذه الكتب لبست سماوية ولا منزلة ، وأنها محررة بأقلام بشر ، وقد بلغوا فى ذلك مبلغاً بعيداً من التحقيق فذكروا أسماء الكتاب الذين شاركوا فى كتابة هذه الكتب ، ومن ثم فقد اعتبروها تراثاً أدبياً قابلاً للمراجعة والنظر وأخضعوها لقواعد النقد الأدبى .

ولكن الذين حاولوا مثل هذه المحاولة فى الأدب العربى كانوا يعرفون أن القرآن نص سماوى موثق لا يأتى الباطل من بين يديه ولا من خلقه ، وأنه ظل محفوظاً دون أن يطرأ عليه ما طرأ على الكتب الدينية الأخرى ولذلك فقد كانت محاولتهم أخضاع القرآن لمثل ما أخضعت له الكتب الأخرى فى الغرب ، كان جرأة ومجازفة وخروجاً على مناهج البحث العلمى نفسه .

غير أن النظر فى الدوافع والخلقيات يكشف عن أن هذه المحاولة لم تكن خالصة لوجه البحث العلمى ولكنها كانت ضمن مخطط تقريبي يرمى إلى إخراج شباب المسلمين الذين يتعلمون فى الجامعات من قدسيه النص القرآنى ، وخلق إحساس بالاستهانة به والنظر إليه على أنه كتاب أدبى خالص ، وقد جاء ذلك فى غيبة التربية الإسلامية الصحيحة التى كان الاستعمار قد رفعها من مناهج التعليم حتى لا يبقى فى نفوس الشباب أى قدر من الإحساس بأصالة القرآن وسلامته وأنه منزل من عند الله .



## هزيمة المعتزلة

يردد كثير من الباحثين الغربيين ومن تابعهم من كتاب يكشفون باللغة العربية هذه العبارة « هزيمة المعتزلة » يريدون بها القول بأن هذه الهزيمة إنما كانت عاملاً من عوامل الضعف الذي حل بالمجتمع الإسلامي.

وهؤلاء الباحثون هم أما مغرضون يعرفون الحقيقة ويتجاهلون في سبيل تمويه الأمور وغش القراء وتضليلهم عن حقيقة تاريخ الإسلام وفكره .

أما هم مع الأسف لم يستوعبوا حقائق الإسلام ولم يفهموه فهما صحيحاً ، وربما فهموه من داخل دائرة الفكر الغربي الذي كان دائماً سبب الرأى في الإسلام وفي الأديان عامة .

والحقيقة أن هزيمة المعتزلة كانت نتيجة طبيعية لاختلاف هذه الدعوة مع جوهر الإسلام ومع طبيعة الفكر الإسلامي ومنهج المعرفة في هذا المنهج الذي يقوم على جماع العقل والوجدان ، لقد كان الاعتزال أساساً محاولة أصيلة لمواجهة المذاهب الفلسفية التي كانت تحتّمى وراءها الأديان المعارضة للإسلام وقد أدى دوره في هذا المجال على أحسن وجه ، وواجه علماء الكلام في الأديان والفلسفات الأخرى في قوة وأدال منهم وحقق كثيراً من النتائج وأدخل مئات من الوثنيين في الإسلام .

غير أن المعتزلة لم يلبثوا أن بلغوا درجة من الغلو في تأكيد موقفهم وفكرتهم « وبذلك أعلوا شأن العقل وبلغوا به مبلغاً خطيراً ، ولما كان المسلمين يؤمنون بالغيب والشهادة ، ويؤمنون بالوحي والعقل » ويتكامل إيمانهم هذا ويتشكل في وحده واحدة فإن إعلاء شأن العقل وحده كان خروجاً على مفهوم الإسلام ، وهو خروج عرض المعتزلة للهزيمة وعرض فكرهم للانحياز تحت أضواء الإسلام الصحيح ، ومن هنا جاءت تعديلات وتصحيحات قام بها الإمام الأشعري

ومدرسة الامام أحمد بن حنبل إذ كان لابد أن يعود الاسلام الى اصوله ، وان يتحرر بما اصابه عن طريق الفلسفة اليونانية من انحراف .

ولذلك كانت هزيمة المعتزلة نصراً لاصالة الاسلام وتعديلا لمسار فكره وربما كان حزن بعض الغربيين على هزيمة المعتزلة راجعاً الى ما حاولوا ان يلصقوه بها من انها كانت منطلق الفكر اليوناني الاغريقي ولانها لو حققت نجاحاً مضطرباً لقضى ذلك على وسطية الاسلام وتكامله بل وربما قضى على ارفع مفاهيم الاسلام واصلها الاصيل ، التوحيد ، ولذلك فهم يتمسحون بالمعتزلة ويعلمون من شأنهم .

## وحدة الوجود

وحدة الوجود مذهب دخیل على الفكر الاسلامی والثقافة العربية، وهو من المذاهب الفلسفية القديمة المرتبطة بالوثنية والمجوسية وفلسفات الإغريق والهنود والفرس التي تحرر منها الاسلام بالتوحيد وفصل بينه وبينها .

وتعني وحدة الوجود تالية المخلوقات واعتبار الكون هو الله ، وقد أثار هذه الدعوة موج من الصراع الفكري العنيف وشجها الفكر الاسلامي . على لسان كثير من علماء الكلام والمحدثين والمفسرين والفقهاء والصوفيين السنيين ، على اعتبار أنها دعوى تناقض مع حوهر العقيدة الاسلامية تناقضاً مطلقاً بحيث لا يمكن التوفيق بينها وبين عقيدة التوحيد بأى وجه من الوجوه .

وقد سمي آسین بلاسيوس في كتابه ابن عربي دعاة هذه الفكرة بالاسلام المتنصر *Ellslam eristianiza* وقال أنها جاءت من المذاهب الباطنية .

وهذا هو سر اهتمام المستشرقين والمبشرين بالدعاة إلى هذه الكرة كإبن عربي والحلاج ، وترويج كتاباتهم رغبة في إحداث شبكات عميقة تبليغ عقيدة البسطاء .

ومفهوم الاسلام في مواجهة وحدة الوجود هو أن الموجود إثنان :

واجب الوجود ، وممكن الوجود :

واجب الوجود فهو صانعها || احد الواحد الفرد الصمد .

وممكن الوجود هو هذه الكائنات التي تتركها بحواسنا الخمس مباشرة :

كما أنكر الاسلام عقيدة الاتحاد : أى حلول الخالق في المخلوق ، أو استفراق المخلوق في الخالق ، وهو أى الاسلام يميز طبيعة كل منهما ولذا أنكر الاسلام فكرة الحلول .

والاسلام لا يقبل وحدة الوجود لأن فيها انتقلا من عقيدته الأصلية ( لا إله إلا الله ) إلى ما يقوله بعض الصوفية ( لا موجود في الحقيقة إلا الله ) وسياق كل منهما ينتهي إلى نتائج مختلفة أشد الاختلاف لنتائج الأخرى .  
والتصوف في مفهوم الاسلام يبدأ القرآن وينتهي إليه .

## وحدة الحضارة

هناك دعوات ارتبطت بالاستعمار والنفوذ الاجنبي أطلقت عليها عبارة وحدة الحضارة ، وحدة الثقافة العالمية ، والحكومة العالمية .

وعبارة وحدة الثقافة العالمية : عبارة خلاصة المظهر براقعة الصورة ولكنها تخفى في أعماقها التعصب والاحتقار للثقافات الانسانية ومعناها في الواقع سيادة الثقافة الغربية وحضارتها وتشيدها على ثقافات الأمم وحضاراتها ولا سيما الثقافة العربية والفكر الاسلامي ، هذه التي سادت أفريقيا ، وآسيا ، والتي هي طابع هذه المنطقة التي ما تزال مجال النفوذ الاستعماري للغرب وهي تسمى هذه الدعوة : دعوة التمدن والتحضير للأمم المختلفة ، رسالة الرجل الأبيض إلى العالم الملون . والهدف السكامن في أعماق هذه الدعوة الباردة والملبس والمظهر ، وهو سوق الناس جميعاً إلى الولاء والعبودية للإمبراطورية في الفكر الغربي وإحلال قيم الفكر الغربي ومفاهيمه محل القيم الفكرية الثقافية التي يدين بها الشرق والعالم الاسلامي والعرب أفريقيا ، وهي قيم ومفاهيم تختلف في جوهرها عن قيم الفكر العربي ومفاهيمه .

ومن الحق أن يقال أن هناك دعوات متعددة للحكومة العالمية أو الوحدة العالمية فالماركسية تدعو إلى وحدة قوامها الفكر الماركسي ، والامبريالية الغربية تدعو إلى وحدة تقوم على قيمتها ومفاهيمها ، وتحمل الصهيونية لواء دعوة إلى وحدة تخضع العالم كله للفكر الصهيوني ، وكل من هذه الوحدات تتصارع وتحاول أن تفرض أيديولوجيا وتعمل كل منها لتضع العالم تحت سلطانها ، والحضارة الإسلامية العربية لها دعوة عريضة إلى الوحدة الانسانية ، تحمل أصنى المثل وأنبل المبادئ ولا تتطلع من وراء هذه الوحدة إلى السيادة أو النفوذ الاستراتيجي ، ويرى الدكتور عوليلو قرير والكاتب الايطالي في كتابه وحدة العالم : أن الوحدة لا تتحقق بتغلب أمة على أمة أو جنس على جنس ، ولا يمكن أن يكون فرد واحد سيد العالم وكذلك الوحدة لن تكون بتوحيد اللغات فهذا غير ممكن .

ويتسامل هنريك رالف في كتابه ( الانسانية والوطنية )

هل يجدر بالأمم الضعيفة المهضومة الحقوق أن تأخذ بالزرعة الانسانية وتضحى بالزرعة الوطنية ، وهل تفكر في سعادة الانسانية قبل أن تفكر في سعادتها .

ويرى هنريك رالف أن الزرعة الانسانية يجب ألا تعتقها إلا الأمم القوية ، أما الأمم الضعيفة فإن لم تمسك بوطنيتها اعتدت عليها الأمم القوية . ويمتد هنريك رالف من أنصار السياسة الانسانية هم طائفة المنافقين يروجون لها دفاعاً عن مصالحهم الخالصة ورغبة في الاستمرار على بسط نفوذهم وسيادتهم على الأمم المهضومة الحقوق .

ويرى كثير من الباحثين : أن محاولة الغرب في توحيد البشر إنما يعنى صبغها بالصبغة الأوربية وطبعهم بظابعها . وما دام الغرب يؤمن أن ليس الانسان في مجموعة سيد الخليقة وإنما الانسان الأبيض وحده هذا الانسان الأبيض الذى ندب لتطهير الأرض وحماية الحضارة ، فإنه لا سبيل إلى هذه الوحدة ، كذلك دعوة الصهيونية إلى امتياز شعب الله المختار وما يرددونه من رسالة اتدبوا لها ، كل هذا من شأنه أن يحول دون وحدة الانسانية التى لا تتجمع إلا وفق مفهوم الاسلام وحده : « لا فضل لعربى على أعجمى إلا بالتقوى » وإن الأمم شعوبها وقبائلها تستطيع أن تتعارف وتلتقى على الأخوة والمحبة والمساواة .

## الوسطية

مفهوم الوسطية ترتبط إلى حد كبير بالفكر الاسلامى إذا تصور أن الفكر الشرقى (البوذية الكنفوشوسية والهندوكية) بما يوصف بالروحية الصرفة والفكر الغربى (المادية والماركسية والوجودية) بما يوصف بالمادية الصرفة ، فى هذا يوصف الفكر الاسلامى بالوسطية الجامعة بين الروح والمادة .

وقد تنبه إلى هذا المعنى كثير من الباحثين الذين يرون أن الخلاف بين ابدولوجية الفكر الغربى والفكر الماركسى لا يحلها إلا الفكر الاسلامى فحيث الماركسية تؤله المجتمع والغربية تؤله الفرد، يؤكد الاسلام الرابطة الجامعة المتوازنة بين المجتمع والفرد ، وحيث يقف الغرب عند نزعة الحرية وتقف الماركسية عند نزعة العدل يجمع الاسلام بينهما فى مزيج يعطى زبدة كل منهما ، ومن هنا يبدو وما يسمى وسيطية الاسلام بين الروح والمادة من ناحية وبين الفردية والجماعية من ناحية أخرى ، ويرى العلامة السلاجوقى : أن اليهودية انحرفت إلى الفردية الطاغية ، وأكدت المسيحية على الروحية الصرفة ثم جاء الاسلام وسطاً جعل الفرد متفاعلاً مع المجتمع ، وجعل المجتمع متفاعلاً مع الفرد على قاعدة التوازن وتبرز وسيطية الاسلام ليس فقط فى تقريب الفرد مع المجتمع وليست فى تقريب المجتمع من الفرد ، وإنما فى هذا السلوك الخلقى لأن الوسط بين التفریط وبين الإفراط هو فضيلة وهو خلق .

ويقول المستر قدجب : أخذ المسلمون يسلكون سيلاً وسطاً فأخذون خير ما فى الشرق وخير ما فى الغرب وسيؤدى هذا إلى ظهور المثل العليا الجديدة للثقافة العربية .

الباب الخامس

الدعوات والمذاهب





## البهائية

خدع كثير من الباحثين الغربيين وربما قصد بعضهم إلى اعتبار البهائية دعوة من دعوات الإصلاح والتجديد الإسلامى توضع فى مجال التقدير والاعتبار فى موازاة دعوة جمال الدين الأفغانى ومحمد عبده ، وقد تابعهم بعض الباحثين المسلمين فى هذا الرأى ، بينما تجمع المصادر المختلفة على أن البهائية حركة هضادة للفكر الإسلامى ومحلة تغريبية للقضاء على مفاهيم الإصلاح على النحو المستمد من الفكر الإسلامى وقوامه التوحيد واحلال مفاهيم أخرى مستمدة من الدعوات الباطنية والمجوسية القديمة . وأية ذلك اهتمام الاستعمار بها ونشجيعها ورعاية المبشرين والمستشرقين ودعاة التغريب بها فى نفس الوقت الذى تقاوم فيه هذه المؤسسات جميعاً كل دعوة إصلاحية حقيقية وتختمها فى المهد أو تحمضها قبل أن تولد .

وتبدو دعوة البهائية واضحة فى أنها محاولة لخلق جو من التضارب الدائم بين الأمم وذلك بإلغاء الأديان القائمة واحلال دين جديد يوحد بين الأمم وترك العصبيات المذهبية والجفسية والسياسية

وقد أحاط النفوذ الاستعمارى هذه الدعوة بالتشجيع والتقدير وأفسحت لها الصحف واهتم بها الكتاب وركزت على الأضواء فى نفس الوقت الذى كانت الصهيونية تحاول أن تسيطر فى فلسطين وغزوات التبشير بجتاح العالم الإسلامى ومصر على الخصوص ، وقد تردد أن هذه الدعوة إنما قصد بها إلى تركيز النفوذ الاستعمارى فى البلاد التى ظهرت فيها ( إيران ) وإنها حاولت أن تستمد مفاهيمها من موروثات قديمة باطنية ومجوسية ولكن براعة النفوذ الاستعمارى كانت قادرة على الإعلان بها وإذاعتها والاستفادة بها فى مختلف أنحاء معالم الإسلامى لانارة الشكر فى النفوس وكسب مزيد من الذين ترعزت عقائدهم .

وحاول كتاب مسم فى العشرينات والثلاثينات الدعوة لها والقول بأنها تقوم على أساس وحدة الأديان وأنها جماع المسيحية واليهودية والإسلام وأنها

تستهدف توحيد لغات العالم ومساواة الرجل بالمرأة ونبذ العصبات واتحاد الشرق والغرب وذلك بزوال الاديان والم تفلح كل وسائل الدعاية في أكبر الصحف — إذ ذاك — وبأكبر الأفلام في كسب واحد من المسلمين لهذه الدعوة بل ماتت الدعوة في مهدها وانكشفت معارضتها للذوق والضمير والروح الاسلامي .

وقد أولت بريطانيا داعية البهائية اهتمامها ومنحته الحكومة البريطانية لقب سير واحتفل به هربرت صمويل المتدوب السامي البريطاني اليهودي الاصل في القدس ثم كشفت الايام من بعد تلك الرابطة الاكيدة بين البهائية والصهيونية عندما عقد المؤتمر العالمي للبهائية في إسرائيل عام ١٩٦٨ بعد وفاة زعيمها عباس البهاء بخمسين عاماً وتكشفت تلك العلامة في أن دعوة البهائية إلى إزالة جميع الاديان اليهودية والمسيحية والاسلام لم تكن تهدف في الحق إلا إلى إزالة الاسلام .

وقد حاول البهائيون التشكيك في آيات القرآن وبأويلها بما يؤيد دعواهم وأنكروا عالمية اللغة العربية وكونها اللغة المشتركة — لغة الصلاة والعلوم الاسلامية في العالم الاسلامي — ودعوا إلى إيجاد لغة أخرى تكون لغة الأمم وذلك بالإضافة إلى إنكار إعجاز القرآن والمعجزات المحمدية .

ويجمع الباحثون المنصفون على أن البهائية بعث جديد للباطنية التي وضعت تعاليمها الأولى على أساس محو الاسلام وإزالة سلطانه ، وهم يعدون مؤسسي البهائية رسول الله الأعظم ولهم كتاب يسمى الاقدس يرتل بطريقة القرآن .

ولم تقوِّف الدعوة إلى البهائية منذ ذلك الوقت بل ظلت تتجدد سنوات بعد سنوات وفي كل مرة تجد من المسلمين من يكشف عن جوهرها . يقول فريد وجدي : إن دعوة البهائية إلى اتحاد الاديان قد سبق إليها الاسلام وأسسها على أقوى الاصول فقرر أن أصل الاديان واحد « فوحدة الدين هي الأساس الذي يقوم عليه الاسلام وإن طموح البهائين لأن يكون ديناً عاماً يقضى بالعجب لأنها ليست بدين سماوي وليس فيها من الاصول والمبادئ ما بلغت العقول إليها بعد أن ألذت في عرض نفهمها على الأمم ، وإن البشرية ليست في حاجة إلى دين جديد

بعد الإسلام الذي استكمل شرائط الدين العام وأين هي من الإسلام الذي تبنى أئمة  
قوية ، ومدنيات فاضلة في خلال عصور متعاقبة . ولا يزال على مثل حيويته  
الأولى حتى ليتوقع فلاسفة كثيرون ومنهم برناردشو أن مبادئ الإسلام توشك  
أن تعم العالم أجمع ، ويقوم الإسلام على أصلين ضمننت لهما التعميم والخلود .  
موافقته للفطرة واعتماده على العقل والعلم فأين البهائية من هذا الموقف العلمى الحق  
وهى تقوم على أصلين أحدهما عتيق غامض قال به أفراد من محبي السبع في الخيالات  
وهى تصوير ذات الله بصور المخلوقين . وثانيهما وهو صرف الالفاظ عن  
ظواهر مجال وهو فسيح للظنون والأوهام والخبط .

## التبشير

للاستعمار مؤسسات أساسية ضخمة تقوم بالعمل على تثبيت وجوده وتأكيده بقائه : أهمها التبشير والاستشراق ، وهذه المؤسسات تحمل دعوات مختلفة إلى التغريب والشعوبية ولكنها لا تظهرها بأسمائها وإنما تخفيها وراء أسماء كبيرة براقة أغلبها يحتاج تحت أسماء ثقافية أو حضارية .

واقوى القوى العاملة هي «المدرسة» الأجنبية في مجال التعليم والتربية وتكوين النشء والأجيال الجديدة والصحيفة في مجال الثقافة والقراءة . وقد أكدت تقارير المبشرين المختلفة على الدور الخطير الذي قامت به المدرسة والصحيفة وما تزال تقوم به في سبيل تحقيق غاية أساسية :

(أولا) تمزيق وحدة العرب والمسلمين والحيولة دون التناهما .

(ثانيا) تدمير القيم الأساسية العربية والإسلامية الفكرية والحيولة دون سيطرتها ومحاولة فرض مفاهيم أخرى «غربية» المصدر على الثقافة والتربية العربية والفكر الاسلامي رغبة في القضاء على :

(١) الرابطة بين الدين والمجتمع .

(٢) أخلاقية التعليم والتربية والمجتمع والسياسة .

(٣) إذاعة أسلوب من التحرر في مجال الفكر يصل إلى الإلحاد وأسلوب من التحرر في مجال الحياة يصل إلى الإباحة .

وللتبشير دور هام في تحقيق هذا الهدف الاساسي من أهداف الاستعمار وهو خراج المسلمين والعرب من القيم التي تدفعهم إلى الحرية ومقاومة النفوذ الأجنبي وعدم الانهيار في الأمية أو العالمية وإقامة مجتمعهم الخالص المستمد من قيمهم تاريخهم ولغتهم وأديانهم . فاذا أستطاع الاستعمار إذابة المسلمين والعرب في وثنة العالمية وصرهم في الثقافة العامة وإخراجهم من ثقافتهم وقيمهم لم يعد هناك مجال لتشككهم بصورة خاصة ، بصورة الذات والشخصية الخاصة ، عندئذ تصبح الحضارة الغربية وقد حقت أكبر انتصاراتها بأن أحالت المسلمين والعرب إلى عبيد في القطيع اسى يسود فيه الجنس الأبيض الغربي صانع الحضارة .

وقد اجتمعت خطط المبشرين ودراساتهم وأبحاث مؤتمراتهم على أن الهدف من التبشير هو : إنشاء عتلة عامة تحترق كل مقومات الفكر الاسلامى وأبعاد العناصر التى تمثل الاسلام عن مراكز التوجيه . فاذا لم تنجح دعوة التبشير فى ادخال المسلمين فى دين جديد فلا أقل من أنها تكون قد أخرجته من الاسلام .

وقد كانت خطة التبشير شاملة وموحدة وذات مراحل وحلفاء وقد أشرف عليها رجال ذوى خبرة وثقافة واتصال كامل بمخططات الاستعمار وهى تضم وزارات المستعمرات والخارجية فى الدول المستعمرة للعالم الإسلامى ، ومؤسسات التبشير الكبرى بفروعها المختلفة وإرسالياتها ومعاهدها فى العالم الإسلامى بالإضافة إلى جماعة المستشرقين المنبئين فى مختلف الجامعات الأوروبية والمتاحف والمكتبات العامة والمعاهد المعنية بالدراسات الشرقية والإلامية والغربية ، وقد تأكد مدى التناسق بين هذه الهيئات من التقارير التى نشرتها هذه الهيئات والتى تكشف عن أن وزارات المستعمرات تستخدم المبشرين فى العمل داخل البلاد العربية والإسلامية وتؤكد أهمية عملهم وخطورة دورهم فى أن يكونوا عنوانا لها وأداة لتحويل الافكار على النحو الذى تريده ، وتبدو هذه الأهمية فى إشراف الساسة الكبار على مؤتمرات المبشرين أمثال لورد بلفور الذى أعلن أهمية مؤسسات التبشير فى خدمة أهداف السياسة وذلك قوله : « والمبشرون هم فى نظر الاستعمار عيونهم التى تقوم باطلاع الدول الغربية بالنواحي التى يهمهم معرفتها من عقائد المسلمين وأدابهم والتقاليد التى يأترون بها ، ويتجلى ذلك حين نرى أن مؤتمر التبشير فى أدنبرج سنة ١٩١٠ يعنى بدراسة قرار حول اليه من المؤتمر الاستعمارى المنعقد فى برلين فى نفس العام : يقول هذا القرار : « إن ارتقاء المسلمين يتهدد نمو مستعمراتنا بخطر عظيم لذلك فإن المؤتمر الاستعمارى ينصح للحكومة بزيادة الاشراف والمراقبة على أدوار هذه الحركة ويطلب المؤتمر الاستعمارى من فى أيديهم زمام المستعمرات أن يقاوموا كل عمل من شأنه توسيع نطاق الاسلام وإزالة العراقيل عن طريق انتشار التبشير .

وتتمثل خطة التبشير التى رسمها ( شاتليه ، زوير ، ماسفيون وغيرهم ) فى

أن يكون عمل التبشير مبنياً على قواعد التربية العقلية و « التأثير على عقول المسلمين وقلوبهم » . فإن عجزت ارساليات التبشير عن زحزحة العقيدة الاسلامية في نفوس معتقها فانها تستطيع أن تحقق هدفها من هدم الفكرة الاسلامية ببت الافكار التي تتسرب مع اللغات الاوربية ، وذلك عن طريق نشر اللغات الانجليزية والالمانية والهولندية والفرنسية مما يمد إلى إدخال الافكار ، وذلك الغريبة الهادمة للفكر الاسلامي عن طريق هذه اللغات، ومن هنا نسقط الاوضاع والخصائص الاجتماعية الاسلامية وتحل بدلا منها الخصائص الغربية .

ويرى زويمر شيخ المبشرين « أن القضاء على الاسلام في مدارس المسلمين هو اكبر واسطة للتبشير وأن المسلم لا يكون مسيحياً مطلقاً ولكن الغاية هي إخراج المسلم من الإسلام فقط ليكون أما ملحداً أو مضطرباً في دينه ، وعندها لا يكون مسلماً وهذه أسعى الغايات الاستعمارية » .

ومن مناهج التبشير وأنظمتها تلك القاعدة التي تقول أن جميع الوسائل تستغل في سبيل التبشير حتى أعمال البر ، وأن التطبيب والتعليم من وسائل المبشرين ويقول مؤلف كتاب طرق العمل التبشيري في المسلمين : لنجعل هؤلاء القوم المسلمين يقتنعون في الدرجة الاولى بأننا نحبهم « فنكون قد تعلمنا أن نصل إلى قلوبهم ، وعلى المبشر أن يحترم في الظاهر جميع العادات الشرقية والاسلامية حتى يستطيع أن يتوصل الحديث لإرادته بين من يهتفي إليها كما تشمل هذه الاساليب دراسة اللهجات العامة واصطلاحاتها نظرياً وعملياً ، ومخاطبة عوام المسلمين على قدر عقولهم ، وأن تلقى الخطب بأصوات رخيمة وبفصاحة ، وأن يخاطب المبشر وهو جالس ليكون تأثيره أشد على السامعين وأن يكون خبير بالنفس الشرقية وأن يستعمل التشبيه والتثيل أكثر مما يستعمل القواعد المنطقية ، وأن يكسب ثقة الشباب بالحديث في موضوعات إجتماعية وخطية وتاريخية ومنها يستطرد إلى مباحث الدين ، وعلى المبشر أن يحاول كسب القلوب بتظاهره بالميل إلى مطامح المسلمين من الاستقلال السياسي والاجتماعية .

ثم يرى التخطيط إلى مرحلة أكثر أهمية حين يدعو إلى أن يكون تبشير

المسلمين بواسطة رسول من أنفسهم وأنه يتحتم على طيبب الارسالية ألا ينسى ولا لحظة واحدة أنه مبشر قبل كل شيء وطيبب بعد ذلك وعليه استغلال فرص المرض والسيطرة على المرضى وانتهاز فرصة الضعف والحاجة وعدم القدرة على التفهم والافتقار والدس للعقل الباطن بالايحاء .

وفي طريق العمل استطاع التبشير أن يكون في العالم الاسلامى دعاة من أنفسهم ، ركز الاستعمار على أسمائهم واكسبها شهرة ولعانا ودفع بها في خضم الثقافة والصحافة وآزرها حتى تصدرت وأصبحت قوة لها وزنها حيث تولت كبريات المناصب في الجامعات والاعمال الرسمية .

ويقوم عمل التبشير في مجال التعليم على فرص ثقافة الغرب وتاريخه وبطولاته ولقته واقصاء لغة العرب والمسلمين وتاريخهم وإثارة الشبهات حولها وانتصاها وفي مجال الثقافة يعمر إلى إثارة الغمزات والانتهاكات إلى الشريعة الاسلامية واللغة العربية والحديث النبوى ، على نحو يفتح باب الشكوك والانتهاكات ، هو يجرى في ذلك على مخطط مدروس وأسلوب دقيق فهو لا يلبث أن يرقضية جزئية ، حتى يتوقف ، ليبدأ في إثارة قضية جزئية أخرى ، بحيث لا يشع ، والقارىء أو الباحث إلى أن هناك ترابطا بين هذه الاشارات وبعضها ، اعتمادا على أنه على المدى الطويل يستطيع أن يكسب من وراء ذلك خصما للفكر الاسلامى وصديقا للتبشير والفكر الغربى يكون عوناً له على أبناء وطنه ودينه وتاريخه .

## الصهيونية

الصهيونية حركة سياسية يقوم بها اليهود من أجل السيطرة على مقدرات الأمم والشعوب وقد ظهرت في صور شتى وكتابات ودعوات متعددة منذ سقطت الأندلس في أيدي الفرنجة الذين أخرجوا منها العرب والمسلمين ، وكان اليهود قد عاشوا في حمى الأمة الإسلامية في أمن ورخاء فلما تشتتوا وتوزعوا في أنحاء أوروبا والعالم كله واجهوا الاضطهاد العنيف بما دفع بعض حاجاتهم إلى حمل لواء الدعوة إلى التجمع والسيطرة على الحكومات والدول وذلك بالسيطرة على الذهب والبنوك والثقافة والأعلام والعلوم الكمائية وقد بدأت الحركة بالجماعة السرية (الماسونية) ثم استعملت عام ١٨٩٧ بالحركة التي حمل لواءها تبودور هرتزل في الدعوة إلى (الدولة اليهودية) والتي اتخذت من بعض نصوص التوراة المحرفة سنداً إلى السيطرة على فلسطين. ومن ثم كان السعى إلى تحقيق هذا الهدف بكل وسائل الخداع والاكراه والظلم والافساد وذلك بعد أن قطع اليهود شوطاً طويلاً بالسيطرة على الحكومات الأوروبية بعد أن نجحت الماسونية في أشغال الثورات المختلفة وفي مقدمتها الثورة الفرنسية التي كان هدفها الأساسي إعطاء حق المساواة لمختلف العناصر ، وإتاحة الفرصة لليهود للسيطرة على السياسة والحكومات بعد أن كانوا معزولين ذلك عن ذلك تماماً .

وقد وجدت الصهيونية في محاولتها للسيطرة على فلسطين إعتراضاً قوياً ورفضاً قاطعاً من السلطان عبد الحميد خلال مدة حكمه للدولة العثمانية فقدر رفض كل العروض والمغريات والتهديدات في هذا الصدد ووقف موقف مشرفاً كان من نتيجة أنه اشتد التآمر عليه حيث أسقطته المنظمات الماسونية التي سيطرت على حزب تركيا الفتاة (الاتحاد والترقي) وكانت حركة إسقاطه ١٩٠٨ ، ١٩٠٩ جزآن من نفس مخطط الثورة الفرنسية فقد فتح لها الطريق على يد الاتحاديين إلى فلسطين وإلى السيطرة على مختلف الحكومات والزعماء بما هيء لوعده بلفور ١٩١٨ الذي أعطى الصهيونية جواز الإقامة والاحتلال لفلسطين وقد تمت هذه الخطوات كلها عن طريق دسائس اليهود ، ومؤامرات الصهيونية ، ومخططات الماسونية في جميع أجزاء العالم



بما حقق قيام إسرائيل عام ١٩٤٨ .

وقد خفيت هذه الحقائق على المسلمين والعرب زمناً طويلاً وخدع كثير منهم بهذه المنظمات ، ولكن الحقائق أخذت تظهر في السنوات الأخيرة وبدأ المسلمون والعرب يحسون بالخطر الجارف الذي يهددهم وخاصة بعد سقوط القدس في أيديهم عام ١٩٦٧ وقد عرفوا الدور الخطير الذي قام به بعض الكتاب والصحفيين في التعاطف مع مخططات الصهيونية التي تمثل الآن طليعة دور جديد للاستعمار الغربي لإقامة الإمبراطورية الصهيونية .

## الطائفية

اصطلاح جديد. ظهر مع الاستعمار الغربي والنفوذ الأجنبي ، حين ركز الاستعمار على الأقليات الموجودة في العالم الإسلامي واحتضنها واتخذ منها سلاحاً للحيلولة دون تحرر الاقطار أو وحدة الشعوب . ولذلك فقد عمد الاستعمار إلى تنمية الطائفية وتعميق خلافاتها مع الأكرية ( راجع باب أقليات ) وكانت الطائفية من أخطر العوامل التي استعان بها النفوذ الأجنبي لنحطيم الامبراطورية العثمانية تمهيداً لبسط نفوذه على العالم الإسلامي وكان دور الطوائف الأرمنية واليهودية كالدونة في تركيا أبعد الأثر في تأريث المحطات الأجنبية في السيطرة .

ولم تكن الطائفية يوماً قضية في وجود الدولة الإسلامية ، بل كانت مختلف الطوائف تجد حريتها وانطلاقها في المجتمع ، وقد وضعت الشريعة الإسلامية لها حمايتها وأنظمتها وكرمت الأديان وحت الكنائس والمعابد ، وقد وصل أبناء الطوائف المختلفة إلى أرق المناصب في عصر الازدهار وكان لهم دورهم في الحضارة الإسلامية والثقافة العربية ولم يقع بينهم وبين غيرهم أى خلاف أو صراع إلا تحت نفوذ الاستعمار الذي أعلن أنه إنما جاء ليحمي هذه الطوائف من المسلمين وقد ورد صراحة في تصريح ٢٨ فبراير ١٩٢٢ نص خاص بحماية الأقليات وكان لفرنسا وبريطانيا وروسيا نفوذ معروف في لبنان كل منهما تهمى أقلية من الأقليات وكان لهذه السياسة أثرها في اندلاع ثورة ١٨٦٠ التي قصدت بها الدول الأوروبية الواقعة بين المارون والدروز توطئة لوضعها في نظام خاص يمكن للنفوذ الأجنبي من التدخل في لبنان وبناء مؤسساته الأرسالية والتبشيرية والامتداد منها إلى العالم الإسلامي كله وقد تنبه لهذا كثير من المفكرين والزعماء فكشفوا عن التقارب بين المسلمين والنصارى والشيعية والسنة وكيف أن الدم العربي يجمع بين هذه الطوائف جميعاً ، كما أن الإسلام قد وضع قواعد أمينة للعلاقة بين الجميع ولا شك أن الدم العربي يجمع بين مسلمي العرب ونصاريتهم في الشام ومصر والعراق ، وأن كل أنواع الخلاف إنما كانت نتيجة مواقف خاصة ودسائس أجنبية وقد أرث المستعمر هذه الخلافات القديمة واستغلها .

## العلمانية

العلمانية في كلمة هي فصل الدين عن المجتمع والدولة وقصره على العلاقة بين الانسان والله وهو ما يعرف باللاهوت ، وبعض الاديان هي كذلك ، ولكن الاسلام يختلف ، فهو دين عبادة ودين شريعة وأخلاق في نفس الوقت . وفكرة العلمانية ظهرت في أوروبا نتيجة عدة عوامل منها موقف رجال الدين من النهضة والكشوف العلمية ، ومنها هدف اليهود في القضاء على سلطان المسيحية في المجتمع ، وذلك يتاح لهم السيطرة السياسية والنفوذ العسكري . ومن هنا يبدو ذلك البغض الشديد للدين في فلسفات عديد من الفلاسفة . أمثال نيتشه وماركس وفرويد .

وقد تأثر العالم الاسلامي والفكر الاسلامي بظلال هذه النظرية ، وهذه الدعوة وكان للبعثيات التبشيرية والارسلالات وسيطرة النفوذ الاستعماري على مناهج التربية والتعليم أثره في إعلاء هذا الاتجاه وتعميقه ، بعد عزل الأسلوب العلمي الديني الذي يتمثل في المدارس والجامعات الإسلامية القديمة .

ومن حق الغربيين أن يقفوا موقفاً ما إزاء دينهم وعقائدهم التي وقفت ضد نهضتهم وضد كشف العلم وفرضت محاكم التفتيش وغيرها من أساليب السيطرة أما بالنسبة للمسلمين والعرب فإن الموقف يختلف اختلافاً كبيراً فإن الاسلام كان مصدر العلم والحرية والمساواة وداعية الاخاء .

فضلا عن ذلك ، فإن الصلة المحركة التي تربط الدين بالمجتمع هي إحدى خصائص التاريخ الاسلامي فليس في التاريخ الاسلامي دولة بثورقراطية ( دينية ) ولم يقع يوماً أن رجال الدين في الاسلام — أمسكوا في أيديهم أزمة السلطة السياسية العليا ، ذلك بسبب بسط هو أنه لا وجود في الاسلام الكهانة ولا لطبقة متميزة تدعى رجال الدين ولهذا يستحيل أن يوجد في الإسلام مؤسسة تشبه الكنيسة المسيحية التي تختص بأسرار الدين وطقوسه .

## العامية

الدعوة العامة ، هي دعوة تغريبية خالصة ، تهدف إلى الوحدة الفكرية والوحدة القومية ، وقطع الصلات بين أجزاء العالم الإسلامي والأمة العربية ، وترى أساسا إلى مقاومة لغة القرآن ، والقضاء عليها وهي في مختلف صورها ، التي تقول تبليين اللغة العربية المستعمية ، أو خلق لغة وسطى بين العامة والفصحى ، إنما تهدف إلى فهم عرى الصلات القائمة بين المسلمين والعرب من ناحية وبين المسلمين والعرب وبين القرآن ومستواه البلاغى من ناحية أخرى .

ولاشك أن اللغة العربية هي رابطة الوجود العربي وصمامه الاصيل ، فإذا انحلت تبدد هذا الكيان ، وكل المحاولات التي تهدف إلى إعلاء العامة ووصفها بالقدرة على الاداء إنما هي محاولات استعمارية ضخمة ، تهاجم الإسلام والوجود العربي أيضا .

وقد نفذت مخططات استعمارية وتغريبية خطيرة بشأن القضاء على اللغة العربية وأعلاء العاميات في العالم العربي ، وحملت هذه المخططات عناوين براقة خدعت البسطاء مثل القول : بأن اللغة ملك للأمة التي لها الحق في أن تيسرها وذلك قول قد يصدق على كل اللغات ولكنه يخفق إخفاقا ذريعا بالنسبة للعربية . ذلك أن العربية إنما هي لغة أمة وهي في نفس الوقت لغة فكر ، فهي لغة الأمة العربية التي تتمثل في حوالي مائة مليون ولا شك أن في القضاء عليها قضاء على وحدة هذه الأمة التي تتمثل الآن أكثر من أربعة عشر دولة وحكومة لا يجمعها جامع إلى الوحدة العربية أقوى من اللغة الفصحى ولا سبيل إلى تفاهم المغربي مع المصري مع العراقي إلا عن طريق الفصحى . وهي في نفس الوقت لغة فكر جامع يجمع سبعة مائة مليون من المسلمين تقوم ثقافتهم وفكرهم وتراثهم ودينهم وعبادتهم على أساس اللغة العربية ، التي هي المصدر الاساسي للقرآن الكريم . قانون هذه الأمة الإسلامية ودستورها ونظامها الكامل في الاجماع والسياسة والاخلاق والتربية والاقتصاد .

## العنصرية

التفرقة العنصرية والدعوة إلى تفاضل الاجناس هي إحدى مبتدعات الفكر الغربى مستمدا من مفهوم رومانى قديم أطلق عليه « روما سادة ومأجورها عبيد » وقد تجدد هذا المفهوم فى ظل استشراف النقود الاجنبى والاستعمار الغربى كمبرر له بحجة القول أن هناك شعوبا مختلفة تحكم وشعوب تتأذى تحكم ، وجرى القول بالتفرقة بين العنصر السامى تخلفا والعنصر الارى تقدما ، وحاول الكتاب الفرنسى جوبينو أن يقول ان بعض العناصر خلق للسيادة وبعضها خلق للخضوع ، واستغلت دوائر الاستعمار هذه المعانى فى مجال البلاد المحتلة ، وجرى محاولة إقناع المسلمين والعرب أن يستسلموا تحت لواء هذه النظرية للغزو والاحتلال ، ولكن العلم الصحيح نفسه أثبت كذب هذه الآراء وخداعها وضلالتها وكشف عن أنها استغلت استغلالا غير برى . وتكشف فيما بعد أنها لم تكن ذات أصول علمية أو تزيدها براهين حاسمة . وقد قاوم الفكر العربى الإسلامى هذه النظرية بقوة نظريته الاصيلية القائلة بأنه لا تفرقة ولا تفاضل بين أسود ولا بين عربى وأعجمى إلا بالعمل ، وتكشف أن عقليّة الرجل الأبيض مسممه بالتعصب العنصرى ، وأن الحضارة الغربية حين ارتبطت بمقومات الوثنية وعقليّة الإغريق اعلت من شأن العنصرية وكانت الكنيسة فى أوروبا — على حد يعتبر الأستاذ سامى داود — هى التى تحمى الحق المقدس للملوك والإشراف فأقرت بذلك التفرقة العنصرية واعترفت بشعوب السبى والاستعباد وإغلاق السجون والمطابق على العبيد والمستضعفين .

وقد ردد هذه الآراء زيان وجوبينو وغيرهم ثم أثبت العلماء أمّرين ان الخلاف بين الآرية والسامية هو خلاف فى اللغة وليس فى العنصر أو الدم ، وأن اختلاف الملامح والعادات لآلاقة له بالفطرة والنفس ، وأنه لا اختلاف فى أصل الطبيعة بين العقل البشرى فى الارى أو السامى أو الأبيض والأسود .

وقد سبقه كثير من العلماء وعلى رأسهم هردر وجينى ونوفاليس آراء القائلين بالتفرقة بين الاجناس البيضاء والصفراء والسوداء .

## الفينيقية

دعوة من الدعوات التي أثارها النفوذ الاستعماري وحركات الغزو الثقافي والتغريب ، لإثارة التاريخ القديم في سبيل القضاء على الواقع التاريخي الحى ، ولإثارة دعوة الإقليمية والتفرقة العنصرية على أساس من أصول الأمم الشرقية القديمة قيل أن يصهرها الإسلام في بوتقة الإسلام والعروبة . وقد حملت الدعوة الفينيقية إلى لبنان، الدعامات الاستعمارية لعزل اللبنانيين عن العروبة ، وللقول بأن اللبنانيين هم أحفاد الفينقيين القدماء الذين كانوا سكان هذا الساحل قبل أن يأتي العرب وأنهم تاريخيا ليسوا عربا وإنما هم خليط من أبناء الفينقيين وأبناء الإمارات الصليبية وأن مصلحتهم الاقتصادية والحضارة تحتم عليهم أن ينفشوا كيانا خاصا غير عربى وأن يمارسوا دورهم الخاص عايدين ، الفينيقية واحدة من تلك الدعوات الفرعونية والآشورية والبربرية التي أذاعها النفوذ الاستعماري في العالم العربى وغذاها وجند لها نفرا من المفكرين والمثقفين الذين تخرجوا أساسا من جامعات الارساليات ومعاهد التبشير . وقد حمل لوائها الحزب القومى السورى الاجماعى حين دعا إلى ( سوريا الطبيعية ) والامة السورية « وسوريا للسوريين والسوريون » أمة تامة ذات حدود طوعية وقد ردد الكتاب الفرنسيون هذه المعانى محاولين إثارة الشبهات بأن اللبنانيين ليسوا عربا وأنهم والسوريون فينيقيون ومن لم يكن منهم فينيقيا فهو من أحفاد الصليبيين الذين قدموا إلى سوريا ولبنان من مختلف أقطار أوروبا ولاسيما فرنسا (١) .

وقد أشار أحد الباحثين العرب مصصحا لهذه التيارات فقال : إن الفينيقية إلى الاستعمار الفرنسى في لبنان تكون فيها حركات النشر عن طريق المدارس والمعاهد والصحف أوسع نفوذا ، مما أنشأ في لبنان اليوم تياراً يدعو إلى عزله لبنان من العالم العربى وكان أغلب دعاة هذه الدعوة متعاونين مع الاستعمار العربى ، وهى التى حملت لواء الكتابة بالعامية اللبنانية والدعوة إلا كتابة العربية بالحروف اللاتينية وتغليب اللهجات .

## الفرعونية

الفرعونية إحدى دعوات الإقليميّة وتمزيق الوجود العربى قومية والإسلامى فكراً ، ولقد جرت الدعوة إلى الفرعونية وبلغت امداً بعيداً وخلفت مدرسة عاشت فترة ولكنها فشلت فى أبسط بسائط الدعوات ، فشلت فى أن تجد أرضية تنبعث منها، حيث لم تجد تراثاً، فالسكوريا أو قيماندينة أو أخلاقية أو اجتماعية أو عملاً أدبياً مكتوباً ، أما حضارتها فقد تمحجرت فى الأهرامات والتماثيل والمعابد وقد عبر الزمن بالمصريين أربعة عشر قرناً فى مجال التوجيه على النحو الذى أصبح معه ينظر إلى الوثنية نظرة كريمة ، ولا يرى فى هذه الأحجار المنحوتة إلا تاريخاً يفخر به من ناحية القوة والصبر والصمود وسبق العالم كله والأمم ذات النفوذ السياسى فى العصر الحديث بقرون إلى مجال المدنية .

لقد كان هدف دعاة الفرعونية إدخال مفاهيم الوثنية الفرعونية المرتبطة بالوثنية اليونانية وغيرها وتجديد عبادة البشر والإبطال بعد أن صرف عنها المسلمون القرآن الذى أهلى من شأن الله وحده ، وكرم البطولة فى معانيها وقيمها وليس فى أفرادها ودعائها .

وقد كشف كثير من الباحثين وخاصة مؤلف (قناع الفرعونية) مخاطر الدعوة الفرعونية وقال أن أول ما تبادر إلى الذهن أن فرعون هنا ليس إلا رمزا لنوع من الحكومات الاستبدادية البائدة، فالفرعونية أذن هى نوع من النظم التى تنهض على الحكم الاستبدادى الجائر ، وتساءل : هل يستطيع المصرى المتشوق للحياة الصحيحة أن يجد فى شعار الفرعونية من قوة الدفع إلى الحرية والمساواة ما يجده المسلم فى كلمة الاسلام وخصص إلى القول بأن الفرعونية لم تكن نظاماً اجتماعياً ولا قوة دافعة إلى الحرية والمساواة ، وأن المصرى المتشوق للحياة الصحيحة لا يجد فى شعار الفرعونية من قوة الدفع إلى الحرية والمساواة ما يجده المسلم فى كلمة الإسلام فإذا لم تكن الفرعونية نظاماً اجتماعياً ولا قوة دفع إلى

الحرية والمساواة فكيف تكون في النهاية ، انه مع إنفتاح كل قيد جديد تبدو  
مرئيات ذلك الكابوس الفرعوني الخائق والتي تتحرك معها ذكريات عصور  
وأحقاب أجدها الظلم الاجتماعي والتخلف العقلي .

كما كشف المؤلف عن مفهوم التوحيد المزعوم عند الفراعنة (١) ...

وقد تحررت الثقافة العربية في سرعة عجيبة من أخطاء الدعوة الفرعونية  
وسقطت كلمات طه حسين الذي حمل لواء هذه الدعوة حين قال : أن الفرعونية  
متأصلة في نفوس المصريين ، ولا يطلب من أن تتخلى عن فرعونيها ثم كـ...  
الاحداث والوقائع حين قال : مصر لن تدخل وحده عربية ، .

---

(١) قناع الفرعونية الأستاذ أحمد صبرى .



## القومية (الضيقة)

« القومية » تيار غربي ظهر في القرن الماضي في أوروبا في ظل تحديات مختلفة واجهت الغرب من خلال مراحل النهضة والتطور والحضار والاستعمار، خروجاً من قيود الكنيسة وسُلطان نفوذ أمراء الإقطاع ، وغلبة مبدأ الدولة وظهور مفهوم الأمة وفي محاولات للترابط بين الأجزاء في محاولتين قوميتين هما القومية الإيطالية والقومية الجرمانية .

وقد قامت القومية الغربية على مفاهيم حددتها تلك الظروف والتحديات ، وفي العالم العربي ، عندما سقطت الوحدة العثمانية العربية ، برزت الدعوة إلى « العربوية » ، وحاولت أن تستكشف مفاهيمها المستمدة من أوضاعها وتحدياتها الخاصة ، غير أن الاستعمار حاول أن يستفيد من الدعوة وأن يوجهها لخدمة أهدافه ، وأن يحتويها ، أو يحرف مفاهيمها ويفرض عليها مفاهيمه الغربية رغبة في إخراجها عن المضمون الأصلي المستمد من جوهر قيم الأمة العربية ومفاهيمها وتراثها . وكانت المحاولة الأولى التي حاولها النفوذ الاستعماري هو أن تكون القومية إقليمية ضيقة ، وأن تنحصر في مفهوم الوطنية لامتداده ، وفي هذه المرحلة طرح التغريب دعوات القومية المصرية والقومية السورية ، وحاول أن يجعل لهذه الإقليمية فلسفة فأثار الفرعونية والآشورية والبابلية والفينيقية والبربرية ، وحاول عن طريق آخر أن يحطم كل وحدة أكبر ، فأثار الخلاف بين المسلمين والمسيحيين ، وبين السنة والشيعة ، وبين الدروز والموارنة ، وبين العرب والبربر وبين العرب والأكراد وهكذا .

فلما فشلت كل هذه المحاولة ، وبرز مفهوم الوحدة العربية جامعاً قوياً في مواجهة النموذج الأجنبي عمدت حركة التغريب إلى تفريغ هذا المفهوم من قيمة ومقوماته فظهرت الدعوة إلى (قومية منفصلة عن التراث والثقافة) بحجة أن هذا التراث وهذه الثقافة إسلامية أصلاً ، وبرزت الدعوة إلى قومية علمانية ، غير أن هذه الدعوى وإن استمرت فإنها لم تحقق أى نجاح ، ذلك لأن الأمة العربية لا تستطيع أن تنفصل في حركتها الفكرية والاجتماعية عن قيمها الأساسية .

وإن الإسلام الذي هو منطلق مزاجها النفس والعقل ليس دينا بمفهوم الدين الذي عارضته القوميات الأوروبية ولكنه دين وثقافة وحضارة ومنهج حياة وإن أكبر عوامل القومية وهي اللغة والتاريخ لا تستطيع في الثقافة العربية أن ينفصل عن مفهوم الإسلام الأوسع ، كصدر أساسي للفكر ومنهج للجمع .

وقد اعترف كتاب الغرب بهذه الحقيقة ولم يجدوا مفرأ من تسجيلها ، يقولون ولنفرد كأنقول سميت أنه لم تقم حركة وطنية في العالم العربي إلا وكانت الروح الإسلامية أساسها ، وإن تاريخ الشرق لا أتى الحديث يدل على أن القومية المجردة ليست القاعدة الملائمة للنهوض والبناء ، وما لم يكن المثل الأعلى إسلاميا على وجه من الوجوه لن تثمر الوحدة .

وقال هاملتون جب : أن العرب متمسكون بلغتهم وأديبهم ومعنون بمجد الإسلام ، كما أكد كثيرون ، أن العرب لا يفكرون بإبدال صرفهم بالحروف اللاتينية ، أو أن يتفخروا عن لغة القرآن التي تربطهم بالعالم الإسلامي كافة ، وأن الروح الإسلامية ستبقى تسود بلادهم وتتقدم أبداً بلا كل ولن يطرأ عليها أي ضعف أو وهن .

وقد تأكد أن الصلة بين الفكر الإسلامي وحركة المقاومة الوطنية قوية ثابتة ، وأن كل ثورات المقاومة للاستعمار نشأت من أحضان المساجد ، وأن ثورة ١٩١٩ في مصر بدأت في ساحة الأزهر الذي كان مصدرها ووقودها ، وأن الذين حملوا الواء التحرر الاجتماعي نفسه كانوا من المفكرين الإسلاميين .

وقد كشفت ثورة الجزائر عن مدى أهمية هذا اللون من النضال وعمقه في سبيل تحرير أرض المسلمين ومقاومة أي غزو أجنبي .

ويقرر كثير من المراقبين المنصفين أن أزمة القومية العربية إنما تتمثل في ذلك الجفاء المصطنع بينها وبين الفكر الإسلامي ، وقد حمل بعض الدعاة لواء قومية علمانية على الطراز الأوروبي وفق مفهوم الدعوة الطورانية وما حمل لواءة الاتحاديون في تركيا ، وهو ما لا يجد في الأمة العربية ثقيل ولا تقديرا .

ويقول الأستاذ جبريلي في كتابه الیقظة العربية في هذا المعنى : كان الإسلام ثورة عظيمة في تاريخ العرب فنه استمد العرب قوة وهو الذي حفظ لهم لغتهم

والعرب لا يستطيعون فهم تراثهم القديم الذى هو جزء من حاضرهم إلا إذا فهموا الاسلام ، والمفكرون القوميون يرون أن الاسلام يمد العرب بمخاض خلافة .

ولقد حاول الكثيرون التصدى لمدى العلاقة بين الدين والقومية ، وبين الاسلام والعروبة ، ولا شك أن مفهوم العروبة لا القومية فى الثقافة العربية والفكر الاسلامى هو مفهوم حضارى جافع ، يقوم على أساس تعاقد وروحى واجتماعى عميق ، دون أن يحمل معه أى معنى من معانى الاستعلاء بالجنس ، أو العداء للأجناس الأخرى ، بل على العكس من ذلك يؤمن بالانفتاح والالتقاء مع القوميات الأخرى ، التى يجمعها مذهب واحد وفكر وأصول ثابتة ، لا سبيل إلى تجاهلها أو نكرانها . ومن هنا فقد عجزت كل المحاولات فى أن تجعل من العروبة أن تكون مناقضة للإسلام أو مصادمة للأمم الاسلامية غير العربية .

ومع أن الاسلام ليس ديناً خصب ، حتى يقول دعاة النظرية الغربية بأنه لا يشترك فى مقومات العروبة ، فإن النظرة السريعة إلى القوميات الأوروبية تكشف عن أنها لم تنفصل عن دينها . فالبروتستانتية جزء لا يتجزأ من القوميات الهولندية والانكليزية . بينما الارثوذكسية جزء أصلى من القوميات اليونانية والبلغارية والاسلام كان ولا يزال جزءاً أساسياً من القوميات التركية والىرانية والأفغانية والعربية والباكستانية والاندونيسية .

و مجدل العروبة أن كل دعاة ( علمانية القومية ) من غير العرب الأصلاء فكراً ومن الذين تعلموا فى معاهد الارساليات والتبشير ، أما الذين عرفوا أصالة الثقافة العربية فقد ربطوا بين العروبة والثقافة العربية المستمدة من الفكر الاسلامى وهناك عشرات منهم لهم كتاباتهم وقصائدهم التى تؤمن بأرضية الاسلام الحضارى والثقافى للوحدة العربية ، بل أن البعض قد وصل إلى حد القول بأنه ليس من العروبة التسكر للإسلام ، أو التفتيش عن بعث عربى بغير دين العرب .

ويقظة الفكر العربى تؤمن بأنها لا تستورد المفاهيم ولكنها تصنعها من واقع أمتنا ووجودنا بل أنها ليؤمن بأكثر من ذلك ، وهو النظر بعين المراجعة والحذر إلى كل ما يصلنا من تفسيرات خشية أن يكون مصدرها محاولة التغريب والغزو الكرى لصهرنا فى ثقافة الاستعمار ومفاهيمه .

## المادية

يقوم المذهب المادى على أساس المحسوس وحده ، منكرآ ما سواه من عالم الغيب ( الميتافيزيقا ) إنكارا تامآ ، وتقوم النظرية المادية على إعتبار الكون موجود بنفسه ، وقديم وغير منته ، ( وهو ما يخالف حقائق الأدب - المنزلة ) والمذهب المادى ليس علما خالصا ولكنه فلسفة تقوم على الافتراض ، ذلك لأنها تتصل بالجانب غير المحسوس ، وهو جانب يتحاهاه العلم لأن أنانيته لا تستطيع أن تضعه في مجال التجربة ، ومن هنا فان التعارض بين المذهب المادى والواقع ليس خلافا بين الدين والعلم ولكنه خلافا بين الدين والفلسفة .

وحين يفترض الفلسفة المادية لإنكار وجود الله والانبيااء والبعث والجنة والنار وغيرها إنما تختلف مع العلم الذى قد حدد غملة في دائرة المحسوسات ولم يدخل في الخلاف مع الأدبان ، ومن هنا فان النظرية المادية لا تجد سنادها من علم أو تجربة ، أو برهان أو قياس ، ولكنها تجدد نظرية قديمة عرقها الاغريق القدماء .

أما العلماء فانهم بعد أن تحطمت الذرة قد أصبحوا يقررون أن هناك وراء هذا الكون المادى المحسوس عالم آخر ، ويقررون أن هناك حقيقة كامنة وراء المظاهر ، وأن الكون ليس حقيقة في ذاته وليس هو المظهر الوحيد للتمبير عن الحقيقة وأن هذه المفاهيم كلها قد وصلت إلى القول بأن ليس من شك في أن قوة مدبرة مفكرة هي التي أبدعت الكون . وقال أرنست رارز فورد : أن نظرية المادة قد هدمت وأن الذى هدمها هو ما ثبت من أن الذرة تتكون من إلكترونات ( كهارب ) تدور حول ( بروتونات ) على نظام يحاكي النظام الشمسى ، وأن المادة لم تعد ثابتة لقد أصبحت تتحول إلى طاقة والطاقة تتحول إلى مادة .

ويقول الدكتور محمد خليل من الخالق : أن الأساس الذى قامت عليه المذاهب العلمية في القرن ١٩ قد انهار وأصبح العلماء الآن يتكلمون عن الكون وعن الإنسان وعن الحياة ، والان يكشف العلم عن ميادين جديدة

تبحث عن الأرواح واصل المادة وغاية الوجود ، ان مذهب دارون فرض وليس حقيقة وهو قابل للنقض .

وعندنا أن الخطأ هو في التوسع في إطلاق لفظ العلم على آراء الفلاسفة وفروض علماء الطبيعة ومن الحق أن يقال أن نظرية دارون قد استغلت استغلالاً بشعاً لتدمير قيم الأديان ومفاهيم الروحية ، وإثارة الشبهات حول حقيقة وجود الله والوحي والنبوة وغيرها ، وكان الهدف من استغلال النظرية أشاع روح الاتحاد والاباحة ، والتأثير في مفاهيم الأخلاق والاجتماع .

وقد استغل هؤلاء الفلاسفة نظرية التطور وآخر جوها الى مجال هذه العلوم في محاولة القول بأنه لا يوجد شيء ثابت وان كل شيء يستحيل ويتطور ويتحول من حال الى حال ، وأن من ذلك الدين والأخلاق . وهي نظرية خطيرة تغري إلى دعوة الصهيونية المتدفعة الى تدمير القيم والحضارات في طريقها إلى السيطرة العالمية .

وتقف الفكر الاسلامي من المادية موقفاً واضحاً فهو يقرر أن الانسان مركب من بدن ونفس وجسم وروح ، وأن البدن من عالم المادة لأنه يمتاز بالخصائص المعروفة للأجسام أما النفس أو الروح فانها من عالم آخر يختلف في خصائصه عن المادة والاسلام في جوهره ثنائي يقر بوجود الله ووجود العالم وبوجود الدنيا والآخرة ، والروح والجسد ، والنفس والبدن ، وهو لذلك وهو يدعو الى الاقبال على الدنيا وتنمية الحضارات وبناء الأعمال المادية ولكنه يجعل هدفها انسانياً عالياً ولا يجعل مفهومها المادى هو كل غايتها .

وقد ذهب غلاة المادية الى القول بأن المادة هي كل شيء ، وهي أصل العقل والشعور ، آمنوا بأن المادة لا تنقسم ، وهو ما سموه الجوهر الفرد ، غير أن مفاهيم العلم تطورت وقلبت مفاهيمهم وحطمت نظريتهم حيث أثبت العلماء أن الذرة قابلة للتجزئة ، وأن المادة تصبح طاقة ، والطاقة تصبح مادة ، وأصبحت المادة والطاقة مظهرين لشيء واحد .

وكذلك واجهت نظرية المادية التاريخية والمادية الجدلية نقداً يشكك في فرضيتها ويديل من غلواتها ، .

وقد كان التحدى أمام فلاسفة المادية جميعاً هو نظرتهم الى الدين والكنيسة وما يتصل بها من واقع وتاريخ ، ومن هنا جاء هجومهم على الدين ككل أما بالنسبة للإسلام فإن الموقف يختلف تماماً ، ويكفى أن الإسلام هو منشأ المذهب العلمى التجريبي الحديث .

## الماسونية

الماسونية جمعية سرية أقامها اليهود للقضاء على كل القوى المناهضة لهم وفي مقدمتها الكنيسة الكاثوليكية وقد أخفوا هدفها الاساسى الذى يقوم على أساس إعادة بناء هيكل سليمان ومن هنا سميت الماسونية باسم ( البنائين الاحرار ) وقد خفيت هذه الغاية على المخدوعين الذين دخلوا اليها ظانين أنها دعوة إلى الحرية وأنصاف المظلومين ، وقد شاعت في دعواها العالم الاسلامى مع مخططات الاستعمار الأخرى كالنبشير وغيره ، ولم يكتشف العرب أمرها إلا بعد سقوط السلطان عبد الحميد الذى كان يعرف أخطارها منذ اتصلت بحافلها القائمة في سالونيك مع جماعة تركيا الفتاة وعملت إلى السيطرة عليها واحتوائها وتوجيهها إلى غاياتها الأساسية في إسقاط عبد الحميد الذى وقف عثرة ضد مطامع اليهود ، فلسطين ، وكانت جمعية تركيا الفتاة الحاكمة خلال ( ١٩٠٩ - ١٩١٨ ) هي التي حققت هدف الصهيونية على أوسع نطاق كما حققت هدف الاستعمار بإيجاد مذابح دموية للعرب بواسطة الاتحاديين حتى لا تلتئم وحدة العنصرين المسلمين إلى وقت طويل .

وقد كشفت الدراسات التي قام بها الكثيرون مدى لإختار الماسونية التي استطاعت أن تقضى على كثير من الحكومات والملوك والحكام الذين حافظوا على مقومات بلادهم وحالوا دون نفوذ اليهود فيها ، وكان في مقدمة الذين كشفوا هذه المخططات السيد رشيد رضا في مصر والاب لويس شيخو في الشام ، ثم كان لسقوط وثائق مؤتمر بازل الذي عقده مرتزل وحضره ثلاثمائة من الخاخامات مؤكداً للرابطة الوثيقة بين الماسونيين والصهيونية كأداة سرية لها ، فقد جمعت هذه البروتوكولات كل ما عرف عن الماسونية من مخططات وأعمال ولذلك فقد عمدت الصهيونية إلى تكذيب هذه البروتوكولات واتهامها بأنها من أعمال خصومها . بل لقد قام بعض العرب بمسايرتهم في ذلك ، ولكن النظرة الصحيحة تكشف عن أن الماسونية جهاز من أجهزة الصهيونية الطامعة في السيطرة على العالم وإقامة امبراطورية تكون القدس عاصمتها وإعادة بناء هيكل سليمان والسيطرة على العالم كله ووراثته الاستعمار الغربي .

## الهدامة : المذاهب الهدامة

تعددت المذاهب الهدامة والدعوات الهدامة ، وقد حاول الاستعمار إغراء العرب والمسلمين بها وكان للصهيونية دور كبير في حماية هذه المؤسسات ورعايتها ومن أبرز هذه المذاهب الدعوات : إلى الألحاد والإباحة والكشف وقصص الجنس وأنكار الأديان والوحى والجزاء واليوم الآخر . وقد كانت البهائية من أبرز هذه الدعوات التى ثبت أخيراً أنها تتاج صهيونى تحمل وسائل العمل له ، وكذلك الجمعيات السرية الماسونية التى انتشرت فى العالم الإسلامى خلال الفترة السابقة للحرب العالمية الثانية والى كان لها دورها فى إسقاط السلطان عبد الحميد على أثر موقفه المشرف فى معارضة أهداف الصهيونية فى الإقامة فى فلسطين ، ومن هذه الدعوات الهدامة : مذهب الروحية الحديثة التى تحاول خداع المؤمنين بالله بعد أن استوعبت الدعوات الماهية غير المؤمنين وذلك حتى تتم السيطرة على المسلمين والعرب . وقد كشف الباحثون عن أخطار دعوة الروحية الحديثة واداءها من خلفيات صهيونية ومادية .

ومن الدعوات الهدامة تلك الدعوات التى تحمل لواء العروبة المنفصلة عن جذور الفكر الإسلامى ، وكذلك الدعوات التى تحمل لواء الأقلية الضيقة « أو العنصرية ، أو محاولة جعل الوحدة العربية دعوة عدوانية منعزلة عن العالم الإسلامى » منفصلة عن جيرانها من الترك والفرس والهنود .

وقد جاءت هذه التطورات من تقليد خاطئ انظرية القومية الغربية التى قامت على أساس القضاء على نفوذ الكنيسة وإعلاء العنصر والجنس والدم مع العدوان والخصومة للأجناس الأخرى على النحو الذى عرفته النزعات النازية والصهيونية .

ولقد كان الفكر الإسلامى قادراً على نبذ هذه الدعوات الهدامة ودمغها بالخطأ ، ومعارضة الذاتية العربية الإسلامية والمزاج النفسى والاحساس العربى لهذه الدعوات التى تتعارض مع جذور هذه الأمة الى أقامت فكرها على أساس التحدى العدل والحربة ذات الصواب للنائة للمجتمع والفرد .



## الوثنية:

يطلق كلمة الوثنية على مختلف العقائد التي لا تفرد الله سبحانه بالتوحيد من تعدد وتنسب الوثنية إلى الوثن أي عبادة الأحجار والأصنام ، وقد وصف اليونان القدماء ( الاغريق ) بالوثنية ، كما وصف بها أهل الجزيرة العربية على اختلاف في المدى والفهم ، فقد كانت وثنية العرب ساذجة تقليدية بينما كانت الوثنية الاغريقية تقوم على فلسفة عريضة ، لها فلاسفة أمثال أفلاطون وأرسطو وشعراء أمثال اسخيلوس وسوفوكليس والعقائد الوثنية متعددة منها تأليه الطبيعة ( أو جزء من أجزائها كالشمس أو القمر أو بعض أنواع الحيوان ) أو تأليه البشر ( فرداً أو أسرة أو جماعة ) وذلك كعبادة الملوك والأسر الحاكمة عند بعض الأمم القديمة كالمصريين القدماء أو الحديثة كاليابان والهنود ، وعبادة الأنبياء والأبطال والقديسين والأولياء ، ولذلك فقد حرص الاسلام على إقصاء أى نوع من أنواع التكريم المبالغ فيه للأبطال أو الصالحين حتى لا يتحول مع الزمن إلى مثل هذا النوع من العبادة وكان الاغريق يقولون بتعدد الآلهة ، فكان كل إله يمثل قوة طبيعية خاصة يديرها ويتولى أمرها ، ومن ذلك : زيوس : إله الرعد والبرق وهو كبير الآلهة وديمتر إله الأرض والخصوبة ، وأفروديت آلهة الجمال وأبولو إله الشمس ، ونيتون إله البحر وهكذا ولا يفرق اليونان بين طبيعة الآلهة وطبيعة البشر ، إذ يحوز عليها ما يحوز على البشر من بغض وحقن وقسوة وشره وطمع وجبن وحب للانتقام وكانت آلهتهم لا ترى بأساً من اغتصاب زوجات الآلهة الأخوى وتتصف بالأخلاق الشريرة .

ومن العقائد الوثنية الاعتقاد بالوهية بمض الكائنات الخفية وعبادتها كالملائكة والجن والشيطان والأرواح أو تأليه جزء من الانسان كالعقل ، وهناك العقائد السامية والاحادية القائمة على أنظار الله ومجوده ، وإنكار الحياة الآخرة .

ويقول الدكتور محمد البهي أن الوثنية التي يحاربها الاسلام ليس هي وثنية

العرب التي كانت قائمة على تقديس الأصنام وبعض الكواكب لحسب . بل هي وثنية الانسان على العموم وهي تقديس الشخص دون رعاية للمبدأ أو المثال ، وعنده أن الانسان دائماً في حاجة إلى معونة الدين في مكافحة الوثنية .

وقد هاجم الاسلام الوثنية وهاجم تعدد الآلهة ودعا إلى عبادة إله واحد لا يعرف شخصه ولا تحد حقيقته لأنه فوق الطبيعة وفوق ما بها من أشخاص .

وهناك إجماع على أن الوثنية وتعدد المعبود متلازمان ، كما أن الوثنية وتشخيص المعبود متلازمان .

وتختلف الوثنية العربية عن الوثنية الاغريقية في أنها لم تكن وثنية قائمة بذاتها ، وإنما كانت انحرافاً عن دين التوحيد الذي دعا إليه إبراهيم . فقد اعتنق معظم العرب دين إبراهيم ولكنهم مع تقدم الزمن ومع تفرقهم في الاقطار كانوا يحملون معهم بعض حجارة الكعبة يتبركون بها ثم حولوا هذه الاحجار إلى أصنام وأوثان ، ومن هنا اختفى التوحيد وبرزت عبادة التماثيل والأصنام وقدمت لها القرابين . من وثنية العرب عبادة النجوم . وقد عجزت المسيحية بما فيها من تقاليد وما يتصل بها من عقيدة التثليث ودعوى صلب المسيح أن تمحذ انتباه العرب ، أما التثليث فقد كان معروفاً عند الفراعنة القدماء ، والهنود ، واليونان ، وكان الفرس يعبدون لها مثلث الاقانيم مثل الهنود هو ( أورمزأ ومترات واهرمان ) ويقول ( راون ) في كتابه خرافات التوراة ( Biblemyths ) أن تصور الخلاص بواسطة تقديم أحد الآلهة ذبيحة فداء عن الخطيئة قديمة العهد جداً عند الهنود الوثنيين ويعتقد الهنود الوثنيين ويعتقد الهنود الوثنيون بالخطيئة الاصلية . ويقول رتشارد في كتابه خرافات المصريين الوثنيين أنه لا تخلو كافة الابحاث الدينية المأخوذة من مصادر شرقيه من ذكر أحد أنواع التثليث أو التولد الثلاثي أو اللاهوت الثلاثي وكان الهنود يعبدون ( قي مورتقي ) أي الاقانيم الثلاثة ( الرب والمخلص وسيفيا ) والصينيون يعبدون بوذا ويسمونه ( فو ) ويقولون أنه ذو ثلاثة أقانيم والمصريون القدماء يعبدون ( إيزيس . أوزيريس . حورس ) .

فتالتثلث جاء إلى المسيحية من الفلسفة الإغريقية، وهكذا يبدو تقارب واضح بين الوثنية والأغريقية والمسيحية الغربية (وهي غير المسيحية السمحاء المنزلة) والفرعونية، وتشابه في كثير من الطقوس والنظريات، ويقف الإسلام وحده متميزاً عن هذه الأديان جميعاً بطابع التوحيد الجذري الأساسي وقد صور القرآن الكريم هذا المعنى في قوله تعالى : « ما كان لبشر أن يؤتيه الله الكتاب والحكم والنبوة ثم يقول للناس كونوا عباداً لي من دون الله ولكن كونوا ربانيين ، ومن هنا تأتي معارضة الإسلام للوثنية والشرك وللتحريف في سبيل القضاء على الوثنية .

## توحيد الأديان

ترتفع بين آن وآخر صيحة تدعو إلى توحيد الأديان ، أو على الأقل إلى توحيد الاسلام والمسيحية ، في عام ١٨٨٣ كان القس اسحق تيلور يقوم بالدعاية لتوحيد الاسلام والنصرانية على أساس قاعدة التوحيد الموجودة في الإسلام والموجودة عند الكنيسة الانجيلية وقد اتصل عن طريق صديق فارسي هو ( فيرزابكو ) بالاستاذ محمد عبده وهو في متفاه في دمشق ، وقد تمحدد هذا الموقف مرات ومرات وكان هناك من يدعى خريستفوف جياره الذي كان يحمل لواء هذه الدعوة في مصر وقد هاجمه رجال الكنيسة وقال التمس سر جيوس أنه أراد أن يجعل المسيحيين مسلمين ينكرون لاهوت المسيح الذي هو أساس دينهم والذي تركز فيه كل عقائدهم ، كما أنه أراد أن يجعل المسلمين مسيحيين يعترفون بصحة الانجيل الامر الذي إذا سلم به المسلمون لوجب ألا يقبلوا كتابا آخر غير الانجيل وأن يعترفوا بلاهوت المسيح ، كما أنه أراد أن يجعل اليهود مسيحيين لأنه طلب إليهم أن يعترفوا بأن المسيح قد جاء الى العالم ولو اعترف اليهود بمجيء المسيح لهجروا طقوسهم اليهودية وعاداتها وصاروا مسيحيين ، لأن المسيح هو محور نبوءاتهم . ومعنى هذا استحالة هذا التوحيد بين الأديان .

وهناك محاولة أخرى موضع الشك والريبة هي محاولة البهائية التي تتظاهر بتوحيد الأديان وتهدف الى هدم الأديان لتحل محلها الدين البهائي .

ومعنى هذا عبر المحاولات المختلفة أن من ورائها هدف سيئ استعماري أو صهيوني من أهداف تلك الدعوات العاملة على تقويض الجماعات الإنسانية ، وليس في مفهوم الاسلام نفسه توحيد الأديان دائما فيه تساندها على مقاومة الالحاد والاباحة وكشف الاعتقاد بوحدة الله والتقاء الإنسانية على الخير والاخاء .

## الباب السادس

### التاريخ



## إخوان الصفا

ليس الاهتمام بنشر رسائل إخوان الصفا وإعادة إصدارها عيباً في ذاته ما أسديت للقارىء الحقيقة كاملة ، ودون أن تشوه هذه الحقيقة بإضفاء صفات غير صادقة على هذه الجماعة الغامضة التي عجز أصحابها أن يبرزوا أسمائهم أو يكشفوا عن أنفسهم أو يقفوا في صفوف العلماء أو المصلحين أو الفلاسفة أو حتى دعاة المذاهب الدخيلة من أمثال ابن الراوندى والحلاج والسهروردى وغيرهم . ولكي يقرأ القارىء رسائل إخوان الصفا عليه أن يعرف من كتبها أولاً فإذا وثق به وعلم أنه من أهل العلم الخالص البعيد عن الضلال أو الانحراف كان له أن يقرأ ما كتب فإن لم يتحقق له هذه الثقة فعليه أن يقرأ في حذر على ضوء ما عرف من أمر الكتّاب وأهوائه ، والإجماع بين الذين قدموا لإخوان الصفا منذ كشف أحمد زكي باشا عن هذه الرسائل إلى اليوم وقد تناولها الكثيرون بالبحث كالدكتور طه حسين وجبور عبد النور وعمر الدسوقي ودور النشر اللبنانية ، أقول أن الإجماع منعقد على أن إخوان الصفا جماعة مشبوهة ليست من العلماء ولكننا من دعاة الباطنية والمجوسية والزندقة الحاقدة على الإسلام واللغة العربية والدولة الإسلامية ولهم صلات واضحة وكيدة بالحركات المريية التي كانت تعمل على تقويض المجتمع الإسلامى ، وقد أضفى هؤلاء الدعاة للجماعة السرية على هدفهم السياسى طابعاً على وسفياً ، بيد أن هذا الطابع لم يخف حقيقةهم ولم يحل دون بروز مقاصدهم من خلال عرضهم للنظريات المختلفة التي تكشف عن معارضة كيدة لمضامين الإسلام وقيمه الأساسية وفي مقدمتها « التوحيد » : لب لباب الإسلام وفكره وقرآنه ودعوته .

وتؤكد مختلف المصادر التاريخية على أن « إخوان الصفا » تكونت على هيئة جماعة سرية ( ٣٣٤ - ٤٧٣ هـ ) في البصرة لبث آرائهم بواسطة رسائل غلبية ولها صلة أكيدة بالباطنية والاسماعيلية . ويمكن القول جملة أن المنهج الفكرى الذى قدمه إخوان الصفا في رسائلهم الجامعة ورسائلهم الاثني والخمسين يكشف عن جفاف أصيلة للإسلام وتلفيق كامل لكل الفلسفات الوثنية بمختلف أنواعها وفنونها : من أفلاطونية حديثة إلى فيثاغورية إلى نظريات أفلاطون وأرسطو

وأفلاطين وفيتاغورس والمجوسية والمزدكية والمناوية والزرادشتية جميعاً منظومة في سلك واحد في محاولة لخلطها بمفاهيم غامضة من الشريعة الإسلامية فالتقى بها مع عقائد الباطنية .

وقد وصفهم (أبو حيان التوحيدي) في كتابه الإمتاع والمؤانسة بأنهم «عصابة» وضعت منهجاً زعموا أنهم قربوا به الطريق إلى الفوز برضوان الله ، وأنهم قالوا : أن الشريعة قد دتست بالجمالات واختلطت بالضلالات ولا سبيل إلى غسلها وتطهيرها إلا بالفلسفة لأنها حاوية للحكم الاعتقادية والمصلحة الاجتهادية وزعموا أنه متى انتظمت الفلسفة اليونانية والشريعة الإسلامية فقد حصل الكمال .

وقد وجهت إلى مضامين هذه الرسائل نقادات سريعة تكشف عن مخالفتها الجوهرية لقيم الفكر الاسلامي ووصفت بأنها تكشف عن إغراق في الخيال واعتماد على الأفكار اليونانية من غير فحص ولا انتقاد المقومات وبحث في كل علم من غير إشباع وإقناع ، وأبرز ما يكشف عن شعوبيتهم ومحاولتهم لهدم المقومات الأساسية للإسلام فكرة أنهم يؤمنون بكل الأديان والمذاهب . وإذا أرادوا تأكيد رأيهم وبث دعوتهم تمثلوا أنبياء الله المرسلين ( موسى وعيسى ومحمد ) وأضافوا إليهم اليزدان وغازيمون وأرسطو وأفلاطون ، وهم يخاطبون الأديان بالفلسفات في محاولة لبناء مذهب يلغى الأديان ويعيد الوحدة - إلى المسلم والنصراني والمجوسي واليهودي والأفلاطوني والمثنائي والفيتاغورثي - على حد تعبير الدكتور جبور عبد النور - ويجمع الذين درسوا رسائلهم أن غايتهم هي الباطنية وأنهم من الفرق الضالة الغالية التي تعمل دائماً على الاحتفاء كذباً بأهل البيت ، وأن أكبر مصدر لإدانتهم أسلوبهم الرمزي وإخفاء أسمائهم ، والتمحيز من ذكر الاعلام الذين يصدر عن آرائهم وفكرهم تحفظاً من أن يكشف مذهبهم أو هواهم السياسي ، وفي كتاباتهم إشارات غامضة يستشف منها ميلا خفيا إلى المجوسية المعدلة بالوثنية الاغريقية ، وهم يرون أن عليا هو إلى طبقة الانبياء أقرب ويفرقون بينه وبين الصحابة ويحاولون وصفه بالنفوق على الخلفاء الراشدين . كما اتسمت هذه الرسائل بالنقمة على الدولة الإسلامية والسعي إلى تحطيمها وتبرز في كتاباتهم مفاهيم الباطنية والاسماعيلية والفيتاغورثية والأفلاطونية



والمجوسية . وتخلط بين آرائهم على غير وفاق « وفي نصوصهم فقرات كثيرة ولكنها موهمة تشير إلى أن في قرارة نفوسهم ميلاً إلى الوثنية والوثنية لغريقية وبابلية وأشورية ) وهم حين يوازنون بين الأديان السماوية والأرضية يفضلون الأخيرة ويسرفون في تمجيد مفاهيمها .

ولهم آراء في الكواكب تخالف مفهوم الإسلام فهم يعتقدون أنها السبب المباشر في التكون الطبيعي وظهور المادة ، وسبب ما يصيب الأجسام فوق سطح الأرض من علل وأمراض وقد لاحظ التوحيدى أنهم ينكرون البحث بالأجساد ( ج ٣ ص ٧٨ و ج ٤ ص ٤٠ ) ويفسرون الجنة والنار خلافاً لما تواتر عند المسلمين وينكرون الشياطين على الصورة التي يفهمها معظم المسلمين ويفسرون الكفر والعذاب تفسيراً باطنياً فلسفياً ، وتشتمل رسائلهم « على كثير من الآراء الخالية وبعضها معتق من اليونان وبعضها وليد الأذهان وبعضها تراث السكهان كأسرار الأعداد والتنجيم والقال والرجز ، والسحر والعزائم والإيمان بطوائع النجوم وتأثيرها وموسيقى الأفلاك ونغماتها والحاقها ويشمل كذلك على عقيدة الوحى والإمام المستور والعتية ، وفيها أعداد النفوس والعقول لدولة جديدة وهى فى مجموعها شرائع من الحكمة والديانة والشموذة والكهانة والسياسة ، تقوم على أساس الفلسفة اليونانية الطبيعية الإلهية وقد كانت هذه الرسائل محاولة لوضع نظام جديد يحل محل الشريعة الإسلامية التي يعتقد إخوان الصفا أنها أصبحت عتيقة لا تؤدى رسالتها وقد أخفقت محاولة إخوان الصفا وفشلت فلم تنجح فى إقامة نظام علمى أو تنشىء مجتمعا يقوم على أساسها لأنها خالفت جوهر الإسلام وتمدت عن المزاج العربى الإسلامى وملامح الذاتية التي أقامها الفكر الإسلامى فى الأمة التي نشرت بين أهلها وأكدت أن كل محاولة لدمج الفكر الإسلامى القائم على التوحيد بأى فلسفة وثنية ، كالإيونانية أو الهندية أو المجوسية فإنه عمل لا يحقق شيئاً ، إذ لا يمكن أن يتحقق الذوبان والانصهار مطلقاً بين الفكر الإسلامى القائم على التوحيد ومختلف هذه الديانات والمذاهب والفلسفات القائمة أساساً على الوثنية والتعدد والاحاد والانكار ، وقد فشلت هذه المحاولة كما فشلت كل المحاولات التي سبقتها والتي تلتها فى خلط

الاسلام بغيره أو إضافة أجزاء منه إلى مذاهب وفلسفات أخرى ، وكشف  
الاسلام في هذه اللقاءات عن ذاتية واضحة صريحة قادرة مستجيبة على الانصهار  
أو الذوبان في غيرها محتفظة بطابعها وذاتيتها وجوهرها ومزاجها حتى في أشد  
الفترات ضعفاً وتخلفاً .

وجملة القول أن محاولة إخوان الصفا والباطنية في خلط الاسلام بأهرمين  
والبرذان وأفلاطون وأرسطو وغازيمون ، أو خلط الفكر الاسلامي  
بالالهيات اليونان أو كتب الأديان الأخرى أو كتب الطبيعة والكواكب  
أمر غير متحقق فجرهر الاسلام مستحيل على الانصهار أو الخلط .

## الاسرائيليات

من أخطر التحديات التي واجهت الاسلام والفكر الاسلامي والثقافة العربية ظاهرة « الاسرائيليات »، وهي إضافة خطيرة ونظريات مستمدة من نصوص قديمة « وثنية ومجوسية من خارج مفهوم الاسلام وذاتية مختلفة عن الاديان والفلسفات » تسربت مع الزمن وقصد إلى إضافتها خصوم الاسلام وأعدائه رغبة في عزله عن جوهره الاصيل وقد شككت مع الزمن قشرة صلبة أو حاجزا خطيرا عازلا عن مفهوم الاسلام في بساطته ووضوحه ويسر « وإيجازه، وأضافت تفاصيل كثيرة باطلة وتوسعات عديدة تتعارض أساسا مع مفهوم الاسلام القائم على التوحيد « والمتصل الواضح الصريح للغيب والايمان بقواعد القرآن ونهجه ومنطقه في مواجهه مختلف القضايا والأمور السابقة وغير المنظورة وخاصة ما يتعلق بعالم الغيب وما وراء العالم المحسوس ، وفيما يتعلق بالعالم الآخر والتاريخ القديم السابق على الاسلام وتاريخ الأمم السابقة والمجتمعات وأحداثها

وقد أضيف إلى الاسرائيليات مع تطور الفكر لاسلامى إضافات أخرى تسربت من الفلسفات لليونانية والهندية والديانات الفارسية وغيرها مما كون حصة ضخمة لاستعمالها الشعوب وأعداء الاسلام والعرب في القديم سلاحا لتحريك الانظار عن مفهوم الاسلام وجوهره وإخراجه عن مضامينه وإتاحة الفرصة لمفاهيم الوثنية والثنية والتلث لغزوه .

وقد واجه المفكرون المسلمون هذه الدخائل الاسرائيلية الباطنية والمجوسية وغيرها وفندوها وكشفوا عنها وفي مقدمة من تولى ذلك : الجاحظ ( البيان والتبيين ) القاضى بن العرقى ( العواصم من القواصم ) وابن الجوزى ( تلييس إبليس ) كما واجه هذه القضايا ابن حزم والغزالي وابن خلدون وعرضوا لآراء الباطنية والمجوسية والمزدكية والمناوية وغيرهم وبإلقاء علماء المسلمين كلمة لاسرائيليات على جميع العقائد غير الاسلامية ولا سيما تلك العقائد والاساطير التي دسها اليهود والنصارى في مفاهيم الاسلام ، وفي مقدمة هذه الاسرائيليات تلك الإضافات للنصوص الثابتة أو التحسينات للآيات القرآنية والتوسع في أوصاف

الملائكة الجنة والنار والحشر ويوم القيامة وتصويرها تصويراً حسيّاً .  
وقد أفرد ابن خلدون في مقدمته فعلمين لدراسة هذا الموضوع ، وأدرك  
أهمية هذا النوع من التنبؤ في تاريخ الإسلام ، وكان في مقدمة من نعى عليه  
وشهر ببطلانه .

وهذه التنبؤات هي التي أضافتها الاسرائيليات فارتبطت بالمهدي المنتظر أو  
رجعة المسيح أو ظهور المسيح الدجال ، وكل هذا الأمور وغيرها مما لا سند لها  
من القرآن أو الحديث الصحيح .

وقد بدأ تكون هذه الحصلة عندما حاول المفسرون المسلمون سؤال أخبار  
اليهود عن ما يوجد في كتبهم من إشارات إلى بعض المسائل التي أوردتها القرآن  
ثم نقلوا ما كانوا يسمعون على أنه استرشاد أو توضيح ثم لم يلبث أن تحول إلى  
ما يشبه القضايا المسلم بها .

وفي عصر الضعف ومرحلة التخلف وفترة التجميع ظهرت كتب كثيرة لم  
يكتبها علماء محققون ، جمعت أحاديث منحولة وأكاذيب ومنهريات مديسوسة  
على الدين ، وفي مقدمة هذه المؤلفات بدائع الزهور والعرائس في القصص  
والأخبار .

وقد ارتفعت الأصوات بالدعوة إلى غلبة هذه الكتب حرصاً على مقاومة الخطر  
الذي تنفثه في جمهور العوام وإنصاف المتعلمين .

وكان لدائرة المعارف الإسلامية والمستشرقين إهتمام بالغ بأمثال كتب  
الأخبار وذهب بن منبه وعبد الله بن سلام وهم الذين أشاعوا الاسرائيليات في  
صدر الإسلام . وكان علماء المسلمين يسألونهم بوصفهم من أهل الكتاب عما  
عندهم في مثل قضايا بدأ الخليفة وشأن الأنبياء والأمم القديمة ، ولم يكن هذا  
الآن باب التعرف إلى الشبهات والتحرز من الوقوع فيها ، غير أن بعض  
الرواة جمع مثل هذه الآراء أمثال السدي والكسائي والتعلي والطبري  
وسجلوها في مؤلفاتهم ، فالتصقت بتفسير القرآن الكريم ، وقد عارض المفكرون  
المسلمون هذا الاتجاه وشجبوه وفي مقدمتهم العلامة ابن خلدون ، غير أن دائرة  
المعارف الإسلامية وكتابها جميعاً من خصوم الإسلام فتعلت هذه الآراء  
وبوبتها وعدتها مصادر صحيحة وجاء جولدزيهر وهو من خصوم الإسلام  
فدافع عن كتب الأخبار وزملاته .

## الإغريق واليونان

كليات متعددة تمثل طقساً فكرياً معيناً وتوحي إلى مناخ ثقافى له طابعه ومفاهيمه وتكشف عن عالم له قيمه ومقوماته : هى الإغريق واليونان ومنها اشتق اسم المذهب الفكرى « الهيلينية » التى هى بمثابة النمط الثقافى الذى يتجلى فى المثل اليونانية أو إقتباس اللغة والفكر اليونانى والتزام المثل اليونانية العليا . وترجع أهمية الدراسات المتصلة بالإغريق واليونان والهيلينية إلى ارتباط الحضارة الغربية الحديثة بالجذور اليونانية والإغريقية واعتبارها من مصادرها الأساسية ، فقد سقطت اليونان تحت حكم الرومان ١٤٦ ق . م وقد تبقى الرومان حضارة اليونان حتى سقطت االة الرومانية فى القرن الرابع المسيحى ، ودخلت أوروبا فى فترة قرون الوسطى المظلمة التى كانت كذلك ؛ بالنسبة لأوروبا وحدها ، حيث ظهرت أضواء الإسلام فى القرن السادس المسيحى ولم تلبث أن عمت العالم كله ووصلت إلى أوروبا واستقرت فى الأندلس وجنوب فرنسا وإيطاليا وكانت هى الشرارة التى أوقدت عصر النهضة ومن جذور المذهب العلمى التجريبي الإسلامى تكونت الحضارة الحديثة هذه الحضارة التى حاولت أن تنفى عن نفسها مؤثرات الفكر الإسلامى فى نفس الوقت الذى ارتبطت فيه بالإغريقية القديمة واعتبرتها مع المسيحية الوافدة من الشرق - بعد أن تحولت إلى طابع غربي وإطار للحضارة الغربية - مصدراً لها .

وقد ركز الفكر الغربى على التراث الإغريقى وابتعته مجدداً واعتبره مصدراً أساسياً له ، ومن هنا فقد عنى المتصلون بالفكر الغربى عناية كبرى بالانثار اللاتينية والإغريقية والهيلينية واحتضنوا نظرية لم تتأ كدلاتاريخياً ولا علمياً بأن للإغريق واللاتينية أثر كبير فى الفكر الإسلامى وهى نظرية طالما ردها المبشرون والمستشرقون ودعاة التغريب فى محاولة لخلق تصور عربى إسلامى بأن الفيم الإسلامية لها ركائز من الفكر الهلاني .

ومن الحق أن يقال أن الفكر الإسلامى قد تكاملت قيمه ومقوماته فى حياة الرسول ومع آخر آية من آيات القرآن الكريم وأنه لم تجر إضافة أى شئ إليه من بعد وإلى اليوم ، وإن كان هذا الفكر بطابعه فى الانفتاح على الثقافات

المختلفة قد أخذ وأعطى ورفض في مجال المناهج والأساليب واستطاع أن يهضم كثيراً ما وجدته في ثقافات وفلسفات الأمم المختلفة بعد أن ساغوه وصهره في بوتقته .  
وشأنه بالنسبة للفكر الهليني وشأنه بالنسبة للفلسفات الفارسية والهندية والمسيحية وغيرها .

أما موقف الفكر الاسلامي من الفلسفات اليونانية والتراث اليوناني فقد كان واضحاً ، إذ ترجم العلماء المسلمون الفلسفات العلمية والطبيعية وعلوم الفلك والحساب والطب وغيرها وأعرضوا عن الاداب والشعر ، ولما ترجمت الفلسفة الالهية وهي علم الأصنام عند الاغريق والوثنيات وقف منها المفكرون المسلمون موقفاً صريحاً في المعارضة والرفض ، وكان شأنهم في كل ما تفعلوه أممين أو لها أنهم أداروه في إطار التوحيد والنبوة ورفضوا الثنائيات وعبادة الالهة والأصنام والوثنيات جميعاً وثانيهما أنهم أساغوه وصهروه في بوتقتهم ، وأحالوه إلى جوهر فكرهم دون أن تغير شيئاً من قيمهم أو مفاهيمهم .

ولكن الغزو الفكري وحركة التغريب حاولت محاولات ضخمة أن تفرض على الذوق العربي الاسلامي والمزاج العربي الاسلامي نصورات إغريقية ويونانية لها طوابعها الخاصة المستمدة من بفتانها وقد فشلت هذه المحاولة في أن تغير من جوهر القيم الأساسية للفكر الاسلامي القائمة أساساً على التوحيد ، ذلك أن الفلسفات اليونانية الاغريقية قد تتلاقى مع الفكر العربي الحديث ومع المسيحية ومع اليهودية والتوراة ، ومع الفرعونية والمجوسية الفارسية بحكم قاسم مشترك أعظم بينها ، يكاد يوجد عنصر اللقاء والتقارب والتشابه خاصة في مجال الاساطير حتى بين نظرية إيريس وأوزوريس وحورس وبين نظرية التثليث ، يقول العلامة توين (١) أن شخصيتي إيريس وسيل تظهران في المسيحية مرة أخرى في تجلي السيدة مريم في شخصية أم الاله الكبرى ، كما تشاهد تقاطيع إله الشمس في الصورة ذات الطابع الحربي الذي يبدو وفيها المسيح في بعض الأحيان .

ويمكن القول بأن المثل الأعلى في الاسلام يختلف اختلافاً جذرياً عن المثل الأعلى اليونانى الذى ارتبط إلى حد كبير بالفلسفات الفرعونية والمسيحية وأبرز هذا الخلاف يتمثل في التوحيد الاسلامى ( لا إله إلا الله واحد أحدهو رب كل شيء ) والانسان سيد الكون تحت حكمه وإرادته ، بينما في المفهوم الاغريقى يوجد عشرات الالهة ، التى تتصارع وتتقاتل وحيث يبد الانسان هو سيد العالم وحيث يعبد جماله لجسدى ويؤله وحيث يصارع الانسان الالهة وينتصر عليها وحيث تفعل الالهة الشر ، يقول أنيس فريمه « أن الهتك لا تتميز عن البشر إلا بقوتها وإلا بخلودها وعدم فنائها مع الزمن وهى فيما عدا ذلك كعامة الناس تماماً تحسد وتغار ، وقد وزع اليونان السلطات بين هذه الالهة ، ووجهوا عنايتهم إلى تمجيد ودراسة الجسم الانسانى فأعطوا الالهة شكله ومثلوها به . ويرتكز المثل الأعلى اليونانى على أن الانسان هو مقياس كل شيء في هذا العالم .

ويعتقد اليونان أن نصيبهم أوفى من نصيب غيرهم من حيث جمال الاجسام ومن هنا نشأ طابع الحضارة الاغريقية والثقافة الهلينية وهو تمجيد وتأييد الجمال الجسمى ، ويضيف أنيس فريمه هذه الالهة بأنها تسرح وتمرح على جبل أولمبوس وتتصرف تصرف البشر فقد كانوا يحبون ويكرهون ويقتلون ويسرقون ويخطفون نساء بعضهم بعضاً ، وبعبارة أخرى كانت آلهة اليونان أناساً ولكنهم جبابرة ذوى بأس يتصرفون بكل ما هو جميل وبكل ما هو بشع ذميم ، كانوا أناساً يقتدى بفضائلهم ويهزأ برذائلهم ، ولذلك لم يشعر اليونانى أمام ربه أنه عبد ذليل بحاجة إلى الرحمة والشفقة بل ظل سيد نفسه متيقن أنه سيد الارض وأن الحياه نهب له ولعبقريته ولم ير في الكون قوة تسحقه .

وهذه العبارات من كاتب معجب بحضارة الاغريق وبأسلوب مهذب كثير فى تصوير مدى هذه العلاقة بين الالهة والبشر لتكشف عن فهم مختلف كل الاختلاف وبعيد كل البعد عن مفهوم المسلمين والعرب في علاقتهم بالله ، هذا الخلاف الجذرى بين الفكر اللاتينى والفكر الاسلامى ينسحب ويمتد من هذه النقطة إلى كل القيم والمفاهيم الاجتماعية والسياسية والدينية ويشكل خلافاً واضحاً بين مفهوم الاسلام ومفهوم الفكر الهليني ومن هنا فإنه من العسير على الدعاة

إلى إفراغ الفكر الإسلامى أو الأدب العربى فى قوالب الفكر الغربى أو الفلسفة الهلينية أن يحققوا شيئاً « وهذا العصر الذى يواجه دعاة التغريب اليوم » إنما هو صدى للوقف الذى وقفه المفكرون المسلمون من الفكر الهلنى عندما ترجم إلى اللغة العربية فى القرن الرابع الهجرى وأحدث سجالاتاً عنيفاً وصراعاً ضخماً ، فى محاولة الفلاسفة المسلمين : السكندى والفارابى وابن سينا لأصيله أو لإسلامه « وهى المحاولة التى حاولها الفلاسفة الثلاثة لاهل الفلسفة اليونانية فى بوننة الفكر الإسلامى وإطار التوحيد وقد كانت محاولة جد فاشلة فقد استهزى الفكر الإسلامى من ذلك التراث القديم ما وافق مقوماته ورد الباقي وجاء الأعلام الهالقة : ابن حزم وابن تيمية والغزالي فكشفوا عن مناهج الفكر الإسلامى القادرة على أن تؤدى ما حاول الفلاسفة القاسم من الفكر الهلنى واقتربت دورة ضخمة من دورات الفكر الإسلامى إلى التماس مفاهيم الإسلام والتحرر من الآثار التى حاول أن يفرضها الفكر اليونانى الوثنى وقد رفض الفكر الإسلامى مبدأ التبعية للفلسفات اليونانية والفارسية والهندية وعدل انحراف المعتزلة وأهل الكلام كما عدل مذاهب الفلاسفة المتصوفة الذين أدخلوا مذاهب وحدة الوجود والحلول والاتحاد وكلها مذاهب لها صلة بالفكر الهلنى .

وبالجملة فقد ظل كفاح المفكرين المسلمين مستمراً أكثر من ثلاثة قرون فى سبيل تحرير الفكر الإسلامى بين هيمنة الفلسفة الهلينية والهندية والفارسية القديمة .

وبالجملة فقد رفضت العقيدة الإسلامية الفلسفة اليونانية الالهية أما فى مجال الطبيعات والعلوم الرياضية فقد صححت أخطائها وحولتها إلى منهج أصيل مستمد من جوهر القرآن ومفهوم الإسلام العلم كما حررت علم النجوم من النظرة الفيدية ، كما صححت أضخم النظريات اليونانية فى مجال العلم كأقليدس وأطاب .

ولعل أبرز ما قاومه الفكر الإسلامى من الهلينية هو نظرية الاتحاد والثنائية والوثنية والإبادة ، وهى المظاهر التى ورثها الفكر الغربى والحضارة الغربية واتى يحاول دعاة التغريب فرضها من جديد على الفكر الإسلامى والمجتمع الإسلامى بإعادة ابتعاث المسرحيات اليونانية والأدب الاغريقى على النحو الذى



جرى عليه طه حسين وتلاميذ التبشير والتغريب بحسبانه سلاحاً يراد به القضاء على جوهر الفكر الاسمي ومفهومه الاساتنى ( التوحيد ) .

والقول الحق فى هذا المجال أنه ليس من شأن الفكر الاسلامى وهو فكر له أصالته وتاريخه وحضارته أن يلتبس بمقاييس الفكر الغربى أو الأغريقى فى تحليل الكون أو فهم الحياة ، ذلك أن الفلسفة اليونانية ومفاهيم الوثنية إنما تتنافى مع التوحيد والنبوة وتعارضها على خط مستقيم وتحمل طابع السخرية بالدين والوحى وأبرز مفاهيم اليونان المتفرقة بين السادة والعبيد فى المجتمع : واستخدام الرقيق ليقوم بالعمل بينما ينعم السادة بثمار الجهود وهو المفهوم الذى قامت عليه الحضارة الغربية وتوسعت من بعد من خلال الفردية والجندس الابيض ومفهوم النخبة والصفوة .

## البطولة

البطولة قيمة من قيم الفكر والمجتمعات الإنسانية ولكنها كمختلف القيم الأساسية لها في كل فكر ومجتمع مفهوم ، فللغرب مفهومه للبطولة الذي يختلف عن مفهوم الإسلام والفكر الإسلامي . وفي الغرب اليوم مفهومين للبطولة : مفهوم الفردية ومفهوم الجماعة أو مفهوم الديمقراطية ومفهوم الماركسية : فال مفهوم الأول يستمد أسسه من تقدير الفرد وإعلائه وتحليده على النحر الذي يذهب به إلى أعلى درجات التقدير ومنها إقامة التماثيل وتأليف الكتب والاحتفالات السنوية بمناسبة المولد والوفاة ، وهذا المفهوم يؤمن بأن البطل يصنع التاريخ ويعبر عن روح العصر ، وليس ثمرة الأحوال الاجتماعية أو المادية وأن كل عصر يظفر بالبطل الجدير به . ومن ثم فإن الرجل العظيم إبان أن يوجد في إبان الحاجة إليه كما يرى هيجل ويرى كارليل إلى أن التاريخ العام في اعتقاده هو تاريخ من ظهر في الدنيا من العظماء فهم القادة والأئمة وهم المبدعون لكل ماوفق إليه أهل الدنيا والبطل عنده لا تصنعه الحوادث ولا تخلقه الأوهام .

وهناك النظرية الاجتماعية في البطولة وترى أن الرجل العظيم قبل أن يصنع المجتمع فإن المجتمع هو الذي يكونه ويصنعه ، وأن البيئة تصنع العظيم قبل أن يعيد العظيم صنعها . وأن الرجل العظيم نتيجة ، واثرات طويالة متشابهة قد عملت على إيجاد الشعب الذي نبغ فيه .

ويقف الفكر الإسلامي جامعا بين المفهومين رابطا في دقة ويسر بين الأمرين فالبطل يأتي نتيجة حاجة المجتمع ثم هو يصنع التاريخ والمجتمع .

والبطولة في الاسلام تتمثل في النبي محمد صلى الله عليه وسلم فهو قد أخرجته الجزيرة العربية ثم هو أخرج الجزيرة العربية وغيرها وغير العالم كله ، غير قيمها وغير مفاهيم القيم كما كان يفهمها الناس قبل الاسلام وجاء برسالة تحمل مفهوما جديدا للبطولة . فقد كانت البطولة العربية قبل الاسلام بطولة الكرم والشجاعة والعجدة فاحتفظ لها بهذه القيم وغير مفاهيمها حيث كان الكرم من أجل الفخر ،

والشجاعة والنجدة من أجل المباهاة فوجه هدف الكرم والشجاعة والنجدة جميعا إلى التماس مرضاة الله ، ونقاها من زيف الفخر والمباهاة ، ومن هنا فان تكريم الأبطال في الاسلام يختلف عن تكريمهم في الامم المختلفة ، وهو تكريم للبطولة لا البطل والعمل لا للفرد ، ولا يحمل ضروب الوثنية أو التجسيم أو إعلاء البطل عن إنسانيته أو الفخر ، وقد آمن المسلمون بأن البطولة للفكرة لا للفرد ، فعزل عمر بن الخطاب خالد من قيادة الجيش في أوج البطولة وهو من لم ينهزم في معركة وقال كلمته التي تمثل مفهوم البطولة في الاسلام : « خشيت أن يفتن الناس به فأردت أن يعلموا أن الله هو الصانع » .

وهكذا كرم الاسلام العمل ولم يكرم الفرد لذاته ، بينما كرمت الامم الاخرى الافراد لذاتهم وغالوا في تكريمهم وبالفوا في ذلك حتى بلغوا به درجة التقديس وكذلك فعل اليونان والفراعنة فأضافوا إلى الناس طبيعة الالهة وحنطوهم ليظنوا مائلين أرف العنين واتخذوا التماثيل استيفاء لوجودهم المحسوس . أما في الفكر الاسلامي فلا يخلد البطل لمحبه ودمه ، أو صناعته من الأحجار والجرانيت وإنما يخلد ذكره وعمله . وكذلك فهم المسلمون أن البطولة ليست في الفرد ولكن في عمله فإذا اختار الرسول الرفيق الأعلى فعلى الرسالة أن تبقى وتستمر وكذلك فهم المسلمون الأمور . من كان يعبد محمداً فإن محمداً قد مات ومن كان يعبد الله فإن الله حي لا يموت ، والبطولة ليست في خالد ولكن في عمل خالد ، فإذا عزل خالد فان العمل يجب أن يستمر ، وكذلك اتصل الامر بتقدير البطولة في الاسلام في مفهوم الامام والقائد الحاكم فهو بالموالاة ما دام على الحق فإذا انحرف فلا طاعة له على الناس ، ولا يكرم الرجل أو يعظم إلا من خلال عمله الصالح ومن هنا حارب الاسلام الخضوع للأمراء والأغنياء لمجرد غناهم وعد هذا نوعاً من الشرك ودعا إلى تكريم الفضائل والقيم في ذاتها أينما كانت . ومن هنا غلب العنصر المعنوي الخالد على العنصر المادى الفانى ، وقد اتصل هذا بمفهوم القصة في الادب العربي . فهي إلى الحقيقة أقرب منها إلى الاساطير في الادب اليونانى والاسلام يكرم العمل . ويجعل الكلمة مكان الطقوس والاستعراضات . فمن طريق الكلمة الحق والعمل الايجابى تحققت البطولة التي تتمثل في تحرير البشر من الوثنية والظلم ، وفتح آفاق اكتشاف الكون والرحلة واختراق البلدان

والقارات في البحر والبر ، وتحققت في ميادين العلم والفكر وفي آفاق النفس .  
وتتجلى البطولة في مفهوم الاسلام في أن المال وسيلة وليس غاية ، وأن تقدير  
الانسان إنما يقوم بعمله لا بنسبه ولا شخصيه ولا مظهره . وهكذا تمثل البطولة  
الاسلامية في القيم الخالدة كإيمان بالله والإيمان بالجزاء والمسئولية وإقامة العدل  
والمساواة وحماية الضعف وتحريره والمروءة والشرف والوفاء والكرم والتجدة  
والشجاعة وقد ظلت البطولة في تاريخ المسلمين وإلى اليوم تستمد مفهومها من هذا  
المعنى الأصيل في الاسلام ، كما تمثل هذا المعنى في القرآن الكريم الذي عرض شخصيات  
الأنبياء والقادة في هذا الضوء واعتمد بطولتهم من خلال هذا المفهوم ، وما زال  
المسلمون يرون في شخصية رسول الله ، المثل الأعلى للبطولة ، على النحو الذي  
أقره الاسلام وطبقه الرسول .

فالبطل المسلم يلتمس لعمله الله ، ولا ينسب لنفسه شيئاً من الفخر .

وقصة « صاحب النقب » معروفة ، هذا البطل الذي حقق للمسلمين بعد  
أكثر من شهرين إقتحام سور دمشق وقد عجزوا عنه . وكان مما أولاه بالفخر  
بأنه بعد أكثر من ستين فارساً تقدموا ورجعوا أمام السهام ، ما كان أولاه بأن  
يعلن اسمه ولكنه أصر على التخفي فلما اضطره القائد إلى الاعلان عن نفسه تقدم  
بعد أن أخذ عليه العهد أن لا يسأله أحد عن اسمه فكان عمل البطل المحارب الذي يقدم  
نفسه للموت في كل لحظة موجهاً إلى الله ، لا يقصد به كسب مغنم مادية ، أو شهرة  
شخصية ومن هنا فقد كانوا يستقبلون الموت في غبطة وكانوا يضيفون به إذا ما تأخر عنهم  
والبطولة الإسلامية كانت دوماً مسئولية وليست غنماً ، عمر بن الخطاب كان  
لا يعطى أهله إلا أقل عطاء ويعاقبهم إذا خالفوا عقاباً مضاعفاً . وعمر بن  
عبد العزيز ترك كل ثروته وماله والتمس الحشونة ، والبطولة الإسلامية كانت  
عفوا عن القدرة ، فقد سمح صلاح الدين أهل القدس من الصليبيين يخرجون  
ثرواتهم وأموالهم وغناتهم . ورفض أن يفعل بهم وهو المنتصر ما فعلوا  
بالمسلمين يوم إستيلائهم على القدس من قبل ٧٠ ألفاً من المسلمين .

ولا شك أن هذه المفاهيم للبطولة يختلف باختلافها واضحاً عن مفهوم البطولة  
الغربي الذي يقوم على أسس أخرى فبطولة نابليون أو الاسكندر أو قيصر أو

غيرهم تختلف إختلافاً جوهرياً في دوافعها وغاياتها عن بطولة خالد وسعد بن أبي وقاص وعمر بن الخطاب .

ومع تقدير المسلمين للمثل الأعلى للبطولة في شخصية الرسول فإنهم لم يتخذوا يوم مولده أو يوم وفاته عيداً يحتفلون به أو مناسبة لإقامة المهرجانات ولكنهم إيماناً بمفهوم البطولة القائم على العمل لا على ذات البطل جعلوا يوم الهجرة : أعظم حدث في التاريخ هو مناسبة تكريم بطولة الرسول .

ومن هنا فإن شبابنا الذي يحاول أن يلتمس مفهوم البطولة من الفكر الغربي لن يصل إلى مفهوم الشخصية العربية ولا إلى المعنى الإسلامى وسوف لا يجد الذات العربية أو المزاج العربى الذى صنعه وكونته قيم أساسية لها مفاهيمها وجوهرها المختلف .

## تفسير التاريخ

هناك عدد من مذاهب تفسير التاريخ بعضها يعتمد على العوامل التاريخية أو الجغرافية أو الاجتناس وكل تفسير من هذه التفاسير يعلى قيمة معينة ويجعلها أساساً ومصدراً ويخفف من العوامل والقيم الأخرى وأشهر هذه المذاهب: التفسير المادى للتاريخ الذى يعتبر أن تاريخ البشرية هو تاريخ البحث عن الطعام . والذى يرى أنه لا توجد قيم أصيلة أساسها الدين أو الاخلاق أو التقاليد، وعيب هذا المذهب أنه يتجاهل جانب المعنويات الحقيقة والقوى الذاتية الشعوب . أما تفسير الاجتناس فيرد كل العوامل إلى الدماء والرسوس وتفاعلها وللعلامة وفرد كانتول سميث نظرة جذرية بالاعتبار في التفريق بين النظرة المادية والنظرة الروحية والنظرة الاسلامية في فهم التاريخ .

وعنده أن النظرة الروحية كالمسيحية مثلاً يعيش المسيحي فيها بشخصية مزدوجة أو عالين منفصلين لا يربط بينهما رباط والمثل الأعلى عنده غير قابل للتطبيق والواقع البشرى المطبق في واقع الأرض منقطع عن المثل الأعلى المنشور ويشير هذان الخطان في نفسه متجاورين أو متباعدين ولكن بغير اتصال والتاريخ في نظره هو نقطة ضعف البشر وهبوطه وانحرافه .

وفي مفهوم الهندوكية (وهى نظرة روحية أيضاً) يقول أن الرجل الهندى لا يابى للتاريخ ولا يحس بوجوده لأن التاريخ هو ما سجله البشر من أعمال في عالم المادة وعالم الحس ، والهندى مشغول دائماً بعالم الروح ، عالم اللانهاية ومن ثم فكل شيء في عالم الفناء المحدود لا قيمة له عنده ولا وزن والتاريخ بالنسبة له شيء ساقط من الحساب :

أما في المذاهب المادية كالماركسية مثلاً ، فهو الإيمان بحتمية التاريخ بمعنى أن كل خطوة تؤدي إلى الخطوة التالية بطريقة حتمية ، ولكن لا يؤمن إلا بهذا العالم المحسوس ، بل لا يؤمن في هذا العالم إلا بالمذهب الماركسى وحده وكل

شيء عداه باطل . والماركسي يتبع عجلة التاريخ ولكن لا يوجهها . ولا يقيسها بأية مقاييس خارجة عنها .

أما في الفكر الاسلامي فيرى « ولزرد كابتول سميث » ( وهو صادق في هذا الرأي ) : أن المعلم يحس بالتاريخ إحساساً جاداً ، إنه يؤمن بتحقيق ملكوت الله في الأرض ، يؤمن بأن الله قد وضع نظاماً عملياً واقعياً ، يسير البشر في الأرض على مقتضاه ، يحاولون دائماً أن يهتدوا واقع الأرض في إطاره ، ومن ثم فهو يعيش كل عمل فردي أو جماعي وكل شعور فردي أو جماعي بمقدار قربيه أو بعده من واقع الأرض لأنه قابل للتحقيق .

والتاريخ في نظر المسلم هو سجل المحاولة البشرية الدائمة لتحقيق ملكوت الله في الأرض ومن ثم فكل عمل وكل شعور فردياً كان أو جماعياً ذو أهمية بالغة . لأن الحاضر نتيجة الماضي ، والمستقبل متوقف على الماضي ، فالمفهوم الاسلامي واضح الايجابية ، فبينما غير المسلم يضحى بنفسه لأنه لا يريد أن تمر عجلة التاريخ الحاططة وهو حى وسامح لها بالمرور ، فهو يقف في طريقها حتى تدوسه وتقتله ، ويكون ذلك أغلى قربان يتقدم به إلى الله فإن المسلم حين يضحى بنفسه ، ففي حسه أن هناك نظاماً إلهياً يراد أن يطبق في واقع الأرض وفي حسه وهو يضحى أنه يدفع عجلة هذا النظام خطوة إلى الأمام . ١٠ هـ

ومن الحق أن يقال أن الفكر الاسلامي له تفسير للتاريخ يختلف عن التفسير الغربي المادى والشرقي الروحي على السواء . وأن التفسير الغربي لا يصلح لفهم التاريخ الاسلامي .

فالتاريخ الاسلامي (١) لا يمكن فهمه أو تفسيره إلا على ضوء النظرة الاسلامية للحياة الانسانية ، وكل تفسير يقوم على غير هذا الأساس ضرب من الخطأ العالمى لا يجوز أن يرتكبه باحث جاد أو مؤرخ يبتغى وجه الحق وحده . ولذلك فإن كل مؤرخ عربي يفسر التاريخ الاسلامي وفق منهجه الغربي يقع في

(١) راجع نصيف الجناني ( الأعلام مارس ١٩٦٩ )

الخطأ الذي يتمثل في ظاهره واحدة : هذه الظاهرة هي وحدة المناهج الاسلامية والفكر الاسلامي في مختلف فروعها وتكاملها . بينما يؤمن الفكر الغربي بتخثره هذه المفاهيم والفصل بين الله والطبيعة والعلم والدين .

أما روح الفكر الاسلامي وحضارته وتاريخه فيقوم أساساً على وحدة السكون وانسجام قوى الطبيعة وأقسامها وذلك بحسبان أن الاسلام هو النظام الوحيد الذي يحق هذا الانسجام لأنه يجمع بين الروح والجسد في نظام الدين ، والسماء والأرض في نظام السكون ، ويسلكهما في طريق واحد هو الطريق إلى الله . وإن الاسلام — والاسلام وحده هو الذي يجمع بين العلم والدين في وحدة تامة غير متنافسة ، ومن هنا فإن تطبيق منهج التجزئة الغربي يحول بين الباحث وبين الوصول إلى الحقيقة ويحمل الأمور أمامه مضطربة غامضة .

هذا من ناحية الفكر الغربي . أما المفهوم المادي فيرى ما يرى الدكتور تريتون في كتابه الاسلام : عقيدته ومبادئه : « إذا صح في القول أن التفسير المادي يمكن أن يكون صالحاً في تعليل بعض الظواهر التاريخية الكبرى ، وبيان أسباب قيام الدول وسقوطها ، فإن هذا التفسير المادي يفشل فشلاً ذريعاً حين يرغب في أن يعلل وحدة العرب وغلبيتهم على غيرهم ، وقيام حضارتهم واتساع رقعتهم ، وثبات أقدامهم فلم يبق أمام المؤرخون إلا أن ينظروا في العلة الصحيحة لهذه الظاهرة الفردية ، فأرو أنها تقع في هذا الشيء الجديد ، ألا وهو الاسلام » .

ويقول ( البيان وأيد غراي ) أن نظرية المسلمين إلى التاريخ نظرة بناءه فهم يرون أن البشرية إذا اعتقدت تماثيل الوحي ( القرآن ) فإن إرادتها حينئذ تتطابق مع إرادة الله .



## الحملة الفرنسية

هناك محاولة دائبة من جانب دعاة التغريب للقول بأن الشرق الإسلامى لم يعرف «اليقظة» قبل الحملة الفرنسية وهى دعوى باطلة بواقع التاريخ نفسه ، وهذه الدعوى إنما تستهدف القول بأن العالم الاسلامى لم ينهض إلا بفضل الغرب ونفوذه ، وأنهم لم يستيقظوا حتى أوقفهم الغرب ، وهو خطأ صريح حيث لا سند تاريخى أو علمى له . فإن العالم الاسلامى والأمة العربية قد استيقظت قبل الحملة الفرنسية بأمد طويل ، هذه اليقظة بدأت فى منتصف القرن الثامن عشر أو حوالى ١٧٤٠ م على التحديد حين انبثقت صيحة الامام محمد بن عبد الوهاب فى قلب الجزيرة العربية بدعوة التوحيد ، وما كان لها من أصداء واسعة فى العالم الاسلامى كله .

وهذا الواقع يسبق وصول الحملة الفرنسية بأكثر من نصف قرن ، ويسبق وصول الارساليات التبشيرية بمائة عام على الأقل ، ومن قبل وصول الحملة الفرنسية كانت حركة العلماء فى الأزهر قد وضعت أول وثيقة لحقوق الانسان حينما أخذت العهد المكتوب على الأمراء المماليك بأن لا يظلموا الرعية ولا يفرضوا عليها أى ضرائب أو قيود فإذا كان ذلك كذلك ، فإن القول بإعلاء شأن الحملة الفرنسية ليس إلا من دعاوى المستعربين والمستعمرين ، التى ملأت الكتب المدرسية بفضل نفوذهم وجميع المراجع الصحيحة تجمع على أن الحملة الفرنسية لم تكن مصدر نهضة بقدر ما كانت عامل تعويق للنهضة الاصلية . والامم لا تتجدد من خارجها ، وإنما تتجسد من مصادر فكرها ومن أعماق روحها ، ويقول شكرى فيصل فى هذا الصدد « ليس فى تاريخ الشعوب شىء هو لا كراه على التمدن ، لأن كل تمدن بالقوة هو معناه تمدن الاشكال دون الجوهر ، وهو تجديد يتناول مظاهر الاشياء دون أن يغوص فى على حقائقها » ويصل الى القول بأن تأثير الحملة الفرنسية كان سلبياً بالغاً ، وقد ولدت الحملة الفرنسية فى مصر ما ولدت المعاهد التبشيرية فى سواحل الشام وبيروت ، ولدت حذراً من المدنية التى مثلوها للناس بمقاربة مع تقاليدهم وولد الحذر قلقاً ، وامتد القلق والحذر بتأثير بعض التصرفات السيئة فأصبح تعصباً وكرها ، ويقول من المستحيل عقلاً أن نتصور أن الشرق العربى كان

سيظل نائماً ، لأن لهذا الشعب تاريخاً في الحضارة وقدماء في التمدن وجذوراً عريقة . لقد نهضت الشعوب التي هي أقل عراقة كالعين والهند واليابان .

وعنده أنقلا الحملة الفرنسية لاستطاع الشرق العربي أن ينهض نهضة حقيقية . والشرق له تقبل ذاتي للحضارة ، ليس مفروضاً عليه من الخارج ، ولم يعرف المسلمون الموت بل الاحتياط فقط ، وقد مرت بهم كما مرت بغيرهم أدوار الخذل .

ويقول ساطع الحصري أن الحملة الفرنسية لم يكن لها أى تأثير في النهضة المصرية ، وإنما هي مزاعم وأكاذيب نشرتها الصحف والكتب الفرنسية محاولة بها تدعيم مركزها الثقافي في مصر واقتدى بها كثير من كتاب العالم العربي ثم يقول : وأنا لا أستغرب أبداً أن يتوهم بعض الكتاب من أبناء فرنسا أن الحملة الفرنسية خدمت النهضة المصرية ولا أستغرب كذلك أن يتباهى هؤلاء بهذه الخدمة الموهوبة . على أن استغرب استغراباً شديداً كيف يظهر بين كتاب الادب من يشارك في ذلك ( آراء وأحاديث في التاريخ والاجتماع ) .

## الخلافة

كانت الخلافة الإسلامية هدافاً من أخطر أهداف الإستعمار والصهيونية ، فقد استطاع السلطان عبد الحميد والدولة العثمانية في أشد مراحل الضعف وهي ترى من الدول الأوروبية بالمؤامرات من أجل تمزيقها والقضاء على دولة الرجل المريض ، استطاع أن يجعل لواء الوحدة الإسلامية للأمم الهندية والفارسية وجميع المسلمين من خارج الدول العثمانية لإقامة حاجز ضخم في وجه الزحف الاستعماري الغربي وقد نجحت دعوته نجاحاً قوياً أكد وحدة المسلمين الروحية والفسكرية والسياسية ، وقد كاذ أن يحول ذلك دون مخطط الاستعمار المندفع إلى السيطرة والصهيونية العالمية الطامعة في السيطرة على فلسطين : ومن هنا كانت تلك الحملة الضخمة التي ساقتها هذه القوى على السلطان عبد الحميد ورمية باتهامات متعددة أقلها الاستبداد . وقد جرى الباحثون وراء ذلك دون تبين لحقيقة ما صاغه النفوذ الاستعماري من صور وهمية مستهدفاً القضاء على السلطان عبد الحميد عن طريق الجمعيات السرية الماسونية التي سيطرت في صالونيك على جمعية الاتحاد والترقي وساقتها إلى أهدافها بعد إسقاط عبد الحميد من حيث حققت أهدافها في تخليها عن طرابلس الغرب وسقوطها في براثن إيطاليا ومن حيث تسليم فلسطين لليهود والسباح لهم بالإقامة فيها ومن حيث دخول الحرب العالمية الأولى في صف ألمانيا وإيقاع الخصومة بين العرب والترك وتعليق الاتحادين لعلماء العرب على المشانق وما جرى بعد ذلك من اقتتال العرب والترك والمسلمين لحساب الدول الغربية التي سيطرت على الشام ( سوريا ولبنان ) وفلسطين ثم تسليم فلسطين للصهيونية العالمية .

ثم كانت الخطوة الثانية في سبيل إسقاط الخلافة : ( علامة الوحدة الإسلامية ودعائها ) وذلك عند ما سيطر مصطفى كمال أتاتورك على تركيا وتابع بصورة أشد

قوة وعنفا مخططات الاتحاديين والماسونية العالمية وكانت خطوته النهائية هي إسقاط الخلافة عام ١٩٢٤ بمافك عروة الوحدة بين المسلمين وإسلمهم للنفوذ الاستعماري ثم وقوف بريطانيا في وجه أي دعوة للخلافة ووقوف الغرب كله أمام أي دعوة للجامعة الإسلامية .

وقد دعى أحد الماسون من علماء الأزهر إلى وضع كتاب مسخ فيه مفهوم الخلافة وأخرج نظام الحكم في الإسلام كلية من مفهوم الإسلام وحاول أن يقر خطأ كبيراً مفترياً هو أن الإسلام دين عبادة جرياً وراء مفاهيم الاستعمار والغرب وخدمة للماسونية وأعداء الإسلام .

## فئة ١٨٦٠

تحاول كتب التاريخ وبحوث القوميات وغيرها أن تذكر فئة ١٨٦٠ على أنها مؤامرة وقعت بين المسلمين والمارون ، اضطرت الدول الأوروبية إلى التدخل لإقامة نظام خاص في لبنان ، ومن الحق أن يقال أن هذا التصور خاطيء من أساسه فلم يكن قبل بؤادر النفوذ الأجنبي هناك أى خلاف من شأنه أن يوقع بين عناصر الأمة ، فقد كان المسلمون يرعون مختلف الطوائف والأقليات ويتيحون لها حماية كافية لإداء طقوسهم ورعاية مصالحهم . ولكن الحقيقة الأكيدة في فئة ١٨٦٠ أنها مؤامرة دبرتها الدول الكبرى لعزل لبنان عن الدولة العثمانية وأعدادها كنطلق لانعام عزل العالم الاسلامى والبلاد العربية وإسقاط الدولة العثمانية ، وقد أكد هذا المعنى كثير من المؤرخين المنصفين فقد احتفت فرنسا الموارنة وثبتت بريطانيا الدروز ، ووقفت كل دولة وراء واحدة من هذه القوى وأمدتها بالأسلحة وأغرنتها بالطائفة الأخرى ، وأثارت بينها الخلافات التي أججت فئة ١٨٦٠ فلما وقعت الواقعة بين الموارنة والدروز ، وقتل من قتل ، تدخلت فرنسا وبريطانيا باسم وقف المذابح وأرسلت بريطانيا وحدة مكونة من ١٢ ألف جندي ، فسارعت فرنسا وأرسلت حملة ثومها سبعة آلاف جندي ، وفرض على الدولة العثمانية إقامة نظام محاصر للبنان يمنحه الاستقلال الذاتي تحت رئاسة حاكم مسيحي تختاره الدول الأوروبية ويصدق عليه السلطان .

ولم تلبث البعثات التبشيرية أنه هزعت إلى بيروت وأقامت معاهدها ولإرسالها في محاولة لفرض نفوذ ثقافي غربي على أبناء المارون ، وقد بدأت الارساليات الفرنسية هذا العمل ولحقت بها البعثات الأمريكية ولم يلبث بعد قليل أن أصبحت مصدراً خطيراً لتصدير صحفيين وكتاب إلى مصر ومختلف أنحاء العالم العربي ، وما يذكر أن سر كيس وصروف ونمر ومكاريوس وزيدان وفرح أنطون وشبلى شميل هم الدفعة الأولى من خريجي هذه المعاهد وهم الذين تصدروا الصحافة العربية في مصر وكانوا أصحاب الحملة العنيفة على الدولة العثمانية وعلى السلطان عبد الحميد وهم الذين مهدوا للنفوذ الاستعماري والصهيونية لفصل العرب عن الترك وتقسيم البلاد العربية بين الصهيونية وفرنسا وانجلترا .

## الكشف

أطلق تعبير الاستكشاف (Exploration) على الحملات الاستعمارية والتبشيرية التي قام بها الغرب في قلب القارة الأفريقية بدعوى أنها كانت مناطق مجهولة ، وأن أمثال ولفنجستون وصمويل بيكر وغيرهم كانوا مكتشفين رواداً بينما تؤكد الحقائق أن المؤرخين العرب قد جاسوا خلال هذه المناطق وكتبوا عنها في مؤلفاتهم فقد وصل ابن بطوطة إلى أعالي نهر النيجر وإلى نيمكتو وسكوتو قبل أن يصل إليها الرواد الأوروبيون وأول من أشار إليها وذلك بنحو ثلاثة قرون .

ويحاول الاستعماريون أن يرددوا هذه الشبهة وأن يفرضوها على كتب المدارس في البلاد المستعمرة ، مدعين أنهم اكتشفوا الهند مثلاً ، بينما كانت الهند معروفة في القارة الأوروبية في العصور القديمة ، وذلك قبل وصول ماركبولو ( ١٢٥٤ - ١٣٢٤ ) الذي وصل إلى فارس وأفغانستان وبكين والتبت ، أو فاسكودى جاما الذي أبحر حول أفريقيا عام ١٤٩٧ ومنها إلى الهند .

يضاف إلى هذا ذلك الإدعاء الذي رددته الاستعمار من أن (صمويل بيكر) هو الذي اكتشف منابع النيل الأبيض مع أن هذه المنابع لم تكن مجهولة في وقت ما ، وكانت الحقيقة تفرض أن يقال أنه أول من وصف هذه الاصقاع ، أما الذين قادوه إليها فهم رجال الحملة المصرية .

والواقع أن ما وصف بأنه رحلات الكشف هذه لم تكن إلا خطة الاستعمار التي فرضتها الدول الأوروبية وفي مقدمتها ( أسبانيا والبرتغال ) بعد تحررها من النفوذ العربي الإسلامي في الأندلس في محاولة لتطويق عالم الإسلام .

وقد أشار ولفنجستون في إحدى كتاباته إلى هذا المعنى حين قال : أن نهاية الاكتشاف الجغرافي هي بداية العمل التبشيري ، فإن الرسائل التبشيرية كانت تتحرك وراء هؤلاء الرحالة ، الذين كانوا في الأصل دعاة ومبشرين .

وليس هذا إستنتاجاً وإنما هو نص من مصادر تاريخية مدعمة بالأسانيد :

حيث يقول رولاند أو ليفر في كتابه : ( العامل التبشيري في شرق أفريقيا ، ما يأتي بالنص :

ولقد أعد ولفنجستون نفسه منذ سنواته الأولى حينما كان يعمل في جمعية التبشير اللندنية للاطلاع بمشاعل التبشير الخاصة بأفريقية الاستوائية . وبالعمل بين شعوب فطرية في بلاد لم يكن قد سكنها الأوربيون ، وفي عام ١٨٤٩ كان ولفنجستون لا يزال يفكر بطبيعة الحال ، في التجارة أكثر من الاستعمار ، وبما أنه كان أولاً وقبل كل شيء مبعوثاً مسيحياً ، فلقد اختار كمضو في هذه الحركة التبشيرية أن يبحث عن نهر تستطيع السفن أن تمر فيه إلى داخل البلاد . لقد أراد ولفنجستون أن يستكشف طرقاً في أفريقيا للبشرى لا للمدينة ، كان ولفنجستون مبشراً قبل أن يكون رحالة ولم تكن رحلته المشهورة إلا تمهيداً للبعثات التبشيرية .

أما فاسكودي جاما فقد لقي من كتبنا المدرسية اهتماماً كبيراً وصور بصورة البطولة . بينما تكشف الحقيقة عن صورة بشعة لأعمال فاسكودي جاما وغيره من طلائع الفتح والاستعمار وما قاموا به من ظلم وبطش ، ونصف الكتب التاريخية الموثوق بها ( دى جاما ) بأنه من أقسى خصوم المسلمين في رحلاته إلى آسيا ضرب بمذافعه الثقيلة المراكب الغزلاء التي تنقل الحجاج إلى مكة فأحرقها بعد أن نقل أموالهم وأمتعتهم إلى أسطوله وبعد أن حظر على رجاله انفاذ الفرق ومنهم النساء والرجال حتى هلكوا جميعاً الا عشرين طفلاً بعث بهم ( دى جاما ) إلى البرتغال حيث حلوا على اعتناق النصرانية .

هذه واحدة مما فعله دى جاما الذي تحاول أن تصوره كتب التاريخ في العالم العربي كله على أنه مكتشف عظيم بينما أن ( دى جاما ) لم يكتشف شيئاً وهو لم يصل في حياته إلى كالسكوتا ولم يستقبله الحاكم الهندي لأن البرتغالي ( بارتلومي دياز ) كان قد بلغ رأس الرجاء الصالح قبل فاسكودي دى جاما بعشر سنين فضلاً عن أن عبور المحيط الهندي من سواحل أفريقيا الشرقية إلى آسيا كان معروفاً من التجار للعرب والهنود منذ قرون (١) .

(١) من بحث مستعصي للدكتور بدو الدين القاسم ( مجلة المعلم العربي )

أما هنري الملاح البرتغالي ( ١٣٩٤ — ١٤٦٠ ) فإن حقده على العرب  
والمسلمين واضح وصريح ، فقد حمل في رمضان شبابه على مدينة سبتة التي انطلق  
منها طارق بن زياد إلى الأندلس ثم تصدى لمدينة طنجة المسلمة فرد على أعقابها ،  
وأسس مدرسة بحرية ضمت رجالاً حملوا لواء تجديد الحروب الصليبية وخوله  
الابا با يقول الماضى حق الفتح والإستيلاء على جميع البلاد حتى الهند ، أما الرحالة  
الوكر ك فقد كتب إلى ملكه يفخر بأنه ذبح جميع مسلمي مدينة غوا وجعلهم  
أكداً في المساجد ثم أحرقها ، وأنه أشعل النار في سفن المسلمين ، ومع ذلك  
فإن هذا السفاح يذكر في كتب التاريخ العربية بأنه فاتح منتصر .

---



## محاكم التفتيش

كانت محاكم التفتيش من أسود صفحات الغرب الاوربي خلال العصور الوسطى بالإضافة إلى الحروب الصليبية وغزو الفرنجة للدولة الإسلامية في الأندلس .

وقد شكلت محاكم التفتيش بطلب الراهب توركاندا وقامت بأعمالها ثمانية عشر عاماً ( ١٤٨١ - ١٤٩٩ ) وقد حكمت على عشرة آلاف ومائتين وعشرين شخصاً بأن يحرقوا أحياء فاحرقوا وعلى ٦٠٦٨ بالشق بمد التفسير فشهدوا وشتموا وعلى ٩٧٠٢٣ بمقربات مختلفة فنفذت وكان ذنبهم أن يعلمون علوم المسلمين والغرب من حكمة وفلك ورياضة .

وقد قاومت محاكم التفتيش دعوات حرية الفكر وقامت في مواجهة البروتستانتية التي أدالت من الكاثوليكية ، ثم عملت محاكم التفتيش في سبيل إخراج بقايا المسلمين في الأندلس من الاسلام وتحويلهم إلى المسيحية .

وقد كان القديس أوغسطين وتوما الأكويني كلاهما يبرران الاضطهاد والتعذيب مادامت الأغلبية ترى في ذلك الطريق إلى الله .

## ما قبل الاسلام

كان من أحرص ما عمدت إليه دعوات التغريب إثارة تاريخ ما قبل الإسلام والاذاعة به وتوسيع البحث فيه وذلك عن طريق البعثات الأثرية، وابتعثت الدعوات الفرعونية والفينيقية والآشورية والبابلية والبربرية ، وذلك من أجل إعادة المسلمين والعرب إلى ماضيهم الوثني قبل الإسلام، وإعلاء هذا الماضي وتزيينه وكان للكشوف الأثرية التي حرص النفوذ الاستعماري على استغلالها أبعد الأثر ، ففي مصر كان كشف قبر قوت عنخ أمون في العقد الثاني من هذا القرن وما وجد فيه من آثار صعيدية منطلقاً للدعوة إلى الفرعونية في مواجهة الدعوات العربية والإسلامية ، وقد جرى المصريون شوطاً في هذا المجال ، من حيث بناء القبور والقصور على الأنماط الفرعونية والدعوة إلى لغة وأدب وتراث فرعوني ، غير أن حملة هذه الدعوة لم يلبثوا أن فشلوا وعجزوا عن تحقيق وجود مثل هذا التراث ، ووجدوا أن الصلة قد انقطعت بين المصريين وبين الفرعونية خلال أربعة عشر قرناً كاملاً وذلك بالإسلام الذي غير النفسية والعقيلة والمزاج المصري والعربي مغايرة كاملة بعد أن أخرجه من الوثنية ودفعه إلى التوحيد وإلى منهج رباني قوامه الفطرة ، تقبله المصريون تقبلاً ضخماً وتصدروا به العالم الإسلامي كله .

وما تزال هذه المحاولات تجري في بيروت وفي غيرها ، ولبنانيين العنصر في التعلق بالدعوة الفينيقية نظراً لارتباط غير المسلمين بها وما لهم من نفوذ فكري واجتماعي يغذي النفوذ الاستعماري الطامع في تمزيق وحدة الأمة العربية والحيلولة دون اجتماعها على فكر موحد يدفعها إلى الامام بقوة .

ولقد كان الاستثمار والتغريب والصهيونية والماسونية والتبشير على اهتمام موحد بالدعوات القديمة التي كانت قبل الإسلام وهي كثيرة : منها الدعوات الفرعونية والبابلية وغيرها ومنها التراث اليوناني الاغريقي الوثني بما يحمل من أساطير وملاحم وفلسفة إلهية مسرفة في التعارض مع التوحيد ، فضلاً عن الجاهلية العربية التي قامت على عبادة الأوثان والأصنام ، ومن هنا اتخذت

الضيقونية العالمية والاستعمار ودهوات التخريب والتبشير من هذا التراث القديم كله بما يتصل بالفلسفات الهندية القديمة القائمة على وحدة الوجود والحلول والاتحاد والفلسفات المجوسية الفارسية القديمة وغيرها مما يطلق عليه (الغنوصية) بالإضافة إلى الاغريقية الوثنية، اتخذت من كل ذلك تراناً تصدر عنه القصص والمسرحيات والمترجمات والكتب ليكون عملاً من عوامل تدمير القيم العربية الإسلامية ويحاول أن يرد المسلمين عن التوحيد والنبوة والدين الحق عامة .

## معركة سانت بارتلمى

من أبرز الفوارق بين الشرق والغرب ، وبين النزاع الدينى فى أوربا ، وما ليس له مثيل فى العالم الاسلامى ، هذا النزاع الذى قام بين الكاثوليك والبروتستانت وكانت معركة ( سانت بارتلمى ) أقسى صوره ، فقد قتل فيها نحو مائة ألف بسبب التعصب المذهبى ، وقد عرف الاسلام بعض صور التعصب المذهبى بين الحنابلة والشافعية ، أو بين السنة والشيعة ولكن ما من خلاف بين هذه المذاهب زاد عن المعارك الكلامية . أما فى أوربا فالصورة مختلفة .

وقد وقعت معركة سانت بارتلمى فى القرن السادس عشر وفى عام ١٥٧٢ على التحقيق وفقدت فرنسا بها زهرة رجالها من أهل العقل والفطنة والحرية والعلم والصناعة .

ويعزى المؤرخون سبب هذه المجزرة إلى الحقد الدينى فى أقسى أشكاله وذلك أنه لما ظهر المذهب البروتستانتى فى ألمانيا فى أوائل القرن السادس عشر وامتد منها إلى سائر ممالك أوربا أصاب فرنسا منه جانبا هاما ، فقد انحاز إلى البروتستانتية كل من كان ناقما على سلوك الكنيسة الكاثوليكية إذ ذاك .

وكانت البروتستانتية فى الواقع ثمرة العلم الاسلامى الذى تدافع إلى أوربا ، وأنشأ جواً من حرية الضمير وحرية البحث .

لم يرق فى عين الملكة كاترين دوق يسى أم ملك فرنسا شارل التاسع أن تنتشر البروتستانتية فعزمت على إحداث مقتلة عامة تكون سببا فى إقناء البروتستان الفرنسين وقطع دابرهم أجمعين ، وكانت يد الكنيسة الكاثوليكية فى تدبير هذه المكيدة العظيمة فى ٢٤ أغسطس ١٥٧١ ، فلما دقت الكنائس أجزاسها كان ذلك إشارة للجزود والمتطوعين بالبدء فى القتل بالبروتستان فدهموا بيوتهم وفى أيديهم المشاعل تضىء لإليهم الطريق فى الليل الدامس ، وأخذوا يفتكون بأولئك الأبرياء مرتكبين من القسوة والوحشية ما يندر مثله فى تاريخ البشر ، حيث بقروا بطون الحوامل وأخرجوا الأجنة ثم ألقوها للكلاب

والخنازير ، وكانوا يسلمون الأطفال الذين في المهد للصغار الذين في سن العشر سنين من أولاد الكاثوليك ويأمرونهم بقتلهم حزا من أعناقهم في أسواق باريس ، ولم يزالوا كذلك حتى سالت شوارع المدينة بالدماء وعجت الأصوات إلى السماء وتكرر حدوث مثل هذا في كثير من مدائن فرنسا .

ومن أعجب ما وقع أن الكنائس دقت مرة أخرى في اليوم التالي فظن اتباع الحق الديني بأن ذلك أمراً مجدداً باستئناف القتال فأنهوا على إخوانهم قتلا ونهباً وتميلاً بأشد مما فعلوا بالأمس واستمرت المجزرة إلى اليوم الثالث وبعده ثم استحال إلى مذابح فردية طوال شهرى سبتمبر و أكتوبر في باريس وغيرها .

## مكتبة الاسكندرية

جرت محاولة التغريب على الصاق حريق مكتبة الاسكندرية بالمسلمين ، وجارى المستشرقين فى هذه الدعوى نفر من الكتاب فى مقدمتهم جرجى زيدان وطه حسين ، بينما دافع عن العرب بعض كتاب الغرب وفى مقدمتهم العلامة حيون فى كتابه سقوط الدولة الرومانية حيث قال : أن هذه الفرية لفقها على المسلمين « أبى الفرج العبرى » ، فى كتابه مختصر الاول وقد ترجم إلى اللغة اللاتينية فتلحقها أهل الغرض من الفرنجة فأذاعوها ، فأشار حيون إلى براءة عمر ابن الخطاب وعمر بن العاص من التآمر على حريق مكتبة الاسكندرية وأثبت أن الذى أحرقها إنما هم الرومان بمراكبهم الحربية فى حصارها لجيوش كليوباترة بقيادة يوليوس قيصر .

قال حيون : تأكدت أنها أحرقت قبل الاسلام بما تقي عام ، وأن أبى الفرج ابن العبرى لفق الفرية بعد الاسلام بنحو ستمائة سنة ، ولم يتعرض قبل أبى الفرج مؤرخ واحد لذلك ، حتى أن بطريرك الاسكندرية ( أفنيكوس ) مع توسعه فى الكلام على استيلاء المسلمين على ثغر مصر لم يذكر كلمة احدة عن حريق عمر ابن العاص لهذه الخزانة .

وكان الرحالة البغدادى قد زار مصر فى عهد الملك الكامل فنقل هذه التهمة وقد طبعت رحلته فى اكتوبر سنة ١٨٠٠ وهى مَحْشُوءَةٌ بِالْخُرَافَاتِ وَالْأَكَاذِيبِ وقال لطبقى جمعه إن كان أفاقياً ( EnentuRier ) نظنه ينتمى إلى حلب ويسمونه ( التيس الملتحى ) وقد نقض هذه الرواية واشنطون أرفنج وفليه وغيرهم كما نقضها أرنست رينان الذى قال فى خطاب له فى المجتمع العلمى الفرنسى : أنه لا يعتقد أن عمر هو الذى أحرق خزانة الاسكندرية لأنها أحرقت قبله بزمان طويل .

## مصر للمصريين

هذه كلمة حق أريد بها باطل كما يقولون : فان مصر للمصريين دعوة صحيحة .  
إذا أريد بها الوقوف في وجه الاستعمار البريطاني الذي سيطر على مصر عام ١٨٨٢ ،  
أما وأن الاستعمار البريطاني هو الذي رفع هذا الشعار فانه أبلغ العجب ، فقد  
أراد به إخراج المصريين من أمرين (١) من الأمة العربية المجاورة لهم والتي  
تربطه به اللغة والتاريخ والجوار والمصالح الاقتصادية والاجتماعية (٢) ومن  
العالم الاسلامي الذي هو الامتداد الطبيعي للأمة العربية فكراً ودينياً وثقافة (٣)  
ومن الاسلام نفسه وهو المنهج الفكري والاجتماعي للمصريين وللعرب  
والمسلمين جميعاً .

ولذلك فقد جاءت كلمة (مصر للمصريين) مضادة لكل دعوة وطنية عربية  
إسلامية تريد أن تضع مصر في مكانها الصحيح من الأمة العربية ومن العالم  
الاسلامي ومن الاسلام نفسه . ولكن الاستعمار قدمها عن طريق بعض الفلاسفة  
القادرين على التويه والتضليل فبدت براقة لامعة ، بينما كان المصريون يدعون  
أساساً إلى التحرر من نفوذ الاستعمار البريطاني والغربي ، أما الصلة التي كانت  
قائمة بين المصريين والدولة العثمانية فلم تكن استثماراً بأي معنى من معاني الاستثمار  
بل كان ترابطاً بين جنسين يجمعهما فكر واحد ولقد جاء العثمانيون إلى العالم  
العربي : الشام ومصر والمغرب بدعوة من أهله وحمايه له ، وتوسيعاً لجبهة  
المقاومة مع النفوذ الأوروبي الاستعماري الصليبي . الذي حاول معاودة غزوة  
لمصر والشام ككرة أخرى بعد أن انسحق نفوذه في الحروب الصليبية فكانت  
تلك الوحدة الإسلامية : العثمانية العربية عاملاً من عوامل القوة خلال أكثر  
من أربعمائة سنة (١٥١٧ - ١٩١٧) اضطر النفوذ الاستعماري خلالها إلى  
تطويق العالم الاسلامي دون أن يتمكن من السيطرة على البحر الأبيض نتيجة  
هذه الوحدة .

ومن هنا فقد كان لطفى السيد وجماعة الجريدة وحزب الأمة غير  
صادقين في الدعوة إلى مصر للمصريين فقد كانوا باعترافهم على ولاء مع النفوذ  
البريطاني في مصر وكانوا حيث سماهم كرومر : ( الذين التقوا بالانجليز في منتصف  
الطريق ) وهم بدائل الاستعمار وخلفائه ( لطفى السيد وسعد زغلول  
وعبد العزيز فهمي ) وغيرهم هم تلاميذ مدرسة كرومر التي قامت على أساس  
فلسفته التي رسمها في تقاريره السنوية (١) .

---



## إرساليات لبنان

ترددت كلمات كثيرة تحاول أن تعطي دوراً من البطولة للإرساليات التبشيرية اللبنانية التي وردت إلى العالم العربي في منتصف القرن الماضي وأقامت عدداً من المعاهد والمدارس يحاول بعض الداعين إلى تزيف الوقائع التاريخية بأن ينسبوا النهضة العلمية والأدبية والتعليمية في العالم العربي إلى هذه الإرساليات وإلى خريجيها الذين وردوا مصر فأنشأوا الصحف من أمثال فارس نمر وصراف وسركيس ومن تابعهم من أمثال جرجي زيدان وفرج أنطون وأديب اسحق وسليم عنجوري .

ومن الحق أن يقال أن البقعة العربية الإسلامية بدأت بانبعاث صوت الإمام محمد بن عبد الوهاب في الجزيرة العربية وبالدعوة التي صدع بها العلماء في الأزهر وما قامت به النهضة المصرية أيام محمد علي من ترجمة وتأليف وكل هذه سبقت تلك الدعاوى التي يحاول بعض المبشرين وأتباعهم أن يصورها منطلقاً للنهضة الفكرية والأدبية والاجتماعية في العالم العربي .

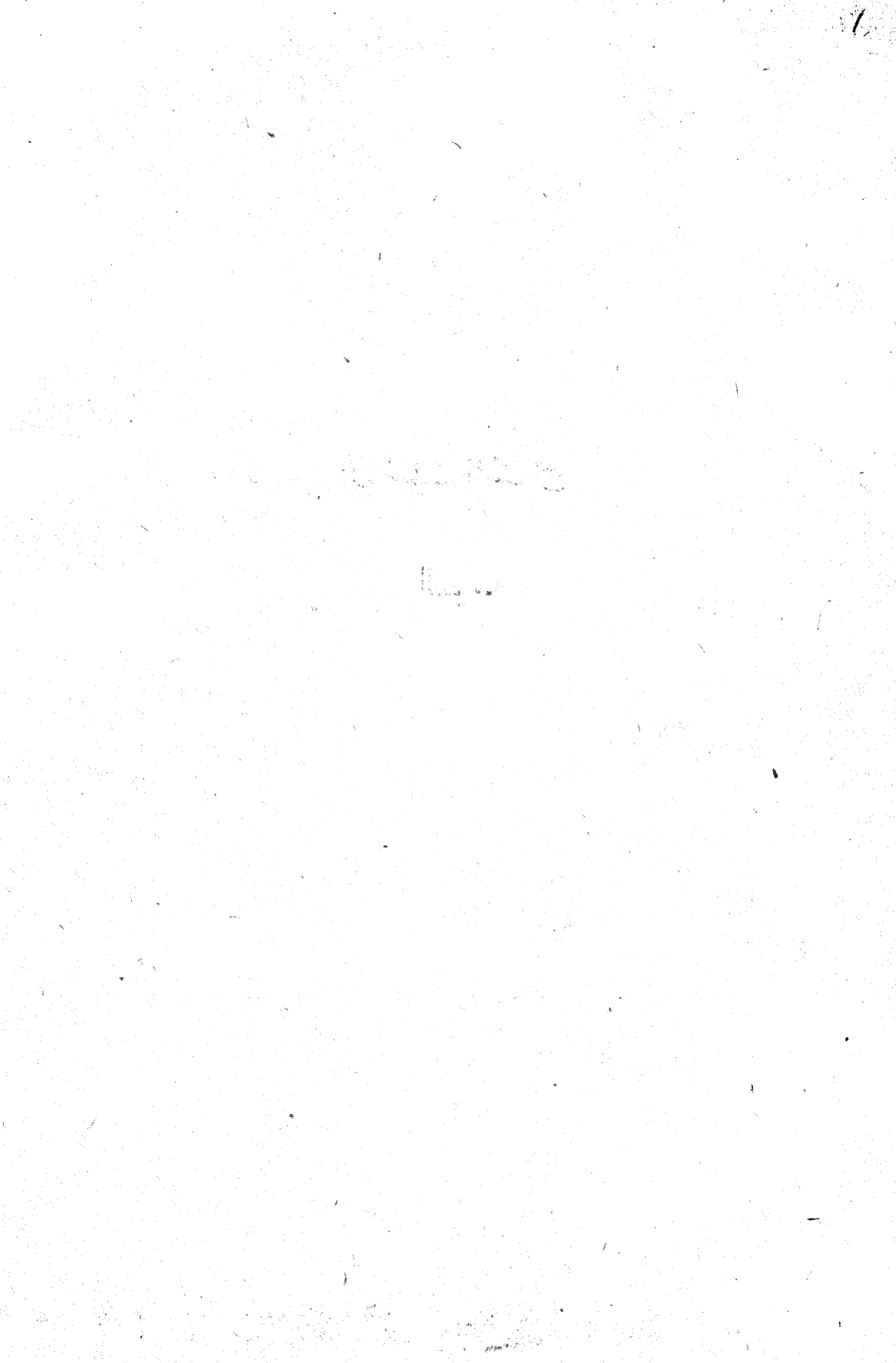
بل أن الصيحة التي انطلقت من منابر هذه الإرساليات والتي كانت تحمل الدعوة إلى العروبة لم تكن خالصة ولا صادقة وإنما كانت في أساسها دعوة إلى إخراج لبنان من الرابطة العثمانية العربية على النحو الذي أراده النفوذ الاستعماري بأحداث ١٨٦٠ والتي انتهت بسيطرة النفوذ الفرنسي والبريطاني على لبنان لتكون منطلقاً للإرساليات ولتتولى الجامعة التركية العربية التي كانت تقف في وجه النفوذ الاستعماري .

أما الدعوة إلى الوحدة العربية كحركة أصيلة فهي التي قام بها العرب في مواجهة حركة الدعوة الطورانية التي قام بها في الدولة العثمانية ( جماعة تركيا الفتاة والاتحاد والترقي ) وكانت هويتهم مع النفوذ الغربي للقضاء على الروابط العربية التركية .



# الباب السابع

السياسة



## الإستعمار

كلمة من أسماء الاضداد فهي اشتقاق من التعمير ، بينما هي تحمل في مفهومها معنى السيطرة والغزو والفتح وهي شبيهة بكلمة الاستكشاف الذي كان مقدمة للغزو والاستعمار ، وهي متصلة أيضاً بكلمة « امبريالية » ، التي تعنى التوسع الاستعماري . ولها امتدادان جديدان هما الإستعمار الجديد والإستعمار الثقافي ومن الحق أن يقال أن الاستعمار بهذه الصورة يختلف إختلافاً بيناً عن الإستعمار القديم المتمثل في الدول الفارسية والرومانية والبيزنطية . ذلك لأن الإستعمار الحديث قد ارتبط بالحضارة من ناحية وبدأ كأنما هو ثمرة لها أو وسيلة من وسائل نموها حصولاً على الخامات وتصريفاً للمنتجات ولكن أظهر مظاهره أنه حمل معه أساليبه وفكره وقيمه فحاول فرضها على الدول التي استعمرها ، وحاول أن يقيم سيطرة كاملة على الأرض والانسان والحياة السياسية والاجتماعية والثقافية والإقتصادية . ومن هنا فقد اختلف إختلافاً ضخماً عن صورة الإستعمار القديم . وقد بدأ الإستعمار من قارة أوروبا وجعل مجاله الحيوى عبر قارتي أفريقيا وآسيا واتخذ لذلك أساليباً بعيدة كل البعد عن التعامل الأخلاقي ، بل فرض أسلوباً من السيطرة والإذلال والقمع والتفكك على نحو بعيد كل البعد عن أساليب المدنية أو قيم الحضارة وقد كان الإستعمار في خطواته يحمل هدفين أحدهما ظاهر والآخر خفي ، أما الظاهر فهو السيطرة على مقدرات الشعوب ، وفرض نفوذ كامل يحمل طابع الإستعلاء ويحمل في نفس الوقت طابع الاستمرار فأوروبا صاحبة الحضارة ليس لها موارد الا ما تستطيع أن تحصل عليه من مستعمراتها ، وهي تحصل عليه على أنه حق ، ولا تنظر إلى أصحابه إلا على أنهم عبيد تابعون يجب أن يظلوا خاضعين مكثفين بالحصول على أقل قدر ممكن من الاجر في مقابل حصول الإستعمار على مقدراتهم وثرواتهم الضخمة التي لا حصر لها . أما الوجه الخفي للاستعمار فإنما يتمثل في ذلك المخطط الذي يهدف إلى استمرار الإستعمار واتصاله على مدى الأزمنة وهو أمر لا يمكن أن يتحقق إلا إذا احتوت الحضارة الإستعمارية هذه الشعوب والأمم في وجودها ومفاهيمها وحضارتها وثقافتها والقضاء على كل الطوايع التي تحملها هذه الأمم وتدمير القيم الأساسية لها وصهرها

في بوتقة الثقافة والحضارة الغربية على أساس أنها حضارة الإنسان الأبيض السيد الممدن الذي وكلت إليه العناية الإلهية تمدن المتأخرين والسود والمولتين ومن هنا فقد نظم الاستعمار فلسفة كاملة لهدفه هذا جعل لها طابعاً علياً ومظهرأ وضاءً وأخفى في داخلها أغراضه الخفية وهي إدماج شعوب أفريقيا وآسيا لإدماجها كاملاً في الحضارة الغربية وفكرها والتخلص الكامل من قيم هذه الشعوب وذايتهم . ولما كانت هذه الشعوب الأفريقية والآسيوية شعوب عريقة ولها حضارات باذخة

وتاريخ طويل وماغ عريض فقد قاومت مقاومة جسوره جبارة ، وكانت الحضارة الاسلامية أشدها مقاومة بحسبانها أحدث هذه الحضارات وأكثرها إتساعاً وأكثرها إرتباطاً بالحياة ، فإن أغلب تلك الحضارات كانت قد ماتت أو انطوت أما الحضارة الاسلامية العربية فإنها كانت لا تزال نابضة متفاعلة مع الحياة ، وأن اعترتها مرحلة من مراحل الضعف وهي إحدى سنن الأمم والحضارات بعد دورة بلغت ألف عام ويزيد ؛ واتد كان الاستعمار يعرف مدى خطر هذه الحضارات على وجوده ومدى خطر مفاهيمها على بقائه ، ومدى قدرتها على المقاومة والمواجهة والصمود ، ولذلك فقد كان ضخته عليها أشد وكانت حربه لاهلها وتدميره لثوراتها وقضائه على قادة فكرها أشد وأعنف .

وقد بدأت جولة الاستعمار الحديث منذ أوائل القرن الخامس عشر الميلادي بما أطلق عليه تطويق العالم الاسلامي وانتهت فأطبقت عليه منذ الحملة الفرنسية على مصر ١٧٩٠ إلى أن تمت السيطرة عليه في نهاية الحرب العالمية الاولى ١٩١٨ على نحو تمثل في استعمار مباشر واحتلال واتداب ، ثم في صك بإقامة وطن قومي لليهود في فلسطين .

وقد شهد العالم في خلال هذه الفترة حركة واسعة النطاق للإستيلاء على الاجزاء والوحدات المختلفة في أفريقيا وآسيا ولا سيما القارة الأفريقية في العقدين الأخيرين

من القرن التاسع عشر حيث كان الصراع عنيفاً بين فرنسا وإنجلترا وألمانيا وبلجيكا والبرتغال . ثم كانت حركة تمزيق الدولة العثمانية والتضاء عليها وتوزيع الاجزاء العربية بين إيطاليا وإنجلترا وفرنسا وألمانيا ، وكانت الخطوات الاولى

الاستعمار عن أساليبه وغير من خططة وإن لم يتراجع عن هدفه الأساسى فأجلت الدول المستعمرة أغلب جيوشها واكتفت بالاتفاقيات والمعاهدات والنفوذ الاقتصادى وربطت الأفطار بتمدها واقتصادها ، وظلت قادرة على السيطرة على الموارد والثروات والخامات وأطلق على هذا النوع من النفوذ : « الاستعمار الجديد » . والاستعمار (٢) الجديد هو فرض السيطرة الأجنبية من سياسية واقتصادية ، على دولة ما مع الاعتراف باستقلالها وسياستها ودون الاعتماد فى تحقيق ذلك على أساليب الاستعمار التقليدية وأهمها الاحتلال العسكرى ، ويطلق على هذا الأسلوب الاستعمارى اسم (الامبريالية الجديدة) ويستخدم الاستعمار الجديد فى تحقيق أغراضه وسائل خاصة لتحاشى المعارضة الشعبية الوطنية ومن ذلك الاتفاقيات الثنائية غير المتكافئة وتكبير الدول النامية بشروط تفرمها من حرية التصرف والضغط عليها تتمثل فى صورة معونات وقروض ، وإقامة القواعد العسكرية وإثارة الاضطرابات الداخلية والانقسامات الطائفية والحزبية فى الدول الحديثة الاستقلال لضعافها ووضعها تحت السيطرة الأجنبية وتشجيع الاقليات البيضاء التى تتمتع بامتياز اقتصادى وثقافى بارتماء للسلطة وممارسة سياسة التمييز العنصرى فضلاً عن استخدام المنظمات الدولية التى تقوم عليها الدول الكبرى بدور رئيسى فى الضغط على الدول النامية وتوجيه سياستها ،

ويتصل بهذا الاستعمار الجديد : الاستعمار الثقافى وهو أشد خطراً وأخفى أثراً ، ويتمثل فى الغزو الفكرى للدولة المسيطرة عن طريق مؤلفاتها وأخلاقها وكتاباتاتها ومذاهبها ودعواتها والعرويج لها فى الشعوب الضعيفة الواقعة تحت نفوذها السياسى والاقتصادى ، ويتمثل هذا النوع فى الارساليات التبشيرية والمدارس الأجنبية والصحف والمؤلفات والأفلام ، وتقوم هذه المؤسسات بدور كبير فى مجال الثقافة والصحافة والتعليم ، وتعمل على تغيير القيم الأساسية للامم وفرض مفاهيم مختلفة عن مفاهيمها التى تتمثل فيها روحها وطابعها وذوقها ويصب الاستعمار الثقافى أخطاره على اللغة والتاريخ والدين والعقائد ، فينشر حولها جوا من التشكيك والسخرية ويفتح الطريق للإلحاد والاباحة والتحلل والدعوات الوجودية المادية والوثنية .

(١) القاموس السياسى - أحمد مطية الله

## الإستعمار التركي

تتردد على السنة الكتاب كلمة الاحتلال التركي والاحتلال الغربي، وتوصف الأمة العربية بأنها وقعت تحت سيطرة استعماريين واحتلالين . وإيراد العبارات على هذا النحو أمر مقصوداً له هدف : بعيد هو تصوير العلاقة التي كانت بين العرب والأتراك على أنها علاقة استعمار أو احتلال وهذا مناقض للتاريخ والواقع معا ، فالرابطة التي قامت منذ ١٥١٧ م حتى ١٩١٨ م بين العرب والترك داخل نطاق الدولة العثمانية لم تكن في الحقيقة احتلالاً ولا سبيها .

ولأنها كانت محاولة من محاولات الوحدة والالتقاء بين أقطار العالم الاسلامي في مواجهة الاخطار ، وقد جاءت هذه الوحدة على أمر ضعف قوى السلاجقة والمماليك من بعدهم وتعرض البلاد العربية وخاصة مصر والشام لتجدد أخطار الغزو الصليبي الغربي والتحرركات التي بدأها الاوربيون مرة أخرى لاستئثار الحروب الصليبية . والمعروف أن العرب قد رحبوا بالوحدة الاسلامية العثمانية بعد أن ضعفت قوى المماليك في مصر وقوى البربر في المغرب وأصبحوا هدفاً لمحاولات صليبية جديدة، وقد وجدوا في العثمانيين أخوتهم في العقيدة منتعشا جديداً للإسلام وقوة شابة بدوية مقاتلة ، رفعت راية الإسلام عالية خفاقة وأعادت ذكرى الابطال في سبيل إعزاز الإسلام ونشره .

كما رحب العرب في مصر والشام بالوحدة الاسلامية العثمانية بعد أن نعموا على دولة المماليك إهمالها شأنهم في المرحلة الأخيرة لحاربوا في صفوف العثمانيين والواقع أنه لم يكن في هذه المرحلة خلاف جذري بين العرب والترك . فقد كان الطابع الاسلامي هو مظهر الوحدة الاساسية بين العناصر المختلفة والوحدات المنضمة تحت لواء الوحدة الاسلامية .

ومن الحق أن يقال أن العثمانيين قد قاموا في هذه المرحلة الاولى بتمثيل مفهوم الاسلام في نطاق الحكم وتحركوا من خلال إطاره . ويشهد المؤرخون بأن العثمانيين قد اقتفوا أثر الخلفاء الاولين في العدل والتسامح وتمثلوا أعمالهم



واتخذوهم قدوة ، وعملوا على جمع القلوب إليهم بتقدير العلماء الاتقياء وإنشاء  
الجوامع والمدارس .

ومن هنا فإن القول بأن هذه الرابطة بين العرب والترك كانت استثماراً إنما  
هو من النظريات المشبوهة والعبارات المدخولة التي يحاول الغزو الفكري  
والتبشير والتغريب إذاعتها وإقرارها في الأذهان .

أما ما كان من الخلاف بين الترك والعرب بعد تنحي السلطان عبد الحميد وفي  
ظل حكم الاتحاديين دعاة الطورانية فذلك هو الخلاف الحقيقي الذي يموت عليه  
خصوم المسلمين والعرب ويصفوه بأنه خلاف بين الترك والعرب وهو في الحقيقة  
خلاف بين الاتحاديين أتباع الماسونية وأعوان الصهيونية وبين العرب الذين  
تصدروا للزعامة في هذه للفترة (١) .

## الاقليات

قضية الاقليات نتاج استعماري أصيل ، فهي الاداة التي حاول الاستعمار استغلالها لتحقيق غاياته وتركيز وجرده وهي من الوسائل التي اتخذتها الدول الاجنبية سبيلها لتخظيم الامبراطورية العثمانية وبسط نفوذها على بلاد الشرق فقد لجأت هذه الدول إلى استغلال هذه الاقليات الطائفية (كلاقلية اليهودية والارمنية) وغيرها للثورة على العثمانيين ثم جاء الوقت الذي أعلنت كل دولة كبرى حمايتها لطائفة من الاقليات والطوائف ، وأثارت عن طريق هذه الحماية وهذا الولاء صراعاً وخلافاً بلغ في بعض مراحل حد إثارة الفتن والفتاقل (راجع مادة فتنة عام ١٨٦٠) ولم تكن هذه الطوائف في أحضان الانظمة السياسية التي عرفها العالم الإسلامي تجددت ولا إرهاباً بل تجد حماية وتقديراً بحكم نصوص القرآن والنظم التي رسمها الرسول والخلفاء تطبيقاً للتمرآن، ولسنا نحن الذين ندافع عن هذا المفهوم ولكن لندعم واحداً من الغريبين المنصفين هر كابتن غوردون كاتيج يقول : إن الاقليات المسيحية واليهودية كانت تعامل على الدوام خير معاملة في البلدان الإسلامية إلى أن تأتي دولة أوربية وتستخدم تلك الاقليات لقلب الحالة كما حدث في مسألة الأرمن والأتراك ، إن زعماء العرب في هذا العصر وفي القصور السابقة كانوا دائماً يعملون على تلافي هذا التنافر وإصلاح ذات البين ، فإذا كان التعصب قد أخذ مجراه في زمن من الأزمنة فقد كان المسلمون في مذهب الحاكم يناهضهم من الاضطهاد ما ينال المسلمين ، ومن الواجب أن تتخذ مبادئ (نجران) كالمثل الأعلى للزعيم المسلم : « إن دم الذي كدم المسلمين » .

وقول بيروندو : لقد كان في رسع الإسلام حل مشكلة النصارى في الشرق بالقضاء عليهم دفعة واحدة ، ولكنه لم يفعل لأن دعوته لم تقم على الفتح في الاساس ولم يكن ثمة إكراه في الدين ، لهذا لم يتعرض الإسلام للنصارى واليهود ويخبرهم بين الموت أو اعتناق الدين الجديد بل تركهم يمارسون طقوسهم دون أن يخصهم بشريعة . ومن هنا فإنه إنصافاً للحق والتاريخ نقول إن مسألة الاقليات لم تكن موجودة قبل دخول النفوذ الاستعماري للعالم الإسلامي ، ولقد ركن النفوذ الاستعماري على الطوائف الطائفية والمتوطنة فاستخلص بشريعة في البلاد

العربية : الارمن الاشوريين والمهاجرين من اليهود والروس واليونان والافرنج ليقاوم بهم العرب (١) وخلق من هذه الطوائف قوى يحركها بالثورة على أهل البلاد متى نشاء ، وقد أسكنت بريطانيا الاشوريين في شمال العراق وأرادت به ما أرادت من إسكان اليهود في فلسطين ؛ ولما لم تستطع إنسكترا أن تخلق بالاشوريين قلاقل ذات أهمية في العراق أعارتهم للفرنسيين الذين نقلوهم إلى سورية ولبنان ليسكنوا مصدر قلق لسوريا كما كانوا للعراق .

وقد انزعج المستعمر حين تم الالتقاء بين الاكثرية المسلمة والاقليات غير المسلمة وأبدى قلقاً لا حده .

وهكذا كانت محاولة المستعمر الذائبة لاستغلال الاقليات في كل وطن وهو الذى كون في هذه الاقليات ، ذلك الإحساس الذى يسيطر على بعضها من أنها لا تأمن على قوى خارج نطاق بلادها . وإن كان هذا المعنى قد زال تماماً في بعض البلاد التى بلغ فيها الوعي القومى والوطنى درجة كبيرة وسيزول تدريجياً في المناطق المنحرة بالقضاء على عوامله الإقطاعية والقبلية والطائفية .

ويتصل بمسألة الاقليات ذلك الدور الذى قام به الصحفيون الشاميون في مصر أو طائفة السوريين المتعاونين مع الاستعمار فقد كان كل الدعاة إلى الآراء الهدامة المادية والإلحاد والشعبوية والتغريب من أولياء النفوذ الاستعماري وخاصة البريطانى من أمثال فرح أنطون ولويس صابونجى وفارس نمر والدكتور شيل شميل وجرجى زيدان .

وقد وصف اللورد كرومر هذا العريق بمذكراته بأنهم منحة من السماء وأنهم خميرة البلاد ووصل بعضهم إلى أعلى المراكز الإدارية وفي فصل مطول من كتاب الدكتور أنيس صايغ : « الفكرة العربية في مصر » يتحدث عن الاقليات فليرجع إليه من يشاء وما قاله : لم يكن كل السوريين المتعاونين مع الاحتلال موظفين أو مرابين فمنهم من أنه أ صحفاً وأشهرها صحيفتا المقطم والمقطف اللتان أصدرهما فارس نمر ويعقوب صروف واسكندر مكاريوس ، وكانت الصحيفتان اللسان الناطق لسلطات الاحتلال باللغة العربية فأيدنا ذلك

الاحتلال وهاجمتا الحركات الوطنية بكل ما في لفظتي تأييد ومهاجمة من معان ، وكتب هؤلاء الثلاثة يدافعون عن حق الانجليز بمصر ويصفون حسنات الاستعمار ويعمدون أبطاله ويطالبون باستمراره ويدعون أهل مصر إلى الرضوخ إليه لأنه يحميهم من داء الوطنية ولم تمر بمصر حادثة واحدة إلا وقفوا فيها موقفاً معارضاً لا مائى الشعب ، فطلبوا سجن الأحرار وعارضوا توظيف الوطنيين ، بل أنهم زجروا بإعدام الأبرياء أثر حادثة دنشواى ، وإعلان الأحكام العرفية واحتلال السويس وسلب السودان عن مصر وغير ذلك من مساوئ الاحتلال ، ويرى الدكتور أنيس صايغ أن الأقليات فى كثير من فترات التاريخ الحديث كانت تتحالف مع الاستعمار وتتكبر لحق المشاركة القومية (راجع ص ٩٨-١٠١)

وقد اتصل هذا الخط ببعض الدعوات كالفرعونية والفينيقية والآشورية والبابلية ، وكان لعلباء الآثار والكشوف الأثرية الحديثة أثرهم فى إعطاء مزيد من الوقود لهذه الحركات التى كانت تعتمد أكثر ما تعتمد على ربط الحاضر بالماضى البعيد للأمم متخطية أكثر من ثلاثة عشر قرناً من تاريخ الإسلام وقد فشلت هذه الدعوات جميعاً وأكدت خطئها ، بل لقد تبين بمراجعة التاريخ الصحيح أن الفراعنة والفينيقيين والبربر وغيرهم إنما هم موجات قدمت من الجزيرة العربية أصلاً .

## الاقليمية

نستطيع أن نفهم إصطلاحات الوحدة الاقليمية إذا نظرنا إلى الخلفية الاساسية التي يحركها الاستعمار والتي تستهدف التمزيق والفرقة واعتبارها من عوامل سيادة النفوذ الاحيى ، هذا المعنى يبدو واضحاً خلف كل قضايا الوحدة القومية والدعوة الطورانية والدعوات الاقليمية واصطلاحات القومية والوطنية وكلمات السكبان الخاص والفرعونية والفيقنيقية والبربرية .

والمعروف أن العالم الاسلامى والامة العربية لم تكن تعرف من قبل هذه المصطلحات المتعددة وإن كانت تعتبر أن وحدة الفكر هي أساس الوحدة الاسلامية . وكانت جامعة الفكر القائمة على المفاهيم المستمدة من الاسلام هي مصدر التلاقى والوحدة ، غير أن النفوذ الاستعمارى لم يكن يستطيع أن يقيم قواعد نفوذه إلا على تقسيم الجماعات الواحدة إلى عناصر يتبع بعضها الجنس والعرق أو يتبع اللغة أو يتبع الدين ، وكان دوماً قادراً على إثارة الخلافات المذهبية بين أبناء الدين الواحد ، والخلافات بين أصحاب الاديان المختلفة ، وإثارة الخلافات بين الافريقيين والآسيويين أو بين أبناء المدن المختلفة في القطر الواحد .

وكلما وجد النفوذ الاستعمارى أن أمة بدأت تحقق وحدتها الوطنية لتلتقى في وحدة الامة مع جاراتها التي تربطها بها اللغة والتاريخ لاستعمل مخططاته في سبيل القضاء على هذه المحاولة وبث اللالغام من جديد لاثارة الفرقة والخلاف . بل لقد بلغ الاستعمار إلى أبعد من ذلك في محاولاته للحيلولة دون الوحدة التي تقوم على رابطة الامة وعودة الاجزاء ، والمثل الذى يضرب في هذا أن فرنسا حكمت المغرب العربى بأقطاره الثلاثة المتجاورة المتلاصقة التي تجمعها جبال الأطلس ومى تونس والجزائر ومراكش ومع ذلك فقد أقامت في كل قطر نظاماً مختلفاً في عناصره الاجتماعية والثقافية والسياسية والاقتصادية وذلك حتى لا تتلاقى هذه الاقطار . وحتى يتم تعميق الخلاف والاقليمية بينها وكذلك فعل بين مصر والسودان . وبين سوريا ولبنان ، ومن الحق أن يقال أن الامة العربية كانت دائماً ساعية إلى الوحدة ولكن النفوذ الاستعمارى كان دائماً يحطم هذه المحاولات

واحدة بعد أخرى وقد جرت محاولة لتقديس الحدود والأعلام والعملة والنظم، بحيث يصبح من العسير انصهارها وتلاقيها . وإذا كانت محاولات الوحدة بين أجزاء الأمة الواحدة عسيرة إلى هذا الحد بفعل النفوذ الاستعماري فإن محاولة الترابط بين أجزاء العالم الإسلامي تلقى مزيداً من العسر والمقاومة .

ويجمع المؤرخون على أن أوروبا منذ أخذت في مواجهة الدولة العثمانية والضبط عليها أثارت مسألة المسيحيين والأقليات ودورهم ومسئوليتهم وحقوقهم ثم توسعت في هذا الشأن في العالم العربي أيضاً .

وقد كان بعض الأقليات أصحاب دور في التركيز على تمزيق الدولة العثمانية وخاصة بعض السوريين الذين قدموا إلى مصر وعملوا في مجال الرأي والصحافة .

ثم جعل الاستعمار مسألة الأقليات في مختلف أنحاء العالم الإسلامي ورقة رابحة يلعب بها ويكبت بها كثيراً من التطلعات والمشاعر والأعمال النافعة باسم الخوف من إثارة الأقليات وكان أخطر ما قام به النفوذ الأجنبي في مصر لإثارة الخلاف بين الأقليات وغيرهم في مصر أن نصب من الأقلية رئيساً للوزارة فأحدثت صداماً استفاد منه الاستعمار تركيزاً لقواعده .

## الرجل الأبيض

من النظريات التي يذيعها الاستعمار والتغريب ويحاول أن يؤكد بها في نظر الأمم الواقعة تحت نفوذه وسلطانه ، القول بأن الرجل الأبيض — لا الإنسان عامة — هو تاج الحليقة وأن الغلبة في كل صراع ينشب على وجه الأرض سواء كان بينه وبين غيره من الاجناس الملونة أو بينه وبين مظاهر الطبيعة كالجبال والغابات والبحار أو بينه وبين الوحوش ، ويرددون عبارة السكاتب الأمريكى شتانليك ( الرجل الأبيض لا تغلب ) وهم عندما يكتبون تاريخهم يبدأونه بشعب أبيض ، هو شعب اليونان وينقلون زعامة البشر بعده بين أجناس بيضاء من رومان وطيان وجرمان فاذا ظهر شعب ملون وارتفع إلى مستواهم نظروا إليه بعين الذى يعتقد أنه الصعود الذى لا بد أن ينهار يوما لأن أصحابه ليسوا من الجنس الأبيض ، وقد كان ذلك موقفهم من اليابان .

ونظرية الجنس الأبيض لم تسكن في الحقيقة إلا أسلوباً من أساليب السيطرة عن طريق إخضاع بعض الأفكار الاستعمارية لمظهر علمي يخفى وراءه أهواء الاستعمار ويحاول أن يصورها بصورة الواقع المفروض . ويقلل من أهمية هذه النظرية تاريخيا أن الدولة الرومانية سقطت في القرن الرابع الميلادى وظلت أوروبا أكثر من ألف عام تعيش ظلمات القرون الوسطى بينما كانت أجناس أخرى ليست بيضاء تتولى مقاليد الحضارة الانسانية وتذيعها في كل مكان وتقيم مجتمعات من حدود الصين إلى حدود فرنسا وإيطاليا في قلب أوروبا وقد استطاعت هذه الحضارة أن تقدم للبشرية المنهج العلمى التجريبى والجدور الأساسية لمختلف العلوم الطبية والطبيعية والكيميائية والفلكية التى نماها الغرب فيما بعد وأقام بها الحضارة الحديثة ومن هنا فإن فكرة الجنس الأبيض نفسها لم تسكن هي مصدر الحضارة .

هذا فضلا عن أن هذا الاستعلاء باللون لم يكن يوما من الأيام مصدراً من مصادر التقدم ، أو الامتياز فان الجنس الآرى الذى يوصف بأنه الانسان

الايض قد وصل إلى أوروبا قادمًا من قلب آسيامن فارس والهند ومع ذلك فإن شأنه في فننا يختلف عن شأنه هناك ولكل لأن عوامل كثيرة ومختلفة هي التي أعطت الأوروبيين قيادة الحضارة في هذه المرحلة حين بلغ العرب والمسلمون مرحلة الضعف ، والرجل الابيض الذي ورث ، تراث العلم والحضارة العربية الاسلامي قد اشتعل في غطرسه وغرور عن أن يعترف بالفضل وأنكر دور الغرب والمسلمين وحاول إطلاق كلمة المصير الوسطى المظلمة على العالم كله ، وما زال ينظر إلى التاريخ من حيث هو بدأ في أوروبا وينتهي بها وتلك نظرة ظالمة بعيدة عن الانصاف تذكر حضارات الأمم والشعوب المختلفة التي سبقت وأثرت في مصر الحضارة البشرية التي ليست هي نتاج الرجل الابيض وحده ، إلا أن يكون الرجل الابيض هو وريثها والمتصرف فيها .

وقد كان الرجل الابيض يدعى أنه ممدن البشرية ، وأن سلطانه ونفوذه ليس إلا عملاً إنسانياً يستهدف تحضير الشعوب وتعميرها ( واشتق اسم الاستعمار من التعمير ) ولكن الشعوب رأت كيف كان الرجل الابيض قاسياً وظالماً وعنيفاً وأنه لم يكن ممدناً بقدر ما كان مستعمراً جشعاً يحرص على أن يمتلك كل شيء ، وأن يسيطر على مختلف الخامات والثروات ويتنقلها إلى بلاده ، دون أن يترك لأصحابها إلا الفتات القليل وأنه كان حريصاً أن لا يقدم لهذه الشعوب من حضارته إلا الجوانب السلبية والبراقة والتي تحمل جرائم قتل الكيان والشخصية وتذوب القيم وتحطم المعنويات وذلك بقصد استدامة السيطرة وإبقاء النفوذ وإطالة أجل الاستعمار وقد كشفت الابحاث العلمية المنصفة خطأ نظرية الرجل الابيض وتميزه عقلياً وجسمياً ، وتأكد أن ما حصل عليه من التقدم العلمي إنما هو تطور البشرية الطبيعي والجهد المشترك الذي ساهمت فيه مختلف العقول والقوى وأن هذا التميز العلمي وحده ليس هو كل شيء في الحضارة وإنما الحضارة قوى روحية ومادية ، وإن العمل المادى الصرف منفصلاً عن الاخلاق والدين لم يحقق إلا أزمة العصر ، أزمة العالم الذى كبر عقله وتوقف قلبه عن الفهم بين قوته الصانعتين لحياته .



واند اتخذ الرجل الأبيض مفهوم روما القديم وطبقه في العصر الحديث  
فأهل روما سادة وما وراءها عبيد واستعمل قوته المادية وقدرته العلمية في  
غوروتية ، على الانسان الملون فأوجد التفرقة العنصرية ، وحاول أن يقول بالحرية  
والمساواة والاخاء فجعلها قاصرة على الاوربي والابيض وحدهما وأنكر حق  
الاجناس الملونة فيها ، وبذلك أعطى البشرية ذلك الأسلوب المضطرب الذي  
أشقاها بالحضارة ، وحول العلم إلى مجال الفتك والتدمير والصراع الذرى  
النوى الرهيب ولم يوجهه إلى منح الانسانية لإلّا من بعد الشدة أو الغنى بعد الفقر ،  
وكان مصدر هذا الاضطراب جميعاً هو ذلك الفهم القائم على الغرور والاستعلاء ،  
الفهم الذى يفرق بين الرجل الابيض والرجل الملون حيث تكشف حقائق التاريخ  
والعلم والاجتماع أن لا فروق عقلية أو جسمانية تميز جنسا عن جنس ولا لونا  
عن لون .

## الجامعة الإسلامية

كانت صيحة الجامعة الإسلامية عندما استعلت إنما تعنى بجميع المسلمين في العالم الإسلامي تحت لواء الخلافة العثمانية في وجه النفوذ الاستعماري الزاحف الذي كان يخطط من أجل تمزيق الدولة العثمانية وإيقاع الخلاف بين العرب والترك كعنصرين تجمعهما وحدة سياسية وفكرية واجتماعية وإسقاط الخلافة الإسلامية كقوة جامعة للمسلمين .

ولقد كانت دعوة الجامعة الإسلامية فسمماً بين السلطان عبد الحميد وجمال الدين الأفغاني ، أما السلطان عبد الحميد فقد حمل لوائها منذ تولى الحكم كحالة لتجميع مسلمي كله مع الدولة العثمانية في وجه النفوذ الغربي الذي كان قد بدأ يسيطر على كثيرة من أجزاء البلاد الإسلامية .

أما جمال الدين الأفغاني فقد كان يطمح في تحرير قطر من الإفطار العربية ليكون منطلقاً للوحدة الإسلامية وكان يركز على مصر بالذات في هذا المجال ، فلما سقطت مصر في قبضة النفوذ الاستعماري البريطاني عام ١٨٨٢ رأى أن يدعم دعوة السلطان عبد الحميد إلى الوحدة الإسلامية الجامعة وانتقل إلى استانبول من أجل هذا للغرض ذير أن حوائل كثيرة حالت دون تحقيق هدفه ، أهمها ؛ مزاجه النفسي وطابعه الفكري كداعية ومفكر وما شاب حركة السلطان عبد الحميد من معوقات وضغوط ،

غير أن النفوذ الاستعماري ومن وراءه الصهيونية العالمية كانا يعملان في إصرار وعنف لإسقاط السلطان عبد الحميد كوسيلة لإسقاط دعوته « وقد تمكن ذلك عام ١٩٠٩ حيث تولى أمر الدولة العثمانية أولياء الماسونية والنفوذ الاستعماري من رجال الاتحاد والتمرق الذين أعدوا الدولة لل سقوط والتمزق الكامل بتسليمهم طرابلس الغرب لآيطاليا » والسماح لليهود بالإقامة في فلسطين . ودخول الحرب العالمية الأولى مع الألمان مما مهد إقيام حركة مصطفى كمال التي كانت المرحلة النهائية في القضاء على الطابع الإسلامي في الدولة العثمانية بإلغاء الخلافة والتحول إلى دولة علمانية غربية .

## الجنس

تستعمل كلمة جنس ، في الفكر العربي بمفهومين : مفهوم ( الجنس ) من الدم والقبيلة و ( الجنس ) من الصلة القائمة بين الرجل والمرأة ، أما الجنس بمعنى القومية فهو من خصائص الأمم ، والفكر الاسلاحي يقبله ، بمفهوم له يخالف لمفهوم الغرب ، فهو لا يعلى من شأنه لإعلاء شأن العنصرية الغالية المصارعة بل يراه وسيلة لتلاقى الأمم على حد قول القرآن ( يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا ، إن أكرمكم عند الله أتقاكم ) .

وقد استعمل نداء الجنس بوصفه العرق والعنصر استعلاء شديداً وتحرك في دوائر مخلفة أولها استعلاء الجنس الأبيض بوصفه صاحب الحضارة وقد حاول الاستعمار أن يبرر سيطرته على الأفطار الاسلامية والأفريقية والآسيوية بأنه جنس متفوق وتلك أجناس متخلفة، وإن إليه وحده أمانة الحضارة وتمدين الأمم وقد كذبت الوقائع هذا الادعاء فند كشف الأوربيون والغربيون عن دخيلهم التي تقوم ازدهاء عجيب للشعوب الملونة وخاصة إذ ساموها سوء العذاب وعملوا على على الإبقاء جهلها وضعفها واستنزاف مواردها .

ثم ظهرت نزعات استعلاء الجنس في صيغة الجنس الآرى والجنس السامى ومحاولة المناضلة بينهما وهى صيغة مرتبطة بالدعوة الأولى ، ثم كانت دعوة الجerman إلى سيادة الدم الالماني وغيرها من الدعات وفي السنوات الاخيرة هلت دعوة اليهود إلى ما أسموه شعب الله المختار وقد كانت حرب الأجناس هى صيغة الاستعمار أساساً حين حاول إخراج الأمم من أثوابها الفكرية والروحية والنفسية القديمة التى كانت تقوم على وحدة الفكر ، فأثار دعوة العرق والعنصر فظهرت دعوة القومية الضيقة والإقليمية والكيان الخاص وكلها دعوات أفاد منها الاستعمار والنفوذ الأجنبي حيث استطاع السيطرة على الشعوب والأمم وحال بينها وبين الالتقاء في وحدات واسعة ، من ثم عمق فيها دعوات الاعتزاز بالإقليمية الضيقة في محاولة بينها وبين الالتقاء في وحدات شاملة توسع دائرة المقاومة والتجمع ، وقد أكد علماء الأجناس أن أجناس البشر على اختلاف ألوانها متساوية في قدراتها الفعلية

والفكرية وأسقطوا مختلف نظريات التفرقة بين الاجناس التي حاول بها الاستعمار  
والنفوذ الاجنبي فرض سيادته

أما مفهوم الجنس بوصفه الصلة بين الرجل والمرأة ؛ فإن الإسلام ينظر إليه  
بغير تعقيد ولا يثير حوله الازمات خلافاً لنظرة الفكر الغربي إليه ؛ لأنه يجعله  
من المباح في حدود الشريعة ، ويفسح له المجال في العمل . ويضع له الضوابط  
التي تكفل له سلامة الاتصال وبعده عن التفسح والاضطراب والازمات ويقول  
ويقول الامام ابن قيم الجورنية :

( إن الاتصال الجنسي تحفظ به للصحة ويتم به اللذة وسرور النفس وتحصل  
به مقاصده التي وضع لأجلها ) .

ولا ينظر الإسلام للجنس نظرة بعض الديانات الاخرى من أنه ثمرة خطيئة  
ولا ينظر إليه نظرة بعض الفلسفات من إطلاقه بغير ضوابط ونظم فالاسلام  
يأمر بالعفة إذا عجز الشاب عن الزواج . وبذلك يكون الزواج هو الطريق  
المفتوح أمام الجنس الطبيعي السليم وذلك في مواجهة الخطأ الفلسفات التي تدعو  
الى حصر الزواج في أضيق نطاق وتمنعه على بعض الرغماء الروحيين وتمنع زواج  
الارملة والمطلقة .

وقد رفع الاسلام من شأن المرأة بتنظيم الجنس وضبطه ؛ وهو حين حرم  
الزنا كان يصدر عن احترام للجنس وتنزيه له عن العبث واجترام البراءة وتنزيه  
لها عن أن تكون أداة لمتعة الرجل (١) وذلك لأن الرجل الذي يمارس الجنس  
مع المرأة دون أن يرتبط بها ولا أن يحمل أولادها اسمه إنما يخنى احتقاراً للبراءة  
فتحريم الزنا يعني تحريم احتقار المرأة واكتمال الحرية الشخصية للرجل والمرأة  
إنما يكون بحق الزواج ثم بحق الطلاق لا بالتفريط ولا بالإباحة الجنسية فليست  
الإباحة مرادفة للحرية . وكما عبرت عقوبة الزنا عن احترام عميق للمرأة وتقدير  
للجنس فإن الطلاق يعني حرية تصحيح الخطأ والبدء من جديد وإنتاذا الأسرة  
بدلاً من أن تسحق تحت حقد الفشل والكراهية .

( ١ ) محمد جلال كشك : ( دراسة في فكر منحل ) .

ولقد ظهرت في الفكر العربي الحديث نظريات ودعوات تعلى من شأن الجنس وفق مفهوم الاباحه والكشف على أسس من الفلسفة المادية والنظرة المدمرة التي بثتها الماسونية والتي تحمل طابع العلم وصورته .

وكان أقوى من حمل لواء هذه الدعوة فرويد في دراسات النفس ولورنس في الأدب وسارتر في مذاهب الفلسفة ولما كانت هذه الدعوة لها خلفية تتصل بأهداف الصهيونية العالمية التي وردت في بروتوكولات صهيون التي تدعو إلى تدمير الجنس البشري وتحطيم معنوياته فقد وجدت سبيلها إلى الفكر العربي الإسلامي والثقافة العربية عن طريق غزوات التغريب والنفوذ الأجنبي والاستعمار الفكري وقد وجدت هذه الدعوات مجالا خصبا في الآداب الأوروبية والقصة واتخذ مذهب فرويد أساساً للقصة والآداب المعاصر ومنه امتدت خيوط إلى الأدب العربي والثقافات الإسلامية .

وتحمل نظريات الجنس دعوة مدمرة خطيرة إلى التحلل والانطلاق والقضاء على مختلف الضوابط والقيم في مجال علاقات المرأة بالرجل ، ويستهدف النفوذ الاستعماري والغزو الثقافي من هذا التركيز على هذه المعاني في المحيط العربي الإسلامي نتيجة أساسية وهي : أن تدمير الجنس في أمة من الأمم يضمن دمارها وانحلالها وزوالها والمعروف أن انحلال الحضارات المختلفة في التاريخ كله قد ارتبط بالانحلال الاجتماعي والأخلاقي . وأن الانحلال الجنسي الموجود الآن في قلب الحضارة الغربية إنما هو علامة خطيرة من العلامات التي تشير إلى نهاية هذه الحضارة .

## العالمية

الدعوة إلى العالمية لها مفهوم إنساني يهبر النفس ويعجب العقل . ولكن لكل مفاهيمه وموازينه ؛ والدعوة إلى العالمية في هذه المرحلة التي يمر بها العالم الإسلامي والامة العربية إنما تستهدف أخطاراً كبيرة على الأمم في حالات الضعف أو حالات وقوعها تحت نفوذ الاستعمار أو قبل أن تتكامل قواها ، وأن الدعوة إلى الانمية أو العالمية في هذه المرحلة بالذات هر محاولة لتذويب الأمم ذات الحضارات والثقافات المتميزة في حضارة الغالب وثقافته والقضاء على قدرتها في المقاومة أو التميز بكيانها الذاتي وشخصيتها الخاصة . فالعالمية مذهب فلسفي ينكر حقيقة الاوطان ويرى أن إنقسام العالم إلى أمم متعادية أو متاحرة مضاف للعدالة والاخوة الإنسانية ؛ ومن شأن الفوارق الطبيعية والاخلاقية والاجتماعية والروحية والجغرافية والتاريخية واللغوية — وهي عميقة الجذور بعيدة الاصول في البشر الى درجة كبيرة — من شأنها أن تجعل قيام وحدة فكر انسانية شاملة أمر بعيد بل مستحيل . « ولو شاء ربك لجعل الناس أمة واحدة ولا يزالون مختلفين » .

ومن الإنصاف أن يقال أن هناك جوانب تلتقي فيها الأمم . وأن هناك جوانب أخرى من العسير التقائها حولها . وأهم هذه الجوانب العسيرة الاخلاق والعادات والآداب والتقاليد والاذواق والروح . فليس في الامكان القول بأن هناك خلقاً وذوقاً عالمياً بل ليدل هناك خلقاً وذوقاً أوربياً . ولكن هناك خلتماً وأدباً وذوقاً وروحاً انجليزية ومثلها فرنسية ومثلها روسية والعرب والمسلمين خلقاً وتقاليد وآداباً وذوقاً مختلفاً ، هذه الامور هي مقومات كل أمة ومنبع الهامها ويرجع هذا التباين الى عوامل كثيرة ذاتية من الدم الى الجنس الى البيئة الى الدين الى اللغة الى التاريخ الى السجاياء والمفاخر مما يجعل من الاستحالة لتقاء الأمم في العالمية — )

ولا شك أن من وراء الدعوة الى العالمية أهداف يحمل لوائها الطامعون والاقرباء . فهناك الدعوة العالمية تحت لواء الحضارة الرأسمالية . وهناك الدعوة الانمية التي تحمل لوائها الماركسية وهناك دعوة العالمية التي تطمح الصهيونية في تحقيقها وذلك بالسيادة على البشر جميعها تحت لواء زعامة شعب الله المختار :

## للوطنية

برزت في العصر الحديث فكرة (الوطنية) كما برزت فكرة (القومية)، وظل الباحثون يضطربون في التفرقة بينهما وتحديد مفهوم كل منهما بحيث لا يتداخلان، وقد استقر الرأي على أن الوطنية تتصل بالأرض كما أن القومية تتصل بالعرق والدم والأمة، فالمصريون حين يتحدثون عن مصر أرضها وسماؤها وكيان وجودهم فيها فهي وطنية، وحين يتحدثون عن أمتهم وأرومتهم وإهراقهم فهي قومية، الأولى تتصل بأرض مصر والآخرى تتصل بالأمة العربية، ولقد حاول النفوذ الاستعماري والتغريب والغزو الثقافي بلبلة الثقافة العربية بهذه المصطلحات وإلقاء التعارض والمضادة بينها، وإعلاء شأن الوطنية الضيقة، ومحاولة جعلها قومية حتى تفصل المصريين عن العرب، وكذلك فعل الاستعمار في سوريا وفي المغرب وفي لبنان، للحيلولة دون قيام فكر موحد قومي يجمع الأمة العربية في كيان واحد، وإثارة خلافات قديمة بائدة، والتركيز على ملامح طيغمية يختلف فيها كل قطر عن الآخر لخلق روح الإقليمية مرتبطة بتحويل الوطنية إلى قومية، غير أن هذه المحاولات عجزت عن أن تحقق هدفها ثم برزت نظرة شاملة من وراء انحراف دعوات الوطنية بالمفهوم الضيق، أو القومية بالمفهوم الغربي، تقوم على الارتباط بين حلقات ثلاث :

في الوطن الواحد : الوطنية بمعنى الأرض وهي تتعلق بالأرض في كل قطر والقومية بمعنى الأمة وهي تمثل الوحدة العربية .

ووحدة الفكر في مجال الثقافة التي ترتبط باللغة والتاريخ والتراث ذي المصدر الواحد فالمصري يرتبط بوحدة الأرض الوطنية وبوحدة الأمة العربية ووحدة الفكر الإسلامية .

وكذلك العراق والسوري والمغربي وهكذا .

ولا سبيل إلى الفصل بين الحلقات الثلاث، ولا سبيل لأن يقبل العربي انفصاله

عن مصادر ثقافته ووحدة الفكرية، ولا سبيل إلى قبوله الوطنية المجردة من روح العروبة وما يزال الاسلام عاملاً أساسياً في أرضية الوحدة الثقافية والقومية وقد استحال أن تقبل الثقافة العربية مفهوماً للوطنية أو القومية مستورداً من تجربة الغرب، فذلك تجربته الخاصة التي صاغها وفق ظروفه وعصره ومقومات فكره وتراثه، وليست هي بالتالي قابلة لفرضها على أمة أخرى له فكرها وله مقومات شخصيتها وكيانها وذوقها ومزاجها وتراثها الخالص الذي كونه أعصر طويلة خلال أربعة عشر قرناً، وقد عجزت قوى التزييب عن صهر الثقافة العربية والامة العربية في قوالبها التي أرادت بها أن تصهرها في بوتقة الثقافة العالمية : أى ثقافة الاستعمار المسيطر نفسه .



## الاتحاديون وليس السلطان عبد الحميد

هناك خطأ ذائع وشائع ، هو أن الدولة العثمانية هي التي أساءت إلى العرب وعلقتهم على المشائق وأوجدت الفرقة والخلاف ، وكانت سيداً فيما قرب على ذلك من سيطرة فرنسا وانجلترا على الشام بأجزائه الأربعة ( فلسطين والأردن وسوريا ولبنان ) وكذلك العراق وذلك بعد الحرب العالمية الأولى ١٩١٨ وبعد أن اتفق العرب مع بريطانيا على إقامة دولة عربية نظير تأييدهم لها .

والحق أن الدولة العثمانية كلمة مبهمة عامة ، والحقيقة أن ( حزب تركيا الفتاة المسمى الاتحاد والترقي ) الذي تولى السلطة من عام ١٩٠٨ حتى عام ١٩١٨ هو الذي دمر العلاقات بين العرب والترك بدعوته إلى الطورانية ومحاولته تترك العرب والقضاء على لغتهم وتعليق زعمائهم على المشائق عام ١٩١٦ .

والاتحاديون جماعة سرية كانت بإيعاز من النفوذ الاستعماري والمنظمات الماسونية العاملة لحساب الصهيونية العالمية ، تعمل على إسقاط السلطان عبد الحميد حامل لواء الدعوة إلى الجامعة الإسلامية ، وتعد العدة لتمزيق الدولة العثمانية وتسليم الأجزاء العربية وغير العربية منها إلى الدولة الأوربية على النحو الذي وقع فعلاً وذلك بإعلاء طابع القومية التركية والعنصرية الطورانية .

أما السلطان عبد الحميد فقد كان يدعو إلى توسيع جبهة المقاومة على النفوذ الأجنبي وذلك بربط مسلمي آسيا وأفريقيا بالدولة العثمانية وكان موقفه من العرب مشرفاً وكانت إجابته في مواجهة تحديات الصهيونية لدخول فلسطين من أشرف ما قاله رؤساء الدول وزعماء الأمم عند ما رفض رفضاً باتاً إغراء

هرزل بالملايين من الذهب وقال ( تقطع يدي ولا أفرط في فلسطين ، أن فلسطين ليست ملكا لبلادي ولكنها ملك العرب ) ولكن أمثال ساطع الحصري وغيره من الباحثين المتأثرين بأغراض خاصة يطوون هذه الصفحة ويموهونها على النحو الذي لا تبدوا تلك الفوارق بين الدولة العثمانية وبين الاتحاديين واضحة كما يقببون الفوارق الدقيقة بين موقف السلطان عبد الحميد الذي دافع عن فلسطين ودفع ثمن ذلك عرشه وحياته وبين موقف الاتحاديين الذين علقوا العرب على المشائق فقطعوها كل صلة بين العثمانيين والعرب .

## الباب الثامن

الكتب والمؤلفات



## ألف ليلة وليلة

من أخطر شبهات التغريب محاولة اعتبار كتاب ( ألف ليلة وليلة ) مصدراً تاريخياً مثلاً لحياة العالم الإسلامى ، فقد جرت محاولات متعددة لاعتبار القصص الذى تضمنه ألف ليلة مثلاً لحياة العرب والمسلمين بصفة عامة بينما تكشف أقل مراجعة لمصادر ألف ليلة عن أنه ترات إيراني وهندى سابق للإسلام وأنه لا يمثل بحال صورة المجتمع الإسلامى العربى ، أو مفاهيم الفكر العربى ، وقد حكى المؤرخ الكبير المسعودى المتوفى ٩٥٦ م ( القرن الثالث الهجرى ) فى كتابه مروج الذهب عن وجود كتاب قديم بالفارسية أو بالفهلوية يحكى عن ملك وعن بنت وزيره ( شهر زاد ) وخادمتهما دين زاد وقد أشار إليه ابن النديم مؤلف الفهرست المتوفى ٩٠٥ هـ مجلداً وقال أنه كتاب الحماقة والسيئات ، كما أشار إليه المؤرخ القرطبى وقد كانت كل إشارات المؤرخين المسلمين إليه لإشارات تحمل طابع الرفض والامتنان والنص على أنه مصدر ساقط فى أنظار العلماء والباحثين على حد عبارة الدكتور سنيقى كارجرجى فى محله ثقافة الهند ( يناير ١٩٦٢ ) .

ومعنى هذا أن لكتاب ألف ليلة أصلاً كان سابقاً للإسلام وأن مصدره أساطير هندية وفارسية ، وقد ظل العرب يتناقلونه بعد ترجمته كوسيلة من وسائل الترف ويضيفوا إليه حكايات جديدة ، كما أضيفت إليه فى العهود المختلفة وآخرها عهد دولة المماليك ومسامرات أهل بغداد والقاهرة .

ومن هنا نرى خطر الاستعانة به كمصدر لدراسة حياة المجتمع الإسلامى بل على حد اتجاه بعض المستغربين ودعاة التغريب من اعتباره مصدراً وحيداً فى رسم صورة راتفة .

وما يذ كر أن أول من أبدى اهتماماً بألف ليلة وليلة هو جاسوس انجليزى مغامر ( ريتشارد بيرتون ) عام ١٨٨٣ وهو واحد من أولئك الذين كانوا يتخفون فى زياراتهم للبلاد العربية ويلبسون العباءة العربية أمثال لورنس وفيلبي وكان يطلق على نفسه فى دمشق الحاج عبدالله والمعروف أنه تصرف فى النقل على النحو الذى يخدم أهدافه .

ومن الحق أن يقال أنه مهما تكن صورة الحياة التي ترسمها ألف ليلة فهي ليست الصورة التي يرسمها المجتمع الإسلامي والمرأة التي تصورهما ألف ليلة ليست قطعاً صورة المرأة العربية أو المسلمة ، فقد غير الإسلام نظرة المرأة إلى الحياة كما غير واقعها تماماً فلم تكن في مفهومه ولا في مجتمعه الأصل أذاه جنس أو مصدر غايات حسية ، كما كانت في مفهوم المجتمع الوثني أو الجاهلي ، وحتى بعد أن اضطربت الحياة في المجتمع الإسلامي فقد ظل هناك فارق واضح وحاجز كبير بين ما كانوا يسمونها ( الغاية ) وبين ذات الصون والعفاف .

وقد حوى ألف ليلة صورة مشوهة عن المجتمع العربي الإسلامي يزيد في زيفها أن قصصه تمثل أما مختلفة وعصوراً متباينة وأن الجانب الأكبر منه كما موجوداً قبل الإسلام : وقد أضاف المترجمون الغربيون — بالقصد للعمد — التآني على التمسك والخصومة ، أضافوا إلى بشاعة الصورة التي يحملها الكتاب إضافات زادت فساداً ، فقد أشار ( غالان ) المستشرق الفرنسي الذي ترجم ألف ليلة لأول مرة عام ١٧٠٨ م بأنه « فرنج » ، الكتاب ليلام ذوق قارئه وأنه ركز على صور الرفاهية والترف وأنه عمد إلى رسم ما سماه : صورة الشرق الحيواني .

وكان أن استقى من هذه الترجمة باحث آخر هو المستشرق ( لين ) أرضية كتابه ( وكذلك ألف كيرون ) عن المجتمع الإسلامي اعتماداً على هذه الصورة وقال ريتشارد بيرتون ( الانجليزى ) في مقدمة ترجمته لألف ليلة انه إنما أراد منها أن يتعرف مواطنوه بما فيه الكفاية على طباع المسلمين وعاداتهم وأخلاقهم ليكون لديهم الحنكة الضرورية لحكم المسلمين الواقعين ضمن امبراطوريتهم .

وقد أخطأ هذا المستشرق في تقديم هذه الصورة للمستعمرين لأنها لا تمثل المسلمين والعرب من قريب أو بعيد ، ولقد أخطأ المستعمرون في الاعتماد عليها كأساس لمعرفة أخلاق المجتمع الإسلامي المختلف عن ذلك اختلافاً كبيراً .

## شمائل المصريين المحدثين

من أسوأ الكتب التي وضعت للطن من قدر المصريين والعرب والمسلمين ومن قدر حضارتهم ومجتمعاتهم ومهمتهم الأساسية هذا الكتاب الذي ألفه المستشرق ( ادوارد ولیم لین ) وقصد فيه إلى التقاط كل ما يتعلق بالعادات والخرافات والاساطير ومحاولة تانيقها في صورة زائفة يراد بها تقديم صورة للمجتمع المصري ، وهي صورة ليس فيها شيء من الحق أو الانصاف وليس فيها أى قدر للصدق أو التحقيق العلمى . وكان إدوارد لین قد قدم إلى مصر عام ١٩٢٥ لدراسة آثار المصريين القدماء ، واتخذ له منزلا في بعض الاحياء الشعبية وادعى الاسلام وأطلق على نفسه اسم منصور افندى ولبس ملابس الأتراك ، وبذلك أحاط نفسه بجو من الثقة مكنه من خداع الوطنيين وتحقيق هدفه في تجميع خيوط وهمية نسبها إلى الإسلام فقد أخذ يتصل بالطرق الصوفية وموالد الأولياء ويجمع ما يردده العامة من أحاديث الخرافات والبدع ، ثم صنع من هذا كله دراسة في جزئين كبيرين كانت كسبا ضخما لدوائر الاستشراق في أوروبا إذ بلغ الاهتمام بها قدرا كبيرا وتناقلتها اللغات المختلفة واعتبرت لدى المبشرين والمستشرقين مرجعا يعتمدون عليه وقد عنيت دائرة المعارف الإسلامية إلى أنشأها منه مصبو الاستشراق بهذا الكتاب واعتبرته مرجعا ، تمثل منه هذه الخرافات على أنها حقائق . وقد جرى هذا المجرى من بعد ( أحمد أمين ) حين لبى نداء هؤلاء العتاة في إنشاء قاموس للعادات والتقاليد الشعبية ونقل كثيرا مما كتبه ( لین ) وجرى بهراء فكان ذلك من الأمور الخطيرة البعيدة عن التحقيق العلمى .

## الآغاني

(الآغاني) كتاب أدبي في بضعة وعشرين جزءاً وضعه أبو الفرج الأصفهاني ليسامر به الأمراء والفارغين من المترفين في أسفار الليل، ولم يقصد به إلى العلم أو التزبُّع وكان الأصفهاني في نفسه إنساناً رافضاً لمجتمع المسلمين والعرب وله ولاء بالمولد وبالفكر جعياً إلى خصوم المسلمين والباطنية والرافضة وغيرهم، ولم يكن عمله هذا إلا نوعاً من الحرب العنيفة التي شنتها الشعوبية على الإسلام والمسلمين والعرب رغبة في هدم فكرهم كوسيلة إلى هدم مجتمعاتهم.

واقصد حرص التغريب وأصحاب نظرية النقد الأدبي الغربي الوافدة على إثناء الأضواء الساطعة على هذا الكتاب وإحيائه واعتباره مرجعاً في الدراسات الأدبية ومصدراً لتصوير المجتمع الإسلامي وكان الدكتور طه حسين جزاء الله أبرز من دعوا إلى ذلك وألحوا عليه فقد عمد إلى الآغاني نفسها فاستصدر إغتماداً على قصصها أحكاماً زائفة على مجتمع المسلمين وتاريخهم أراد بهما المساهمة في عملية التغريب الضخمة التي كانت تجري في الثلاثينات من هذا القرون.

غير أن أقل مراجعة لسيرة الأصفهاني تكشف عن أنه كان من الشعوبيين وقد عرف بالتحايل والاغراق، وأثبت كثير من الباحثين والمؤرخين أنه لم يكن مؤرخاً.

وأكدوا أن كتابه لا يصلح لأن يكون مادة تاريخ، وإنما هو جماع لقصص وجدما في الكتب والأسواق وأراد بها أن يسجل للآغاني والمغنين وهو جانب واحد من حياة المجتمع الإسلامي الحافل بالجوانب السياسية والاجتماعية والفقهية والصوفية. وقد شهد عليه الكثير من معاصريه ومؤرخيه بالانحراف ودمغه المؤرخ البوسقي بشهادة تحطمه في نظر العلماء كمصدر موثوق به إذ قال: «أن أبا الفرج أ كذب الناس لأنه كان يدخل سوق الوارقين وهي عادة الدكاكين وهي مملوءة بالكذب فيشتري منها شيئاً كثيراً من الصحف ويحملها إلى بيته ثم تكون رواياته كلها منها» وذكر عنه صاحب معجم الأدباء (ج ٥ ص ١٥٣) قوله:



(كان شأنه في معايرة الخروحب الفلجان ووصف النساء شأن الشعراء  
والأدباء الذين كانوا في عصره أو قبله ، حيث يقدم دهاقين الخنازين وجلهم من  
النصارى واليهود والصائبين والمجوس ، وقد عرف بمعاقرته للخمر ولم تكن له  
عناية بتنظيف جسمه وثيابه ) .

وقال عنه الصابي في كتابه الذي ألفه في أخبار الوزير المهلبى ( وكان أبو  
الفرج الاصفهاني وسخا قدرأ لم يغسل له ثوباً منذ فصله إلى أن قطعه وكان الناس  
يُحذرون لسانه ويتقون هجاءه ، ويهدون عن مجالسته ومعاشرته على كل صعب  
من أمره لأنه كان وسخاً في نفسه وثوبه ونعله ) .

وحكى القاضى أبو على المحسنى التنوخى في كتابه نشوار المحاضرة :  
« إن أبا الفرج كان اكلولانها وكان إذا أكل الطعام وثقل على معدته  
تناول خمسة دراهم فلفلامدوقاً ولا يؤذيه ولا تدمع له عيناه وبعد ساعة أو ساعتين  
يقصد » .

ولست أدري كيف يصلح مثل هذا الكاتب مرجعاً في نظر الباحثين ، أو يمكن  
أن يؤتمن على رأى أو قول ، ولقد عودتنا مناهج الفكر العربى الاسلامى أن  
تنظر إلى الكاتب قبل أن تنظر إلى كتابه فان وجدناه أميناً كريماً موضع  
تقدير الناس بالصدق والحق قبلنا منه وإلا رفضنا ما يقدمه ولو كان صادقاً في  
بعضه - وقد أشار الدكتور زكى مبارك في كتابه (النثر الفنى في القرن الرابع  
المجهرى) إلى مكانة الاصفهاني وكتابته الاغانى في بحث مطول يجتزى منه قوله :  
( وشهره الاصفهاني وكتابته مستفيضه وإنما أريد هنا أن أنص على ناحيتين في  
الاصفهاني وكتابته لم أجد من تنبه لهما من الباحثين . ولهاتين الناحيتين أهمية  
عظيمة في فهم الحياة الادبية وسيكون لهما أثر عظيم في دعوة المؤلفين إلى  
الاحتياط حين يرجعون إلى كتاب الاغانى يلتمسون الشواهد في الأدب  
والتاريخ ( الناحية الأولى ) خاصة بالاصهاني ، تلك الناحية هي خلقه الشخصى  
فقد كان الاصفهاني مسرفاً أشنع الاسراف في اللذات والشهوات ، وقد كان لهذا  
الجانب في تكوينه الخلق أثر ظاهر في كتابته ، فان كتاب الاغانى أحفل كتاب  
بأخبار الخلاعة والمجون ، وهو حين يمرض للكتاب و"شعراء يهتم بسرد

الجوانب الضعيفة في أخلاقهم الشخصية ويهمل الجوانب الجدية إهمالاً ظاهراً ، يدل على أنه كان قليل العناية بتدوين أخبار الجدة والرزانة والتجمل والاعتدال وهذه الناحية من الاصبهانى أفسدت كثيراً من آراء المؤلفين الذين اعتمدوا عليه ونظرة فيما كتبه جرجى زيدان في كتابه تاريخ آداب اللغة العربية وما كتبه الدكتور طه حسين في حديث الاربعاء تكفى للاقتناع بأن الاعتماد على كتاب الاغانى جر هذين الباحثين إلى الخط من أخلاق الجماهير في عصر الدولة العباسية وحملها على الحكم بأن ذلك العصر كان عصر فسق وشك وبجون .

ولا شك أن اكثار الاصبهانى من تتبع سقطات الشعراء وتلبس هفوات الكتاب جعل في كتابه جوامشعياً بأوزار الائتم والغواية وأذاق في الناس فكرة نحاطة هي اقتران العبقرية بالهزق والطيش .

( أما الناحية الثانية ) فهي خاصة بكتاب الاغانى : تلك الناحية هي نظم ذلك الكتاب ففي مقدمته عبارات صريحة في الدلالة على أن مؤلفة قصر اهتمامه أو كاد على أمتاع النفوس والقلوب والاذواق ، فهو كتاب أدب لا كتاب تاريخ ، وأريد بذلك أن المؤلف أراد أن يقدم لأهل عصره أكبر مجموعة تغذى بها الأندية وبجامع السمر ومواطن اللهو وأنه ليحدثنا في المقدمة بأنه أتى في كل فصل من كتابه بفقر إذا تأملها قارئها لم يزل متفلاً بها من فائدة إلى مثلها ، ومتصرفاً فيها بين جد وهزل . وأخبرنا بعد ذلك بأنه اهتم بالفناء الذى عرف له قصة تستفاد وحديثاً يستحسن وعلل ذلك بقوله : إذ ليس لكل الاغانى خبر نعرفه .

وقال زكى مبارك : والخطر كل الخطر أن يطمئن الباحثون إلى أن لروايات الاغانى قيمة تاريخية وأن يبنوا على أساسها ما يشيرون من حقائق التاريخ ولا سيما وصاحب الاغانى يصارحنا بأن : في طباع البشر الانتقال من شيء إلى شيء والاستراحة من مجهود إلى مستجد .

وهكذا تبدو صورة كتاب الاغانى على حقيقتها أمام الباحثين ،

## البيان والتبيين

واجه كتاب البيان والتبيين للماحظ حملة عاصفة من النقد والتجريح من كاتبين شهيرين هما سلامة موسى وطه حسين بينما خطى بعض كتب الماحظ بتقدير هذين الكاتبين . وهذا موضع الغرابة التي تكشف عنها عناصر هذا الكتاب .

• فنقطة الانطلاق في هذا الكتاب هو مواجهة دعاة الشعوية وتوضيح ما للعرب من مزايا في لغتهم وبياناتهم وبدييتهم وسرعة خاطرهم وذلك أن المفاضلة بين العرب وسواهم في هذا الباب كانت من المسائل التي عني بها الشعويون وخصومهم وخاصة في مجال الخطابة ، فقد دافع الماحظ عن العرب وبياناتهم وتسكلم عن الخطابة عندهم والكتابة وعن شعرهم ولجاتهم ونواذرهم ومناظرانهم ورويتهم وبدييتهم وذكر عدداً من شعرائهم وخطبائهم وكتابهم وأشار بما جيل عليه العرب من بلاغة وقوة عارضة في بواديهم وخواطرهم ويشمل هذا الجزء الذي أزعج دعاة التغريب ( وهو الجزء الثالث ) الذي أطلق عليه : الشعوية ومن يتحلى باسم السوية وقد وصفهم بذلك لأن ظاهر دعوتهم كانت المطالبة بالتسوية بين العنصر العربي والعناصر الأخرى بعد أن بين آراء الشعوية ومزاعمهم ورد عليها فبين أولاً أن اليونانيين إنما كانوا أصحاب فلسفة ومنطق لا أصحاب خطابة أن الهنود كانوا أصحاب حكمة وأدب وأنه لم يشتهر بالخطابة حقاً إلا العرب والفرس ثم فرق بين خطابة الفرس وخطابة العرب .

وقال أن كل كلام للفرس وكل معنى للعجم إنما هو عن حول فكره وعن اجتهد وعمله ، وكل شيء للعرب إنما هو بدئية وأرتجال وكأنه الهام وليست هناك معاناة . .

## المضنون به على غير أهله

نسب إلى الامام الغزالي كتاب يطلق عليه اسم « المضنون به على غير أهله » ، وقد كذبت المصادر المختلفة هذه النسبة وفي مقدمتها ما ذكره السيد المرتضى الزبيدي في شرح الاحياء قال : اعلم أنه عزى إلى الشيخ كتب منها ( المضنون به على غير أهله ) ، قال ابن السبكي : ذكر ابن الصلاح أنه منسوب إليه ، وقال معاذ الله أن يكون له . وبين سبب كونه محتلفا عليه والامر كما قال وقد اشتمل الكتاب المكذوب على الغزالي على التصريح يقدم العلم ونفى علم القديم بالجزئيات وفي ( المسامرة ) لمحى الدين عربى : أن هذا الكتاب من تأليف على بن خليل السبكي وكذا صرح صاحب تحفة الارشاد بأنه موضوع عليه .

## الإمامة والسياسة

ترود أن كتاب الإمامة والسياسة هو من تألف ابن قتيبة وهو من  
الآخطاء الشائعة ، التي نقلها الوارقون حين طبعوا مثل هذا الكتاب ويؤكد خطأهم  
عدد من الثقات المحققين ويقول السيد محب الدين الخطيب رحمه الله :

« كتاب الإمامة والسياسة : لقيط مجهول النسب ، وابن قتيبة يرى منه ولم  
يذكر له مترجموه كتاباً بهذا الاسم . وأسلوب القول فيه يخالف أسلوب ابن  
قتيبة في كتاب ( المعارف ) وفي سائر كتبه ، والكتاب يشعر بأن مؤلفه كان بدمشق  
وابن قتيبة لم يخرج من بغداد إلا إلى الدينور ، والمؤلف يروى عن أبي ليلى ،  
وأبو ليلى كان قاصياً بالكوفة قبل مولد ابن قتيبة بنحو مائة وعشرين سنة .  
ويذكر فتح موسى بن نصير لمراكش وهذه المدينة شيدها يوسف بن تاشفين بعد  
ابن قتيبة بمائة سنة . فكتاب الإمامة والسياسة لا يجوز لمؤلف أن يجعله من  
مصادره . »

## المنجد

قاموس المنجد : يشتمل على قاموسين : قاموس للالفاظ اللغوية ، وهذا ليس موضع المناقشة الآن ، وقاموس أطلق عليه ( معجم الآداب ) لإعداد فردنيان توتل وهو القاموس الحافل بالأخطاء والشبهات ، والذي عرض له عديد من الباحثين ، وكشفوا عن أخطائه وفي مقدمتهم العلامة عبد الله كنون الذي نشر في مجلة دعوة الحق المغربية أكثر من عشر فصول عنه تضم أكثر من اربعمائة خطأ شائع : تاريخي وعلمي ، وقد قرأت أولى مخططة المنجد في مجلة الفتح عام ١٩٢٦ و ١٩٢٧ وقد أحصى عن الستار فراج في مجلة العربي للمنجد مائة خطأ تاريخي ولغوي وجغرافي من الأخطاء الصارخة ( مما يجب أن يحذف أو يصحح أو يصاغ بطريقة تبرئة من الشك والابهام ) .

وأشار إلى أن المؤلف قد اعتمد على دائرة المعارف الاسلامية التي وضعها كبار المستشرقين ، وعلى كتاب التمدن الاسلامي لجرجي زيدان وعلى كتاب بروكلمان وكلها متقوضة .

وأسوأ ما في القاموس مادة محمد ، وهي في عباراتها تنضح بالتمصب والحقذ وفساد المنهج والبعد عن العلمية والانصاف .

يقول : محمد بنو المسلمين من بني هاشم تزوج من خديجة ورزق منها فاطمة دعا الأعراب إلى الاسلام وانتصر على الملكيين في بدر ولكنهم غلبوه في أحد غاربهم في حنين ودخل مكة ظافراً .

ولاشك أن قاموس المنجد من أخطر القواميس التي في كل الأيدي والمحملة بالأخطاء وخاصة فيما تحاول أن تدخله إلى الالفاظ العربية من مصطلحات كنيسية وطائفية ولاهوتية وهي ألفاظ ليست عربية أصلاً فضلاً عن أنه يفسرها تفسيراً لا يتفق مع مفاهيم الاسلام .

## دائرة المعارف الإسلامية

وضعت دائرة المعارف باللغات الأوروبية في دوائر الاستعمار والاستشراق والتبشير بهدف أساسي هو أن تكون مادة في أيدي الخبراء والمبعوثين الذين ترسلهم دوائر وزارات الاستعمار إلى عالم الاسلام والعروبة ، ولذلك فهي تنضج بالحقد والتعصب والشكوك والاضطراب وقد كتبها جهابذة التبشير والاستشراق وحملوها كل خصوماتهم وأحقادهم .

وقد لفت الباحثون المنصفون النظر إلى أخطاء دائرة المعارف عندما ترجمها نفر من الكتاب في اللاتينات فقد تصدى لهم أكثر من باحث منصف يعارض خطتهم ويطلبهم بتصحيح تلك الأخطاء في صلب البحث ولكنهم اكتفوا بالتعليق على هذه التشبهات في الهوامش ففوتوا كثيرا من الحقائق على القارئ المجمل الذي لا يعنى بالرجوع الى الهامش . وقد أشار العلامة فريد وجدى الى ظاهرة خطيرة في هذه الموسوعة وهي ( سيطرة البدع الدخيلة في الدين الاسلامي على مواد الموسوعة باستفاضة مثيرة ، حتى ليظن الباحث أنها من أصول الاسلام ) وقد أمعن مؤلفوا الدائرة في تسجيلها وشرحها كأنها حقائق مقررة ، وبينما تسيطر هذه البدع على أنها من المعارف الاسلامية فان الاسلام يبرأ منها وما جاء الا لمخاربتها . وأشار العلامة وجدى الى القصد المتعمد في الجمع بين أساطير البدع وحقائق الشريعة ، وقال أن أكبر كتاب الدائرة قسس مبشرون يهيمون أن يتحيفوا الاسلام لا أن ينصفوه وقليل منهم من يتصف بالشجاعة العلمية فيتغلب على عناصر التعصب وليس كتاب الدائرة وحدهم من النمط بل جل المشتغلين بالدراسات الاسلامية في الغرب لا يتجاوزون صناعة التبشير ومنهم « توماس بارتك ميوز » صاحب قاموس الاسلام وهو مرجع متبادل لا تسكاد تخلو منه مكتبة أبرية ، وقد قضى القس المؤلف في وظيفة التبشيرية ببلاد الهند بين المسلمين والبرهمنين واليوزيين أكثر من عشرين سنة ، وجمع ونشر معجمه هداية للموظفين الانجليز الذين يتولون الحكم ببلاد الهند في أواخر القرن الماضي ومساعدة للمبشرين بالمسيحية من يحاولون علماء الاسلام والباحثين في الأديان المقارنة .

ومن المصادر التي اعتمدتها دائرة المعارف (كتاب شمائل المصريين) الذي كتبه المستشرق إدورد وليم لين عام ١٨٢٥ عن المصريين وقد أصبح هذا الكتاب أحد المراجع الهامة لمؤلفي دائرة المعارف ينقلون عنه الخرافات وكأنها حقائق . وقال أحمد أمين : إن نظرة المستشرقين في دائرة المعارف هي نظرة خاصة يختلف عن النظرة التي ينظرها المسلمون وبعضهم كان متعصباً يمزج تمصبه ببحث كما فعل الآب لا منس في بعض ما كتب .

وقال العلامة تقي الدين الهالبي : أن في دائرة المعارف الإسلامية أخطاء ودسائس ناشئة عن التعصب الأوربي ، وفي بروكلمان مثل ذلك وأفسح ، وقد وجه دكتور محمد يوسف زايد النقد إلى دائرة معارف البستاني فقال . إن الدائرة بشكها الحاضر لم تحقق ماهدف إليه ناشروها وما ينتظره منها القارئ العادي الذي لا يستطيع أن يطمئن إلى دقة معلوماتها كما أنه لا يجد في كثير من موادها الترابط بين الأجزاء الذي يسبغ على المادة وحدتها كما أنه أيضاً لا يجد المراجع الضرورية لبحثه فضلاً عن المتخصص الذي لا تروى مواد الدائرة غلته بطبيعة الحال .



## يقظة العرب

يقظة العرب لجورج أنطونيوس من الكتب الخطيرة التي يجب الحذر الشديد في الاعتماد عليها في كتابة تاريخ العرب والاسلام الحديث ، وقد أشار بعض المستشرقين ودعاة التغريب بالاعتماد عليه فأفسد كثيرا من أبحاث الباحثين، وأن المراجع لوقائع حياة جورج أنطونيوس لا يدعش من أن يكون كتابه خدمة للتيارات الغريبة وتركيزاً على الوقائع المشبوهة فهو من مواليد دير القمر ببلبنان ومن خريجي كلية فيكتوريا بالإسكندرية ومن رواد جامعة كبرديج ، وكان متلاحقاً بدائرة المعارف في حكومة الاحتلال البريطاني في فلسطين، شأنه في هذا شأن نجيب غازوري ، الذي يركزون على كتابه ( يقظة الامة العربية ) .

وقد غالى أنطونيوس في تصوير الدور الذي لعبته الجمعية العلمية السورية التي أنشأها النفوذ الاستعماري داخل الكلية السورية الانجليزية والذي عده عاملاً أساسياً في نشوء القومية العربية بينما كان الانصاف يقتضيه أن يعتبر هذه الجمعية السرية هي أول عامل محرك لدفع اللبنانيين إلى الانتقال من الدولة العثمانية والمطالبة بحكم خاص تحت نفوذ الدول الاجنبية وخاصة فرنسا ، وأن رفع لواء العرب في هذا الوقت لم يكن من أجل وحدة العرب بل من أجل الانفصال عن دولة الخلافة .

وأبرز أخطائه الناشئة عن التعصب موقفه من السلطان عبد الحميد واتهامه بما هو منه براء ، والتسكع لموقفه من الصهيونية ومن هرزل وهو من أشرف المواقف ومن العسير أن يطلب من مثل جورج أنطونيوس في ثقافته وعقائده الدينية والفكرية أن ينصف الدولة العثمانية أو السلطان عبد الحميد ، ولقد كشفت الوثائق الكثيرة التي ظهرت في السنوات الأخيرة من الحقائق ما يجعل الكثير مما ذهب إليه أنطونيوس زائفاً وخاطئاً وأبرز أخطائه أن اعتبر ناصف اليازجي وبطرس البستاني مبدأ يقظة العربية فضلاً عن إساءته إلى عبد الرحمن السكاكيني ، من أجل هذا كله أصبح كتاب يقظة العرب من الكتب التي تقرأ بحذر ولا تؤخذ على أهمها من المصادر العلمية .

## الموسوعة العربية الميسرة

وجهت إلى الموسوعة العربية الميسرة نقداً شتى وجملة ما قيل عنها أنها دائرة معارف أجنبية (هي في الواقع دائرة معارف كولومبيا) قد ترجمت إلى اللغة العربية دون تقدير للتاريخ العربي الإسلامي وحقائقه ودون تقدير حاجة الباحث العربي، فهي لا تحمل مطلقاً أى وجهة نظر عربية لما تناولته من موضوعات، وهي تتنكر أساساً للسنة الهجرية والتاريخ الهجرى في كل ما توردته من مواد وخاصة فيما يتعلق بعصر النبي والخلفاء.

فاذا عرضنا للواد الإسلامية وجدناها ضعيفة جداً وفاترة ومدرسية إلى أبعد حد وليس بها من السعة والعمق ما يجده من اللواد التي لا حاجة للباحث العربي بها هذا بالإضافة إلى غلبة طابع السيطرة الصهيونية على المواد وخاصة فيما يتعلق بفلسطين وتاريخ الأديان.

ومن المقارنة بين مادة مسجد ومادة مسرح تجد أن المسجد قد كتب عنه خمسة عشر سطرأ بينما كتب عن المسرح ١٧٠ سطرأ.

وتصويرها لمادة شريعة، ومادة صلاة ومادة صوم هو تصوير بدائي وساذج.

وتضم الموسوعة بعض المواد التي اعتمد فيها على الاسرائيليات والروايات التي تضمنها الكتب غير العلمية كإسرائيل. وأسوأ ما في الموسوعة إنها تحمل وجهة نظر اليهودية في مختلف المسائل. فهي تحاول أن تعرض على الباحث العربي مفهوماً خطيراً بالنسبة لفلسطين لا يتفق مع حقائق التاريخ.

ومن عجب أن باب الأديان والعقائد قد حرر تحت إشراف إبراهيم مذكور وأحمد فؤاد الأهواني وغيرهم. وأن ثمة من الكتاب المسلمين والعرب ذكرت أسمائهم في المقدمة كحررين لفضول الموسوعة.

## تحرير المرأة

كان لكتاب تحرير المرأة الذي كتبه قاسم أمين ولا يزال دوى كبير وشهرة علمية في مختلف دوائر الفكر والسياسة ، وقد اعتبره الكثيرون نقطة بدأ النهضة المرأة المصرية الحديثة غير أنه لفهم مضامين هذا الكتاب يجب معرفة البواعث والظروف التي أحاطت بإصداره ، وهي كتاب الدوق داركون الذي كتبه عن مصر ورد عليه قاسم أمين وصالون الاميرة نازلى هانم فاضل الذى كان يرتاده محمد عبده وسعد زغلول ، تحت رعاية اللورد كرومر وفي ظل مخططات النفوذ الاستعماري وقدروى فارس نمر صاحب جريدة المقطم عام ١٩٢٥ ذكرياته في هذا الصدد فأشار إلى بواعث تأليف كتاب تحرير المرأة وكيف كان قاسم أمين يشير في رده على الكاتب الفرنسي داركور مهاجماً الحركة النسائية التي تزعمها هذه الاميرة وكيف كلف فارس نمر أن ينتقد ما كتبه قاسم خاصاً بالمرأة ، ثم اقترح الشيخ محمد عبده أن يتقدم قاسم إلى صالون نازلى للاعتذار عن الطعن الذي أورده في كتابه وما رآه في معارضة السفور على النحو الذي كانت تدعو إليه الاميرة في مجتمعاتها ، وكان أن اتفق على أن يكتب قاسم كتاباً يرضى الاميرة ، وكان إلى جانبه في هذا الرأي محمد المويلى وسعد زغلول ومحمد عبده ، وقد أشارت مصادر كثيرة إلى أن الشيخ عبده كتب بعض مواد هذا الكتاب ، وقد أرادوا بذلك ترضية الاميرة وكسب ودها حرصاً على حمايتها لهم في ظل النفوذ البريطاني . ومن هنا نرى أن قاسم أمين لم يكن في الحقيقة منطلقاً من هدف صحيح ، هذا فضلاً عما أثبتته الوثائق من أنه رجع على أغلب آرائه في أيامه الاخيرة وقال أنه أخطأ وتسرع في الدعوة إلى السفور في مجتمع لم يستكمل بعد عوامل النضوج (١) .

---

(١) راجع كتابنا ( الفكر العربي المعاصر في معركة التغريب ) .

## حديث الأربعاء

كان كتاب ( حديث الأربعاء ) واحداً من كتب الدكتور طه حسين التي استهدفت غرضاً معيناً في مجال إثارة الشبهات والتشكيك في التاريخ والأدب العربيين : وكانت فصول حديث الأربعاء تنشر في جريدة السياسة الأسبوعية في يوم الأربعاء من كل أسبوع بينما ينشر الدكتور قصصاً فرنسية لإباحية مترجمة في يوم الاثنين . وقد أثار هذا بعض المراجعات حتى قال الأستاذ إبراهيم عبد القادر المازني : لفتني من الدكتور في كتابيه ( حديث الأربعاء ) وهو عما وضع ) وقصص تمثيلية ( وهي ملخصة ) إن له ولعاً بتمقيب الزناة والعشاق والفجر والزنادقة ، وقد ينكر القارئ أنه أدخل القصص التمثيلية في هذا الحساب ويقول أنها ليست له وإن كل ما له فيها أنه ساق خلاصة وجيزة لها .

وهذا الاعتراض مدفوع لأن الاختيار يدل على عقل المرء ويشي بهواه ، كالابتكار سواء بسواء ، وإنما يختار المرء ما يوافقه ويرضاه ويحمّله عليه اتجاه فكره حتى لا يسمعه أن يتخطاه .

وما هو ذا حديث الأربعاء ماذا فيه : كلام طويل عن العصر العباسي وللصبر العباسي وجوه شتى وفي وسعك أن تكتب عنه من عدة جهات وأن تتناول فلسفته أو علمه أو شعره وجده وهزله .

ولكن الدكتور طه يدعم كل جانب سوى الهزل والمجون ويروح يزعم أنه عصر مجنون ودعارة وإباحة متغلغلة إلى كل فرع من فروع الحياة ، فلماذا لا ية علة يغضى عن الجوانب الأخرى لذلك العهد . بل قل لماذا لا يرى غير الماجنين والخلّيعين صورة منه ، ولست أفترى عليه فانه القائل في الصفحة السابعة والعشرين من كتابه :

« ادرس هذا العصر درساً جيداً واقراً بنوع خاص شعر الشعراء ، وما كان يجري في مجامعهم من حديث تدهشك ظاهرة غريبة ، هي ظاهرة الإباحة

والاسراف في حرية الفكر وكثرة الازدراء لكل قديم سواء أكان هذا القديم ديناً أم خلقاً أم سياسة أم أدباً .

ولم يكف الدكتور أن يبعد إلى طائفة معينة من شعراء العباسيين وأن يرسم من سيرتهم صورة يزعمها صورة العصر بل هو ينسكركم أن غير هؤلاء من العلماء أو الشعراء يمثل العصر العباسي، ثم يمضى ويورد سيرة أبونواس ومن إليه مثل الوليد بن يزيد ومطيع بن أبياس وحامد عجرد والحسين بن الضحاك، ووالبة ابن الحباب، وإبان، و مروان بن حفصة ويقول في بيان الحكمة من ذلك أنه لا يريد أن يكتفى بالقول بأن القرن الثاني للهجرة على كثرة من عاش فيه من الفقهاء والزهاد وأصحاب الشك والمشغوفين بالخير إنما كان عصر شك ومحويه وعصر افتتان وإلحاد عن الأخلاق المألوفة والعادات الموروثة والدين أيضاً . وإنما أريد أن أشخص حياة هؤلاء الشاكين المسرفين في المجون تشخيصاً لا يحيل إلى الشك فيها سيلاً ، ثم أريد أن أبين أن هؤلاء الشاكين المسرفين في المجون ، وإن سخط عليهم نفر قليل من الفقهاء وأصحاب الزهد فقد كان الناس جميعاً على اختلاف طبقاتهم وأهوائهم ومنازعهم يحبونهم .

أقول . إذا كان الأمر على هذا النحو فليس عندى شك في أن هذا العصر الذى عاش فيه هؤلاء الشعراء وهؤلاء الناس الذين كانوا يعجبون بهم ، لم يكن عصر إيمان و يقين في جملته وإنما كان عصر شك واستخفاف وعصر مجون واستهتار باللذات ( ص ١٨٤ ) .

يقول المازنى :

« وحسبنا هذه المقتطفات ، ونكتفى بملاحظة واحدة هي أنه ما من عصر يمكن أن يكون له جانب واحد كما يريد أن يصور لنا العصر العباسي ، وأنه لم يخل زمن قديم أو حديث من مثل ما يضيف الدكتور ، ولو أن كاتبنا تناول عصرنا الحاضر لالتمى الكلام ذا سعة على نحو ما فعل الدكتور ، ولكنه لا يكون صادقاً ولا دقيقاً . إذا ذهب يزعم أن حياتنا الحاضرة قائمة على الفسق والفجور

والدعارة والإباحة والزندقة والاحاد ، من أجل أن الشعراء والكتاب -  
وأنا منهم ولا غر - ذكروا الحمر وتغزلوا وتشبيها وأن الناس يتفككون في  
بجالسهم ويرفون عن نفوسهم بالتلوى والمجانة أحياناً وأن ذلك يعجب الفارغين  
ويروقههم ، ا. ا. هـ

وقد واجه ما جاء في كتاب حديث الأربعماء كتاب كثيرون ودحضوا زيف  
الرأى الذى وصل إليه الدكتور بإتهام المصر كله ، وما قاله أنطون كرم في بحثه  
عن الأدب العربى في آثار الباحثين قوله (وكان من جرأته ( أى الدكتور طه )  
إن حلت الاستنتاجات العامة محل اللطائف المستدقة والقوانين الشاملة في موضع  
الخصائص الفردية وخالف عرض الحقائق لون من التحدى الخطابى في الإثبات  
وقال : احتفظ المؤلف لنفسه أن يجمع بين الأنماط الثلاثة في دراسة هذا الشعر :  
التاريخى والذاتى والفنى ، وأنه يحاول الجمع بين أسلوب ( سانت يوف )  
( جول لومتر ) و ( تين ) فيجرب فيها جميعاً على غير استيفاء ، يتنحى الملامح  
ولا يتصلل إلى الدقائق فإذا به يخطئ طريق المؤرخ الحق في جلاء الشك وتحرى  
الحق الأخير ويخطئ طريق الذاتيين في تفكيك الذات المبدعة حين يقتصر منها  
على جوانب ، ،

كما تناول محمد غلاب وزكى مبارك هذا الاتجاه بالنقد وروده .

## الأخلاق عند الغزالي

بدأت الحملة على أعلام الفكر الاسلامي مبكرة من خلال اطروحات أوائل خريجي الجامعة المصرية ، وكان زكي مبارك قد تولى نقد فكر الامام الغزالي معتمداً على كل ما أورده خصوم الفكر الاسلامي عنه من شبهات وتخرصات لجمعهم في رسالته التي كانت موضعاً للنقد والمراجعة بعد مناقشتها علناً ، على أعمدة الصحف والمجلات ، وكان ذلك عام ١٩٢٤ وما تزال الحملة على الإمام الغزالي قائمة ومستمرة حتى هذه الأيام ، لا تتوقف ولا يحاول دعاة التفريب وقف المجرم على هذا الرجل الذي دحض قوائم الفلسفة اليونانية الإلالية وحطّمها وكشف عن زيفها وأوقف تيارها في الفكر الاسلامي حتى جاء ابن تيمية فأقام منطق القرآن بدلاً من منطق أرسطو وأكمل عملية تحرير الفكر الاسلامي من محاولة سحقه تحت برائن هذه الفلسفة الوثنية التي سيطرت على كثير من الاديان والعقائد .

وكانت أكبر الاتهامات التي ساقها زكي مبارك للغزالي أنه لم يشر في مؤلفاته صراحة كلها إلى موقف واحد في مواجهة الحملة الصليبية التي كانت قد استقرت في الشام في هذه الفترة ، ولكن المراجع لفكر الغزالي كله ولعمله الضخم ( أحياء علوم الدين ) يعلم في وضوح أن تحدى الحروب الصليبية هو الذي دفعه إلى إعادة صياغة الفكر الاسلامي من جديد في فهم متكامل وأن اسقطانة للحدث الضخم كان مصدر أروع معطياته وأعماله .

ولقد شاء الدكتور زكي مبارك أن يراجع نفسه من بعد ، وكانت فرصته لدراسة التصوف الاسلامي بعد أكثر من عشرين عاماً من اطروحاته عاملاً هاماً في أن يكتب مقاله المعروف الخطير في مجلة الرسالة عام ١٩٤٤ .

وإليك اعتنرو أيها الغزالي .

حيث أشار إلى مدى الخطأ الذي وقع فيه وما وصفه بالإنذفاع دون التحقق  
في موقفه مع الإمام الغزالي وأعلن عودته عن رأيه فيه وقد كان ضروريا وقد أعيد  
طبع كتاب الأخلاق عن الغزالي في السنوات الأخيرة أن يشار إلى هذه الواقعة  
في المقدمة لإقرار الحق وتأصيلا لمنطلقات وتطورات الكتاب بعد الأعمال الأولى  
المبكرة في حياتهم الأدبية .

---



## على هامش السيرة

فاجأ الدكتور طه حسين قراءة عام ١٩٣٣ بظهور مجلة الرسالة بنشر فصول جديدة تحت هذا العنوان شكلت من بعد كتاباً ضخماً في أجزاء ثلاثة أقبل عليه القراء في شغف بالغ فقد أغرام أسلوب طه حسين الموسيقى وحلم حلا على متابعته ، وكانت صيحات الإعجاب تختلط بصيحات الدهشة بعد أن أشيع أن الدكتور طه حسين رجل قد هاجم بعض القيم الإسلامية في كتابه الشعر الجاهلي :

وبذلك تحقق الهدف الذي قصد إليه الكاتب ونجح نجاحاً كبيراً في استعادة مكانته لدى العامة ، وفرح لذلك أيضاً الذين خططوا للعمل نفسه، من حيث أصبح في مقدور الدكتور طه حسين العودة إلى التأثير في مناهج التعليم والجامعة والثقافة جميعاً على النحو الذي جرى عليه من قبل .

غير أنه بالرغم من العمل البارع الذي استطاع به طه حسين أن يستعيد مكانته في نظر الجماهير بالكتابة عن الرسول ، وما حققه ذلك له من ثقة في مجالات العمل الذي قصد إليه أساساً فإن كتابة هامش السيرة كان عملاً خطيراً وبعيد الأثر في إثارة الشبهات حول سيرة الرسول الكريم فقد عمد طه حسين إلى عشرات من الأساطير الرائقة التي أبعدها المحققون عن سيرة الرسول وعللوا على تنقية هذه السيرة السكينة منها حتى تظل موثقة صحيحة ، فأعادها مرة أخرى إلى السيرة على نحو أشد خطراً مما كان ، فقد توسع طه حسين في هذه الأساطير وأضاف إليها وحذف منها واعترف نفسه صراحة بهذا العمل حين قال :

« أحب أن يعلم الناس أنني وسعت على نفسي في القصص ، ومنحتها من الحرية في رواية الأخبار واختراع الحديث ما لم أجد به بأساً إلا حين تتصل الأحاديث والأخبار بشخص النبي أو بنحو من الدين ،

ولقد هاجم الدكتور محمد حسين هيكل صاحب حياة محمد صديق طه حسين

على درب الحركة الأدبية بصفة عشر عاما هذا الاتجاه فكتب حصولا في ملحق السياسة (١) قال فيه :

« إن أدب الاسطورة هذا خصب ألوان الأدب خصب إن الكاتب والقارىء والقارىء يعرفان جميعا أن المادة التي يعالجان هي من نوع الاسطورة لاجناح عليهم إذا هم أطلقوا للخيال فيها العنان فابتدعوا من خيالهم ما يريد هذه الأساطير . رقة وعذوبة ، لا تحول بينهم وبين الأخذ بقول بعضهم ، أعذب الأدب أكذبه ، أى حائل .

ولذلك فأنى استمتع طه العذر إن خالفته فى اتخاذ النبي وعصره مادة لأدب الاسطورة .

وأشار إلى ما اتصل بسيرة النبي ساعة مولده ، وما يروى عما حدث له من إسرائليات روجت بعد النبي ، ثم قال : لهذا وما إليه يجب فى رأى أن لا يتخذ مادة لأدب الاسطورة فإنما يتخذ من التاريخ وأقاصيصه مادة لهذا الأدب ما اندثر ، أو ما هو فى حكم المندثر ، وما لا يترك صدقة أو كذبة فى حياة النفوس والعقائد أثرأ ما .

« والنبي وسيرته وعصره تتصل بحياة ملايين المسلمين جميعا ، بل هي فائدة من هذه الحياة ومن أعز قلذاتها عليها وأكبرها أثرأ فى توجيهها وطه يعلم أكثر مما أعلم أن هذه الاسرائليات إنما أريد بها إقامة أساطير ميثولوجية إسلامية لافساد العقول والقلوب من سواد الشعب ولتشكيك المستعيرين ودفع الزبية إلى نفوسهم فى شأن الاسلام ونبيه وقد كانت هذه غاية الاساطير التى وضعت فى الأدبان الأخرى . ومن أجل ذلك ارتفعت صيحة المصلحين الدينيين فى مختلف المصنوع لتطهير العقائد من هذه الأوهام ،

ومكنا انكشفت حقيقة خطيرة من وراء هامش السيرة أشد خطراً من الحقائق التى تكشف من وراء ( حديث الأربعاء ) و ( الشعر الجاهلى )

## في الأدب الجاهلي

أنار صدور كتاب الشعر الجاهلي عام ١٩٢٦ ضجة كبرى، ما اتصلت بالمشاعر للصفية من ناحية وبالصرع الحزبي من ناحية وكانت نقطة الخطر أن ما جاء فيه من آراء غير محققة مما ألقى عطف طلبة كلية الآداب ولقد قامت معركة أدبية كبرى حول الشعر الجاهلي واتهم الدكتور طه بالزيغ والاعاد ولما هو قدر الكتاب سارع الدكتور بإصدار كتاب بديل عنه تحت اسم ( في الأدب الجاهلي ) حذف منه بعض الفصول التي أثار التوردة عليه وأضاف فصولاً جديدة غير أن كتابه الجديد لم يكن أقل خطراً من سابقة فيما حاول أن يعرض له من شبهات وما تزال هذه الشبهات قائمة بقيام الكتاب وإعادة طبعه ونشره .

وقد أجمعت لجنة من الغمراوي والعوامري ومحمد بن عبد المطلب بأن الكتاب احتاج على العرب والمسلمين (١) الوحدة القومية والعاطفة الدينية (٢) والإيمان يتواتر القرآن وقرآناه وأنه وحى من عند الله (٣) كرامة السلف من أئمة الدين والفة (٤) كرامة الثقة بسيرة النبي في كل ما كتب (٥) إعتقاد صدق القرآن ونبيه من المكذب (٦) أضاع الوحدة الإسلامية (٧) حرمة الصحابة والتابعين (٨) أضاع تنزيه القرآن عن التهمك والازدراء (٩) أضاع تنزيه النبي وأسرته عن مواطن التهمك والاستخفاف (١٠) أضاع صدق القرآن والنبي فيما أخبر به عن ملكة إبراهيم (١١) أضاع براءة القرآن بما رماه به المستشرقون من أعدائه (١٢) أضاع للأدب العلم مع الله ورسوله .

وقال الدكتور عبد الحميد سعيد ان تغيير العنوان ( من الشعر الجاهلي إلى الأدب الجاهلي ) لم يغير شيئاً من روحه اللاذينية فإن السموم التي أراد الدكتور أن ينفثها في كتابه لا تزال ماثلة في كثير من فصوله ومباحثه .

وقد صدرت كتب كثيرة في الرد على طه حسين وكتابه أهمها ما كتبه فريد وجدي ( نقد كتاب الشعر الجاهلي ) .

ولطفي جمعة (الشهاب الراصد على الشعر الجاهلي) ، ومصطفى صادق الرافعي  
(تحت راية القرآن) .

غير أن الدكتور محمد أحمد الغمراوي أخرج كتابة في الرد على كتاب ( في  
الادب الجاهلي ) فقال أن صاحب الكتاب لم يتفحص بنقد النافدين على تصدّد  
تقدم وصوابه ، وقال أن عملية تنقية الكتاب بالحذف لم تقو على تخليصه من كل  
ما يحافى الدين وأن خلصته بما يظهر من كل ما يؤاخذ عليه القانون ، خلصته من  
الواضح الصريح الذي يمكن أن يمتد القلم إليه بالحذف ، أما المثبت في ثناياه  
من التهكم الخفي فذلك مالا يمكن أن يتناول بالحذف إلا أن يحذف أكثر  
الكتاب .

فالسكتاب وأن خلص من مثل ( للتوراة أن تحدثنا أن ابراهيم وإسماعيل  
والقرآن أن يحدثنا ومن قوله : ولامر ما شعروا بالحاجة إلى إثبات أن القرآن  
كتاب عربي مطابق في ألفاظه للغة العرب ) فإنه لم تخلص من مثل قوله :  
( وفي القرآن سورة تسمى سورة الجن أنبأت أن الجن استمعوا للنبي ، ومن مثل  
قوله : فلامر ما اقتنع الناس بأن النبي يجب أن يكون من صفوة بني هاشم ، كشرط هذه  
القطعة التي وصفها النيباء بسوء الادب في حق النبي ، وكان ينبغي أن تحذف ، :

وأبرز ما في كتاب الادب الجاهلي في رأينا ليس هو مناقشة هذا الشعر  
والبحث عن حقيقة أمره ولكن اتخاذه ستاراً ، لإذاعة هذه اراء الجريئة  
الخطيرة في الاسلام ورسوله وكتابه ومحاولة طرح هذا المنهج الخطير من مناهج  
البحث الذي يقول :

بفصل الادب عن الفكر الاسلامي ، ونسيان القومية والدين كشرط من  
شروط البحث العلمي . وقد رد الكثيرون ( كما رده فريد وجدي وغيره على  
هذه النقطة وكشفوا عن زيفها ) ويقول الدكتور الغمراوي في هذا الصدد :

إنه ذهب إلى أن فسيان القومية والدين شرط أساسى من شروط البحث العلمى فإن كان أراد بذلك أن على الباحث ألا يخفى بعض الحق أو يتراخى في إستيفاء الدليل العلمى بحبابة لقوميته أو لإرضاء لم عاطفته فقد أصاب ، أما إذا كان أراد أن الإنسان لا يستطيع أن يكون ذا عاطفة قومية أو دينية من غير أن يحاى أو يداجى في العلم فقد أخطأ ولم يصب، إن الإنسان يستطيع أن يراعى الدقة العلمية التامة في البحث وهو متذكر دينه كل التذكر ومعتقد صحه كل الاعتقاد ، غير مجوز على قرآنه خطأ أو على توراته . بل أن التدين الصحيح يزيد الباحث المخلص أن أمكن حرصاً على الحق واستمساكاً به إذا وصل إليه .

أن الباحث المتدين بين محبين في الحق مرة لدينه ومرة لعلمه ، ويبغض الباطل مرتين كذلك ولا خوف عليه مطلقاً أن يخفى بعض الحق أو يدلس في البحث بحبابة لدينه إذا ليس الحق يخاف على دينه ولكنه الباطل وهو يعلم أن دينه حق . يعلم ذلك علم مستيقن ويعلم أن العلم قائم على قاعدة استحالة التناقض بين أجزاء الحق ، فهو لا يخشى أبداً أن يكشف البحث الصحيح عن حقيقة تنافى دينه ولذلك يعضى في أبحاثه آمناً مطمئناً متبعاً أقوم الطرق في البحث والتفكير .

فالتدين الصحيح والعلم الصحيح يمكن اجتماعهما إذن وكثيراً ما اجتماعاً ، كما أن العاطفة العلمية القومية والعاطفة الدينية القوية لا يتعارضان بل يتضافران في خدمة العلم ، .



## الباب التاسع

تراجيم الاعلام





## لورنس

من الشخصيات التي أبرزها الاستعمار وأحاطها بهالة ضخمة من البطولة :  
 شخصية الضابط لورنس الذي وحّش بأنه ( ملك العرب غير المتوج ) والمغامر  
 الذي كشفت المؤلفات والأبحاث عن هويته الاستعمارية وولائه المزدوج  
 لبريطانيا والصهيونية العالمية ، وكيف خدع العرب وعایشهم في خيامهم ( أبان  
 الحرب العالمية الأولى ) على هدف واضح هو إسقاط الدولة العثمانية والإيقاع  
 بين العرب والترك ودفع العرب إلى الاقتتال من أجل إستيلاء فرنسا وبريطانيا  
 على أراضي فلسطين وسوريا ولبنان ، وقد كشف عن هذه الخدعة التي قام بها في  
 كتابه ( أعمدة الحكمة السبعة ) وفضح نفسه : حين قال : لو قبض للخطاء أن  
 يتصرفوا فان وعود بريطانيا للعرب لن تكون سوى حبر على ورق ، ولو كنت  
 رجلاً شريفاً وناصحاً أميناً لصارحتهم بذلك وسرحت جيوشهم وخبثتهم التضحية  
 بأرواحهم في سبيل أناس لا يحفظون لهم إلا ولا ذمة ، وقوله : أما الشرف  
 فقد فقدته يوم أكدت للعرب بأن بريطانيا ستحافظ على وعودهم ، وقوله :  
 لقد جازفت بخديعة العرب لاعتقادي أن مساعدتهم كانت ضرورية لانتصارنا  
 قليل الفن في الشرق ، ولا اعتقادي أن كسبنا للعرب مع الحث بوعودنا أفضل  
 من عدم الانتصار ، .

وقد كشف كثير من الباحثين الأجانب والعرب حقيقة لورنس : ذلك  
 الجاسوس البريطاني الذي جاء ( عام ١٩١١ ) قبل الحرب العالمية الأولى على هيئة  
 عضو في بعثة أثرية تدرس القلاع الصليبية وفي جبل تلقي دروساً في اللغة  
 العربية في مدرسة تبشيرية ، وقد ادعى لورنس أنه جاء ليكتشف الطريق التي  
 سلكها بنو إسرائيل بعد خروجهم من مصر بينما كان يعمل في الواقع على رسم  
 الخرائط للمنطقة لاستعمالها في حالة الحرب ، فلما أعلنت الثورة العربية في الحجاز  
 رافق فيصل مدة عامين ونصف في أثناء ذلك سار الجيش العربي من ميناء جدة  
 إلى البحر الأحمر حتى دخل دمشق منتصراً في ٣٠ سبتمبر ١٩١٨ .

ولتدع خدع لورنس العرب وعمل على تحطيم قوى الجيش العثماني ونسف

القطارات المحملة بالذخائر فلما انتهت المعركة وأعلن لورد النبي في القدس (الآن انتهت الحروب الصليبية) وأعلن غوروا دمشق في قوله: هاتين قد عدنا يا صلاح الدين، عبد لورنس إلى أعظم سرقة حين سلب قبر صلاح الدين إكليلا من الذهب كان قد قدمه له الامبراطور غليوم يوم زيارته لدمشق.

ولما نجحت خطط الاستعمار البريطاني، اتجه بجهوده لانجاح خطط الصهيونية وأقنع فيصل بالاجماع بويزمان زعيم اليهود.

لقد كان من أكبر أهداف لورنس وبريطانيا استبدال خليفة المسلمين في نظر مسلمي العالم بالشريف من نسل الرسول حاكم الحرمين وحامي الكعبة.

وكان لورنس يؤمن ان الثورة العربية هي تقطيع أوصال الدولة العثمانية وإيقاع الخلاف بين العرب والترك وفتح الطريق أمام الصهيونية إلى فلسطين.

وقد أهدى لورنس كتابه (أعمدة الحكمة السبعة) إلى ساره أرنسوهن الجاسوسة اليهودية إلى ألقى الأتراك القبض عليها في الناصرة أثناء الحرب في فلسطين فانتحرت حتى لا تبوح بسرها.

هذا هو لورنس الذي كانت الصحف تكتب عنه وتصوره على أنه منقاد العرب وملك العرب غير المتزوج والذي جعلوه صانع الثورة العربية وقائدها الفعلي:

وقد كشف كتابات البريطانيين أنفسهم عن لورنس أنه لم يكن جاسوساً لبريطانيا والصهيونية لحسب، ولكنه كان إلى ذلك إنساناً منحرفاً، من الوجهة النفسية والاجتماعية والخلقية وأن تاريخ حياته يحمل صورة من الشذوذ الجنسي غاية في الغرابة والعنف.

## فيليب حتى

كان (فيليب) حتى في كل كتاباته مثلاً للطابع اللبناني الخالص القائم على منطلق الفينيقية المنفصل عن العروبة والأمة العربية وقد أقام دراساته كلها على هذا النحو وأكد إقليمية لبنان وانفصاله ورسم له تاريخاً قديماً مستقلاً عن الأمة العربية مرتبطاً بأوروبا والغرب وكانت مؤلفاته عاملاً هاماً في تأكيد دعوى السكان الخاص والانفصال بين لبنان والعروبة وقد أضفى هذا الاتجاه وهذه العقيدة على مختلف آرائه التي ساقها في كتابه (العرب) وغيره طابعاً خاصاً ، بعيداً عن المنطلق العلمي والتفسير التاريخي المنصف الصريح الذي يرد الأمور إلى مصادرها فهو يتنكر تنكراً مطلقاً لأثر الإسلام في الأمة العربية ويضيف كل تاريخ الإسلام ونهضته وحضارته السامقة الممتدة على الزمن إلى العرب وحدهم ويحرم الكلام عنها تحت عنوان العرب في تجاهل واضح ، وانحراف عن المنهج العلمي القائم على تأكيد أثر المسلمين من أتراك وفرس وهنود وبربر وغيرهم . وبذلك فهو يمثل طابع المستشرقين ومنهجهم مكتوباً باللغة العربية ( وأن لم يكتب هو مؤلفاته أيضاً باللغة العربية ) بل كتبها بالإنجليزية ثم ترجمت وأحيطت بقدر كبير من التركيز والاهتمام رغبة في ترويع إرادته ونظرياته التفريرية الإقليمية البعيدة عن الإنصاف .

وقد راجع هذه الآراء الخاطئة كثير من الباحثين المنصفين وكشفوا عن وجة الزيف والخطأ فيها وفي مقدمه من شجبوا آرائه الدكتور عبد العزيز الدوري الذي كشف عن خطأ فيليب حتى المتعمد في القول بأن علم التاريخ عند العرب منقولات من المفاهيم الأجنبية والفارسية القديمة وقد أشار إلى هذا حين قال : تبين لي في تشأه علم التاريخ عند العرب « إن هذا العلم عربي النشأة والاصول وإن خطوطه الأساسية تحدت قبل الترجمة من الفارسية وخطأ قوله بأن المثال الذي احتذاه المؤلفون فارسياً عن الأصل على طريقه ( خدا ينامه ) مردود وقال نحن نعرف أن كتابه التاريخ الإسلامي إنما جرت على أساس السير وعلى أساس

الأسر الحاكمة قبل ترجمة الخديانامه وقال : لقد بدأ علم التاريخ عند العرب من أصول متصل بدراسة الحديث (المغازي) من جهة وبمتابعة الاهتمام الموروث من الجاهلية بالأيام كما ظهر لدى الاخباريين .

وقد أشار كثير من الباحثين إلى مدى تعصب فيليب حتى ، وبعده عن المنهج العلمي وأنه وقع تحت تأثير النظريات التي فرضها النقوذ الاستعماري على لبنان بعد الحرب العالمية الأولى والتي حاولت أن تخلق للبنان شخصية تاريخية منفصلة عن تاريخ العرب والاسلام ، وبدأت إقليمية في أنه مزق تاريخ العرب على حده ما أسماه تاريخ لبنان ، تاريخ سوريا ، تاريخ فلسطين .

## ساطع الحصرى

أحرز الأستاذ ساطع الحصرى شهرةً بعيدة المدى في مجال دراسة القومية وألف فيها عدداً من الكتب حتى أصبح مرجعاً أساسياً لنظرية القوميات القائمة على أساس اللغة والتاريخ . وقد استهدى الحصرى في أبحاثه بالنظرية الألمانية وبمناخ البلدان في حركته القومية التي رفع فيها شعار اللغة في مواجهة الدولة العثمانية لتحرير منها وكان أكبر أساتذته ما كس مولرو ونوردو وهما فيلسوفان يهوديان قصداً من وراء نظرية اللغة إلى إحياء القومية اليهودية وقد اعتبر ساطع الحصرى اللغة أساس القومية وعارض نظرية الأرض التي دعا إليها (أنطون سعادة) وقد جرى الجدل بينه وبين عدد من النظريات الأوربية في القومية دون أن يواجه الواقع العربي أو يفهم الفكر العربي وجذوره المستمدة من الفكر الإسلامي أسلاً ، هذه الجذور التي يجعل من المسير فصل اللغة عن الفكر واعتبارها مقوم منفصل ، أو الاعتماد على نظرية أن بقاء اللغة أو ضياع اللغة ، هو بقاء الأمة وضياعها ، ذلك أن الانطلاق من مفهوم الفكر الإسلامي نفسه يجعل مثل هذه الآراء على دوجة كبيرة من السذاجة والبساطة ، والواقع أن ساطع الحصرى كان غربي الفكر أساساً بل وغربي الذوق والنطق أيضاً ، وأن تركيبة الثقافية والاجتماعية يحول بينه وبين تبني نظرية عربية أصلية مستمدة من واقع الأمة العربية وكيانها وذاتها وقيمها التي لا تنفصل فيها اللغة والتاريخ عن الفكر نفسه وفي ذلك مغالطة أو جهل ، ذلك أن اللغة العربية ليست لغة أمة ولكنها لغة أمة وفكرها وأن تاريخ العرب لا ينفصل تاريخ الإسلام .

ذلك أن ساطع الحصرى نشأ في بيئة الإتحاديين الأتراك الذين كانوا اصنامهم للفكر الغربي وتشأوا في أحضان المنظمات الماسونية وحلوا لواء الإيمان بالانفصال بين الدين والمجتمع وفهموا الإسلام فهماً غربياً على أنه دين لا هو حق ، وعلى هذا الفهم الخطأ القاصر قامت نظرية ساطع الحصرى فهي نظرية مضطربة من أساسها ذلك لأن كلمة واحدة لو أنها صححت لكان موقف ساطع الحصرى من نظريته مختلف كل الاختلاف ، هذه الكلمة هي أن الدين الذي أقام عليه نظريته ليس هو

دين العرب والمسلمين ولكنه دين أوروبا ، ولذلك فإن كل التحديات التي تعالجها نظرية القومية الوافدة لا توجد أساساً في الفكر الإسلامي ، هذا فضلاً عن اختلاف مفهوم ( العروبة ) عن مفهوم القومية واختلاف مفهوم الإسلام عن مفهوم الدين بصفة عامة .

ويخطئ ساطع الحصري في أنه قصر تصيراً كبيراً في فهم الفكر الإسلامي وأبعاده وارتباط العروبة به ، وعاش في مؤلفاته خادماً لنظرية القوميات الأوروبية الوافدة ، وهي لا تتفق على أي وجه مع التحديات التي واجهتها الأمة العربية بعد سقوط الدولة العثمانية من وجهة نظر الثقافة العربية والفكر الإسلامي الذي يتحرك دائماً في ثلاث دوائر : الوطنية المرتبطة بالأرض ، والعروبة المرتبطة بالأمة ، ووحدة الفكر الشاملة . ولقد وقف ساطع الحصري موقف الخصومة والحقد والتعصب مع الإسلام كلما عرض له ، وكانت مجاولاته للفصل بين اللغة العربية والفكر الإسلامي محاولة ساذجة ثم كشف نفسه وأسقط مكانته كاملة حين اعترف بالقومية اليهودية القائمة على الدين ، بينما عارض عنصر الدين في فهم القومية العربية ، وإن كانت كلمة ( دين ) لا تؤدي معنى الإسلام حين يكون البحث حول العروبة .

وقد ثبت أن ساطع الحصري قد خدم بدعوته وفكره مفاهيم الماسونية والنظرية القومية الوافدة التي كان النفوذ الغربي حريصاً على تلقيها للعالم العربي ، وهي ليست إلا صورة من مفهوم الاقليمية اللبنانية . والمعروف أن ساطع الحصري كان من أعمدة وزارة المعارف في تركيا منذ أوائل حكم الاتحاديين إلى أن انتهت الحرب الأولى ، وأنه كان من أخطر الموجهين للبرامج العربية والتعليمية في العراق حيث عمد إلى فصلها عن الإسلام فصلاً تاماً وكان دوره أشبه بدور طه حسين في التعليم المصري .

وجملة القول أن ساطع الحصري نادى بمفهوم القومية الأوروبية الوافدة

وحاول تطبيقه على (العروبة) ذات الجذور العربية الإسلامية دون أن يدرك أعماق الأثر الذي تركه الفكر الإسلامي والقرآن في اللغة العربية وفي الأمة العربية ومدى ترابط ذلك إلى أكثر من ثلاثة آلاف سنة بالأمة الوسطى الحنيفية السمحاء التي جاء بها إبراهيم فربطت هذا العالم الوسط : (عالم العرب والإسلام) بروابط تاريخه وثقافته عميقة دعمتها الأديان السابوية التي نزلت في أرض الرافدين وختمتها رسالة الإسلام العالمية التي نزلت في الجزيرة العربية .

وقد استوحى ساطع الحصري نظرية (الفصل) وهي نظرية معروفة في الفكر الغربي ، ولكنها تسقط سقوطاً شديداً عند ما تطبق على الفكر العربي الإسلامي الذي يقوم على التكامل وتزاييل القيم فقد ركز على اللغة كأساس لنظريته وغزها عن مفهوم الفكر العربي الواسع كما ركز طه حسين على الأدب وعزله عن الفكر الإسلامي أو (عن الدين والقومية) على حد تعبيره .

ونظرة طه حسين كنظرة ساطع الحصري نظرة ضيقة أوربية لا تتفق مع المزاج النفسي والاجتماعي الإسلامي القائم على تكامل القيم وشمولها . كما دعا إلى إعتبار التاريخ مقوماً وبذلك عزله عن اللغة والفكر والثقافة جميعاً .

كما اختلف مع دعاة الأرض والوطنية (أنطون سعادة) وهي نظرية أخرى وافدة لا يعترف بها الفكر العربي الإسلامي الذي يؤمن بالحلقات الثلاث المترابطة المتداخلة : (الأرض ، والأمة ، والفكر) وقد اعترف ساطع الحصري بإسرائيل قومية تقيم على الدين ، ورفض إعتبار الإسلام مقوماً بوصفه ديناً ، ومفهوماً للإسلام هو مفهوم غربي خالص للدين الغربي استمدته من مفهوم الاتحاديين في تركيا ، وقد فهم الإسلام على أنه دين وروح كما فهم الأوروبيون الدين وكما وصف المستشرقون والمبشرون الإسلام ولم يفرق بين الدين بعامة والإسلام ، ولم ينظر إلى فوارق العصر والبيئة والجذور الثقافية التي تختلف فيها القومية في أوروبا عن مفهوم العروبة في عالم الإسلام والعرب .

وعندما قاوم التجزئة والاقليمية لم يقاومها بأسلوب الاصالاة العربية بل  
قارمها عن طريق الاسلوب الوافد ، وقد هاجم القوميون السوريين لانهم أخذوا  
نظرية أوربية هي نظرية الأرض ولم يأخذوا نظرية أوربية أخرى هي نظرية اللغة  
التي دعا هو اليها وهاجم البحث في سنواته الأخيرة ولكن دون أن يصل إلى  
إحصالة مفهوم العروبة وتوابعها مع الفكر الاسلامي ، ذلك الترابط الجنري الذي  
لا سبيل للانفكاك عنه .



## المتنبى

حرص دعاة نظرية النقد الأدبي الغربى الوافدة على وضع أسس وقواعد للأدب العربى تختلف إختلافا جوهرياً مع طبيعته وذاتيته ، وقد استهدفت هذه الدعوة إبراز شخصيات لا تمثل الأدب العربى فى أصالته ، فضلاً عن إعلائها : لأبى نواس وبشار والضحاك وغيرهم ، والعمل فى نفس الوقت على تدمير الشخصيات ذات الأصالة والقوة أمثال المتنبى والغزالى وابن خلدون .

وقد سابر الدكتور طه حسين المستشرقين فى هذا الاتجاه ونماه وفتح له آفاق الصحافة والمحاضرات العامة ، وكان المتنبى أحد ضحاياه فقد كتب عنه كتاباً حاول إتهامه بأنه لقيط ، فقد مضى يقشكك فى نسب المتنبى حتى وقع فى هذا الشك الجرىء فى محاولة للتقليل من مكانه المتنبى فى الأدب العربى وكان قد سبقه فى هذا أستاذه ( بلاشير ) الذى حارب المتنبى فى كتاب ضخم لا بد أنه كان الضوء الكاشف أمام محاولة طه حسين .

وقد جرت كل محاولات ما سفيون وفون كريمر وبلاشير ودى ساسى من منطلق الحق على هذا الشاهر الفحل الذى يعتبره النقاد العرب بحق ( إبن الناس منطلقاً عن الشخصية العربية وأشدهم اعتزازاً بها وتقديراً لها وسعياً لانهاضها ) على حد تعبير الأستاذ محمود شاكر فى كتابه عن المتنبى الذى سبق كتاب الدكتور طه حسين ، وقد كان شاكر هو أبرز الذين راجعوا طه حسين فى رأيه فى المتنبى فى مجموعه من المقالات رخص فيها تلك الشبهات التى أثارها الدكتور وكشف الغرض المبيت من وراءها .

ولاشك أن حملات المستشرقين على المتنبى تدخل فى باب إعـلائهم

وتقديرهم للنحرفين في تاريخ الادب العربي عن أولوم إهتماماً كبيراً أمثال  
الجلال وشعراء الأغاني ، وهو أن لم يكن تمصبا وحلة تفريديّة فإنما هو جمل  
بالذوق العربي والخصومة لشاعر غل دان العرية ألف سنة ولم يصل إلى مكاتته  
واصل (١) .

وعلى كل حال فإن طه حسين كان ظالماً ومسرفاً في الشك وبعيداً عن  
الأسلوب العلمي في هذه الشبهة التي أثارها والتي ليس لها سند تاريخي أو  
منطقي علمي .

## الحلاج

أولى المستشرقون ومن تابعهم من دعاة التغريب اهتماماً كبيراً بشخصية الحلاج ، وساولوا تصويره من خلال فكرة خاطئة أريد لصقها بالاسلام وهي مصادرة الفكر والقتل باسم حرية الفكر ، وهذا ما لم يحدث في تاريخ الاسلام كله وأن حدث في تاريخ أوروبا الغربية المسيحية ، فلقد كان الاسلام حقيقياً بحرية الكلمة إلى أبعد حد ، ما لم تخرج من نطاق الكلمة إلى نطاق آخر ، كالأمر السياسي أو مغامرة دولة أجنبية :

والحلاج لم تقتله الكلمة مهما كانت خارجة عن مفهوم الاسلام ، ومهما كانت مغرقة في الشك والوثنية وإنما قتل حين ثبتت عليه مراسلات إلى القرامطة فقد ثبت أنه كان وكيلاً لهم . وكان القرامطة قد أراحوا النظام الاسلامي وسفكوا الدماء وخرّبوا البلاد وأنشأوا لهم عاصمة في هجر حملوا إليها الحجر الأسود فظل بها نحو ثلاثين عاماً .

ولقد قال أبي يزيد البسطامي وابن عربي مقالته الحلاج دون أن يصيبهم شر ، والذي عليه القول الراجح أن الحلاج كان يعمل لحساب القرامطة ، وأن دعواه في الحلول والاضراق ووحدانية الوجود إنما كانت تعمل على إفساد الأساس الفكري للدولة الاسلامية وهدم تعاليم الاسلام كقاعدة لتحطيم سلطته السياسية وهو نفس المناهج الذي سلكته الباطنية ، فقد وأى خصوم الاسلام أزاء عجزهم عن هدم دولته أن يلجأوا إلى تفويض عقيدة التوحيد التي جمعت شمل العرب وقذروا إلى ذلك بنظريات التصوف الهندي المجوسية الفارسية والفلسفة الوثنية اليونانية . وكانت مقدمات ذلك السخرية بالشريعة الاسلامية والترخص في الحدود وإباحة المحرمات ، وقد جرى الحلاج في ذلك شوطاً طويلاً فادعى الألوهية واتهم بمعارضة القرآن وأنه يحى الموتى وأن الجن يخدمونه وأنه يعمل من الحوارق ، ما يشبه المعجزات وأنه كان يدعو إلى نوع آخر من الحج غير الطواف بالبيت

الحرام في مكة . وله مع أصحابه كتابات بالشفرة لا يفهما الا هو ومن  
ارسلها اليه .

وقد وصفته كتب التاريخ بأنه رجل مجوسى الاصل اشتغل بالمخاريق والحيل  
ادعى العلم بالاسرار ثم تنهى الى ادعاء النبوة ثم الربوبية واستغوى غلمان  
قصر المقتدر بالله العباسى لينفذ بهم الى تحقيق غايته فادى ذلك الى قتله ، وذكر  
أمام الحرمين في كتابه الشامل أنه كان بين الحلاج وبين الجنائى رئيس القرامطة  
اتفاق سرى على قلب الدولة وأن هذا هو السبب الحقيقى لقتل الحلاج .

.....

.....

.....

## السلطان عبد الحميد

لا اعتقد أن هناك شخصية في العصر الحديث هوجمت بمثل ذلك العنف الذي هوجم به السلطان عبد الحميد ، حيث وصف بها ما وصف به الديكتاتورون والظلمة والمقيدون في التاريخ كله ، وقد جرى هذا السيل من الاتهامات وقطاويل حتى ساد جميع كتب التاريخ العربي الحديث وجرى على الألسنة وهو ما كشفت الوثائق السياسية الجادة التي ظهرت في السنوات الأخيرة عن زيفه وعن الغرض البعيد الذي كان وراء إسقاطه ، ذلك أن السلطان عبد الحميد قد رفض ما عرضته عليه الصهيونية العالمية من فتح الطريق لها إلى فلسطين والسماح بالإقامة في القدس وقد كان رفضه صريحاً واضحاً وحاسماً ، وكان ذلك مقدمة للحملة التي شنها الاستعمار والصهيونية عليه واتهامه تمهيداً لإسقاطه ، وقد جرت هذه المحاولة بالسيطرة على جمعية الاتحاد والترقي ودفعها إلى الانقلاب داخل المحافل الماسونية ولحسابها وكان السلطان عبد الحميد قد تزعم الدعوة إلى الجامعة الإسلامية في مواجهة خطر تزايد النفوذ الاستعماري وإقامة قوة حاضرة لا يمكن التغلب عليها والتحرك وهما قوام الدولة العثمانية بل تضم المسلمين جميعاً وقد نجحت الدعوة نجاحاً كبيراً وأخذت تحقق نتائج هامة ، كان من أبرزها الالتقاء بين السنة والشيعة بعد الخلاف الطويل الذي فرضه النفوذ الاستعماري ، وقد شهد جمال الدين الأفغاني للسلطان عبد الحميد بالدهاء السياسي الخطير في مواجهة أوربا ، وكشفت الوقائع مدى رصانة عبد الحميد وحده جمال الدين ، حتى في المسائل الصغيرة التي لا تحتل من جمال الدين رجوعه عن بيعته للسلطان .

وقد جرت محاولات كثيرة للتركيز على جمال الدين الأفغاني في السنوات الخمسين الأخيرة ولم يرازه في صورة البطل والقديس ، ولم يكن هذا في الواقع إلا محاولة لحجب السلطان عبد الحميد واتقاصه وإحلال جمال الدين كبديل لعبد الحميد وذلك في مجال إخفاء الطور الخطير الذي قام به في مواجهة الصهيونية العالمية والذي كان يعرف هو سلفاً إنه سيكلفه عمره وعرشه وقد حدث بالفعل محاولتين إحداهما لاغتياله وأخرى لأقصائه عن الملك وقد فشلت الأولى ونجحت الأخيرة .

ولقد حرصت الدعاية الصهيونية والاستعمارية وألحت الحاشدين أن تجاوز كل حد في سبيل تصوير السلطان عبد الحميد في صورة الحاكم الطاغية المستبد من ناحية والرجل الخائف المذعور من ناحية أخرى، وقد كشفت الوثائق التي برزت في السنوات الأخيرة كذب الادعاءين ولم يستطع الحاملون عليه لائمات لاسم أحد من أسماء من وصفوا بأنهم أغرقوا في البسفور داخل غارات على حد قول حافظ إبراهيم في قصيدته، والحق أن السلطان عبد الحميد استطاع والدولة العثمانية تمر بأقصى مراحل الضعف أن يواجه العالم الغربي الاستعماري بالخييلة والحدعة والمرونة السياسية وأنه أوقع الدول بعضها في البعض الآخر، وتركهم يشتغلون بضرائعهم عنه في وقت كانت محاولته لإخراج فكرة الجامعة الإسلامية إلى الوجود قد خطت خطوات واسعة وقاربت أن تحقق نتائجها، التي عملت على جمع المسلمين تحت لواء الخلافة من خارج الدولة العثمانية باسم الخطر الاستعماري والصهيوني الذي يهددهم وكانت صيحته «يا مسلمي العالم اتحدوا».

وكان هذا ثمار الخصومة العاقدة على السلطان من الاستعمار بالإضافة إلى خصوم الصهيونية وكلاهما كان يطمع في تمزيق الدولة العثمانية وتقسيم التركة (١).

---

(١) راجع دراسة مطولة في هذا الصدد في كتابنا (الإسلام والعروبة).

## السهروردي

حاولت حركة التغريب وأعمالها التبشير والاستشراق إعلاء شأن مجموعة من النماذج الغريبة وإعطائها صورة الاستشهاد والبطولة رغبة في الترويج لأفكارها وإثارة الرأي حول آراء وافدة على الفكر الإسلامي لم تكن فيه أصلاً ولا تمثل جوهره ولا حقيقته .

ومن هؤلاء شهاب الدين السهروردي ( المقتول ) الفارسي الذي حلّى لواء الفلسفة الاستشرافية المستمدة من الفلسفات اليونانية والفارسية والهندية والتي تعارض مع مفهوم التوحيد في الإسلام ، ولقد اهتم بروكلمن ، ورينز ، وفادي برج من المستشرقين بأرائهم وصفوه بالعبرية وترجم أحدهم (بوج) كتاب (هياكل النور) كما عرض له ماسنيون أثناء بحثه عن العلاج واهتم به كثيراً بول كراوس وهنري كوربان .

والحقيقة أن للسهروردي نتائج غريبة ، عن فكر الإسلام وطابعه ومواجهه الذي شكل أعلام المسلمين في مجال الفكر من أمثال الغزالي وابن تيمية وابن حزم وغيرهم ، وهو أقرب إلى صور الباطنية والمتحليين والمعطلين ولن نصفه بأكثر مما وصفه به من يروونه عبقرياً وشهيراً : ( لم يكن مظهره مما يليق النبوة والاحترام في نفوس مستقبله ، أهمل نفسه أو كاد وبلغ به الإهمال حتى كان على حد قول بعض من أرخ له (١) « كان زيه زرياً منكراً زرى الخلقة ، دفس الثياب ، وسخ البدن ، ولا يفصل له ثوباً ولا جسماً ولا يداً ولا يقص ظفر ولا شعر ، وزادوا على ذلك قتالوا » إن القمل كان يقاتل على وجهه ويسعى بين ثيابه وأن كل من يراه يهرب منه ) هذا ما وصفه به سامي السكيالي في مجال التقدير

والاعجاب ، فكيف بمن يراه غير ذلك ، لا شك أن هذه الصورة التي يبدوها السهروردي ، ليست إسلامية أساساً ولا يقرها الإسلام الذي صنع نماذجه على الأخلاق والطهارة والعزة وكان رسوله يعرف قبل قدومه بريح المسك .

وقد وصف السهرزورى قليد السهروردي أستاذه في كتابه (نزهة الأرواح) بأنه مهمل الثياب وقد أشارت كتب كثيرة الى قدراته منها كتاب (آثار البلاد وأخبار العباد للقزويني) وأعلام النبلاء بتاريخ جلب الشبهاء ، وأول وجماع القول عنه أنه قرأ فلسفة الإغريق والهند وفارس والفلسفة الإسلامية ، وأنه أراد أن يبدع من هذا المزيج فلسفة جديدة رسم خيوطها في فلسفته الاشراقية .

وما ذهب اليه السهروردي في تفسير الاشراق مخالف كل المخالفة لحقائق الإسلام ولفهمه في التوحيد ، الذي يفضل بين الله والعالم والذي لا يقر الاتحاد على النحو الذي قالت به فلسفات الوثنية .

ولم يكن السهروردي متصوفاً بمفهوم التصوف الإسلامي ، ولكنه كان فيلسوفاً غالباً ذهب الى أبعد المدى في التبعية لمدرسة أفلاطون المسيحية الوثنية التي اعتبرت الاشراق أساس المعرفة الوحيد ، وهذا الانحراف عن مفاهيم الإسلام هو الذي أثار عليه خلاف الفقهاء والصوفية والمقاتلين المسلمين جميعاً ، فقد خرج بأرائه من مفهوم الإسلام الصحيح وانحرف به ، وجمع بين الشك والإيمان والكفر والشعوذة والتصوف والمرطقة حتى جر عليه كل ذلك الاتهام بالزيف وانحلال العقيدة هذا فضلاً عن اشتغاله بالفلسفة والكيمياء والسحر وأبواب التبرنجيات ، بالإضافة الى التأويل وكلها صفات دعاة الباطنية .

ومع ذلك فان هذا الانحراف عن مفهوم الإسلام لم يكن ليقتضى على السهروردي بالقتل ، لولا ثبوت الاتهام عليه بالأسفار مع خصوم المسلمين أبان الحروب الصليبية ، وكانت هذه الخيانة هي التي دفعت الملك الظاهر بن صلاح الدين الى المطالبة بأهدار دمه .



ومن هنا تكذب كل التخرصات الى سابقها التغريبيون بأن السهروردي ذهب  
 ضحية حرية الفكر، فالسهروردي في الحق لم يذهب ضحية معتقده ولا فكره ولم  
 يكن ضحية أذى حاكم أو نفوذ سلطان ولم يذهب ضحية التخويف بالله والاساءة الى  
 نبوة الرسول ، فلك كله في الاسلام موكل الى امر الله ولكن السهروردي  
 ذهب كما ذهب الحلاج ضحية خيافته ضد الدولة الاسلامية والاتصال بخصومها

وكانت الباطنية حركة سياسية خطيرة تصارع الاسلام وتحاول ان تنفذ الى  
 اعماقه بواسطة امثال هؤلاء الغلاة .

## شبل شميل

حمل شبل شميل لواء الدعوة إلى الفلسفة المادية وكان واحدا من دعاة التبشير والغزو الثقافي الذين خرجتهم معاهد الارساليات في لبنان وقدموا إلى مصر من أجل العمل وكان منطلقه هو مذهب دارون وقد اختار له تفسير بخنر وهو من غلاة الماديين ولم يقف شبل شميل عند حدود المذهب العلمي بل ذهب يطبقه على المجتمعات من خلال نظرية التطور المادية التي تريد أن تفرض تفسيراً للفكر والمجتمع والحياة منطلقاً من معارضة تامة للأديان والقيم والمثل التي صاغت النفس العربية الاسلامية وقد كان إلى هذا الانجاة نحو هدم كل المقدرات ماليا ولواء استعماريا للنفوذ البريطاني في مصر والاجنبى في البلاد العربية ولم يكن داعية إلى الحرية والايان بمقامات العرب أو ذاتيتهم ، وكان طامعا في أن يضع هذه الامة في آتون العالمية والامية لتتصهر فيه مسخا غريبا لا هو عربي ولا غربي .

وقد كشف صديقه وزميله الدكتور صروف عن أخطاء شبل شميل فأشار إلى أنه تعلم الطب ولم يدرس العلوم الطبيعية ولذلك فان رأيه في هذا المجال غير علمي بالقدر الكافي ، وأن صروف نفسه الذي درس العلوم الطبيعية لا يرى رأى شميل في مذهب دارون ولا في نظرية النشوء والارتقاء التي اعتمد فيها شميل على الخلاة : هيكل وخنر يقول : تناول مذهب النشوء وترجم كتابا مفصلا فيه هو شرح بخنر على مذهب دارون ثم توسع في هذا الموضوع وطبقه على كل ما في الكون حاسبا لآياه وسيلة لاصلاح حال المجتمع الانساني .

وقال : ولم يكتف الدكتور شميل بمتابعة العلماء الذين لم يرو في الكون غير المادة والقوة ، بل تابع العلماء الذين قالوا أنه ليس فيه غير القوة وأن المادة حالة من حالات القوة .

ولكن العلماء الطبيعيين الذين أثبتوا بالتجارب أن المادة قوة ، أكثرهم من المعتقدين بوجود الأرواح مستقلة عن المادة وجلهم من المعتقدين بصحة مذهب دارون ولكنهم لا ينهون وجود الخالق ( أي كما ينفيه شبل شميل ) .

وأشار صروف إلى قول مـبارك كـارليل . إذا عد صانع الساعة حكيما  
ماهرا فالذى يصنع ساعة تصنع ساعة أخرى أحكم وأمهر ، أى إذا كان الخالق  
أودع فى المخلقة أو فى القوة قوة تجعلها تولد العناصر والمركبات السكيمياوية  
والنبات والحيوان حتى الانسان فذلك أدل على عظمته وحكمته وقدرته بما لو  
فرضنا أنه يعنى يوما بيوم يخلق كل نبات وكل حيوان وكل إنسان .

وقال أن بنـخـر خالف دارون ، وأن دارون صرح بأن الخالق نفع نسمة  
الحياة فى الحى الأول الذى تولدت منه الاحياء وبنـخـر نفي ذلك (وتابعه شميل) .

وأشار صروف إلى اندفاع شميل العاطفي وراء كل رأى يراه دون حذر  
أو تقدير للأمور ، وإن ذلك كان من أخطر مخاطر شخصيته ، ومن الحق أن يقال  
أن شميل كان يعمل من خلال هدف تغريبي واضح ، وأن صروف كان يريد  
أن يخفف الصدمة ، ويعمل عن طريق إدخال نفس أفكار التغريب عن طريق  
المزاحل وهون إثارة الضجيج .

ولقد أخذ المؤرخون على شـبـلـى شـمـيـل خيائته الوطنية حين كانوا يدعوا إلى  
العالمية بينما كانت الحركة الوطنية هى السلاح الوحيد لإزاء الاستعمار وأنه كان  
تحت دعوى العالمية يدافع عن مدامتياز قناة السويس ويوالى الانجليز وقد  
كشف أخيرا عن أن الدعوة إلى العالمية كانت من أكبر أهداف الصهيونية .

## ابن رشد

أثيرت شبهات كثيرة حول موقف خليفة قرطبة مع ابن رشد وسجنه وإياه ونحريق كتبه وحاول بعض دعاة التغريب وخصوم الإسلام أن يصوروا ما وقع له من اضطهاد ، على أنه مصادرة للفكر في الإسلام ، وليس هذا صحيح في الواقع ولم يعرف في تاريخ الإسلام أى نوع من اضطهاد المفكرين مهما كانوا يحملوا من آراء ، أما ابن رشد فقد كانت خصومته مع الأمير خصومة تجملت لها عدة عوامل أهمها :  
(أولاً) خصومة الفقهاء له مستغلين بعض تزيدات ابن رشد .

ومنها مخاطبته للخليفة ، حيث كان يقول له ( يا أخى ) وكان المنصور لا يضيّق به في أول الأمر فلما تردد كلام الفقهاء عنده بدأ يضيّق به ، وأضيف إلى ذلك ما أخطأ به ابن رشد حين قال في كتابه عن الحيوان : رأيت الزرافة عند ملك البربر مشيراً بذلك إلى المنصور ، وقد غضب لذلك الأمير الذى كان يسمى نفسه خليفة للسليين أن يوصف بأنه ملك ، وأمر بنى ابن رشد فأقصاه في قرية بعيدة أقام بها ثلاثة أعوام ، غير أن الفيلسوف دافع عن نفسه ونفى تهمة العيب في حق المنصور وقال أنه حين أراد أن يكتب ( ملك البرين ) سبق القلم بها فجاءت ملك البربر أو أن ما وقع هو تحريف من الناسخ .

ثم كان أن اقتنع الخليفة وعفا عنه وعاد مرة أخرى إلى قرطبة .

## ابن الراوندى

أولى المستشرقون وكتاب التغريب اهتماماً كبيراً بعدد من الزنادقة والمنحرفين من الخارجين عن الإسلام ونشر مؤلفاتهم ودراسة حياتهم ومن هؤلاء ابن الراوندى الذى قال الحافظ بن الجوزى أنه واحد من ثلاثة من زنادقة الإسلام . وابن الراوندى من أصل يهودى وكان أبوه يدين باليهودية ثم أسلم وروى أن بعض اليهود كان يقول لبعض المسلمين بشأن ابن الراوندى : لينسذن عليكم هذا كتابكم كما أفسد أبوه التوراة علينا . وكان أبوه قد انشق لأمراً ما عن أهل طائفته فأخذ يثير عليهم عجاج الجدول والمشغبة ، كما كان ابنه يفعل فيما بعد ، فلما لم يتم له ما أراد انقلب مسلماً نكايته فى بنى دينه اليهود .

قال البخارى عن ابن الراوندى : أنه كان فى أول أمره حسن السيرة حميد المذهب ، ثم انسلخ عن الدين وأظهر الالحاد والزندقة وطردته المعتزلة فوضع الكتب الكثيرة فى مخالفة الإسلام .

وقد دحض آراؤه ورد عليه أبو الحسن الخياط المعتزلى فى كتابه الانتصار . وقد بلغ ابن الراوندى قمة الخصومة للإسلام فى معارضاته للقرآن الكريم فقد عارض نظم القرآن ينظم من وضعه ووضع التأليف للرافضة عند أهل السنة ، والاعتزال ، وللسنة ضد الآخرين ، كما وضع لليهود كتاباً يرد به على المسلمين ، ثم رام نقضه بنفسه . ووضع كتاب ( الامامة ) للرافضة لقاء ثلاثين ديناراً وكتب غيره للظمن على التوحيد وأهله .

## يعقوب أرتين

من الأسماء التي لمحت لمعانا خاطفاً في ظل الاستعمار البريطاني ، وفي دعم خططاته في التعليم ، وكان اليد القادرة من وراء دنلوب القس الإيرلندي مشتشار الوزارة ومن وراء سعد زغلول ناظر المعارف وعين اللورد كرومر ، يعقوب أرتين الأرميني الذي عمل وكيلاً لوزارة المعارف منذ عام ١٨٨٤ حتى توفي في عام ١٩١٩ وكان تركيبه الاجتماعي والتاريخي عاملاً أساسياً في تأهيله للعمل الذي قام به بالإضافة إلى تعليمه ، فهو من أسرة أرمينية تعلم في باريس ومكث بها نحو سبع سنين وعين مريباً لأمرأة البيت المالك وأخصم فؤاد الذي أصبح سلطاناً على مصر ١٩١٧ فلما وقد وصفه المقتطف بعد وفاته بأنه ( تولى عدة مناصب خطيرة مملوءة بالمعضلات لا يقوى على تذليل صعابها إلا متى أتاه الله مقدرة فائقة ، وذكاء أعظم ما وفي جميعها فاز بالمدح للعلل ) وله كتاب : القول التام في التعليم العام ، وكان له دوره في تغيير مناهج التعليم العربية الإسلامية التي كانت قائمة قبل الاحتلال وإبدائها بمناهج زائفة حذفت منها اللغة العربية والقرآن وتاريخ الإسلام .

وقد حرص يعقوب أرتين الأرميني الأصل أن ينفي عن المصريين كل عبقرية أو ذكاء قتال في رسالة عن الأقاصيص في وادي النيل له أنكر فيها حتى الذكاء المصري على ابتكار الأقاصيص الشائعة التي تروىها العجائز للصغار فمن رأى أرتين أن هذه الأقاصيص إما من مصدر تركي فارسي بكثير منها ذكر الجن والعفاريت والنساء وأما يونانية أوربية يكترفها الأسلوب البيزنطي والخرافات الموضوعة على السنة الحيوانات وأما بربرية يغلب عليها الباعث الديني والترنم بمحاسن بغداد ، وأما زنجية تدور على السحر والغيلان والرق والتعاويذ وقال العقاد معلقاً : أن هذا الرأي يدل على جهل بملكة معروفة عند المصريين .

## عمر الخيام

استطاعت شهرة عمر الخيام فجأة ، بعد أن كان واحداً من العلماء المسلمين في مجال الكشف الجغرافية ورصد الكواكب فأصبح شاعراً خطيراً في مجال الدعوة إلى الانحلال ، وذلك عندما نشر شاعر انجليزي مجموعة من الشعر عام ١٥٨٩ نسبها إلى الخيام هو فيتزجيرالد ، وقد نقلت هذه القصائد الانجليزية مرة أخرى إلى اللغة العربية وأذيعت وأوليت إهتماماً بالغاً فبلغ عدد من ترجموها إلى العربية أكثر من سبعة من الأدباء منهم البستاني والزهاوي ورامي والعتاتي النعني والسباعي وأبو شادي ومحمد الهاشمي .

وقد تبع ذلك إهتمام بالغ وتركيزاً أشد خطورة على اسم الخيام دفعا لهذا التيار الجديد وتعميقاً له فصدرت طرايع البريد في مختلف أنحاء أوروبا باسمه وصورته ، وأنشأت الأندية الليلية الصاخبة تحت لوائه ، وكتبوا اسمه على أطراف البطاقات ( كارت بوستال ) تعظيماً وتكريماً لقصائد التحلل والمجون المنسوبة إليه .

وقد كان لهذا التيار أثره في التعريف بالخيام في نظر الشرقيين (عرباً ومسلمين) شاعراً ماجناً عريئاً يدعو إلى اللذة ، وقد استمر ذلك وقتاً طويلاً حتى كشفت الأبحاث العلمية والدراسات الخالصة البعيدة عن كل زيف عن أن هذه الموجه كاذبة فعلاً وأن الخيام لم يكن هو قاتل كل هذا الشعر الذي نسب إليه ولم يكن في حياته إنساناً خليماً ولا داعية إلى اباحه .

والقول الصحيح أن من وراء رباعيات الخيام هدف من أهداف التعريب والاستعمار - يقول السيد عبثر الطرازي الحسني مؤلف كتاب كشف اللثام عن رباعيات النعمان - (لن الاستعمار وجد في هذا العمل ولا سيما في إيران والهند أهمية خاصة ، وكان فيتزجيرالد الشاعر الانجليزي قد لبى الإشارة من قبل بعض

الانجليز فقدم للمستعمر خدمة تحت ستار الادب الغربى بترجمة تلك الرباعيات بصور خلاصة وضعها فى كلمات إنجليزية جذابة بحيث تخلب قلوب الشاب الناشئ فى الشرق ولا سيما الإيرانيين والهنديين منهم من حيث طلاوتها وعماشاتها مع الشهوات والنزعات النفسية ولما كانت هذه الرباعيات (منسوبة) للحكيم الكبير صاحب المسكانة الرفيعة فقد خدع بها كتاب العرب وترجموها إلى لغتهم وأمطرواها بالثناء . والحقيقة أن (فيتز) قد خدع الشرق والشرقيين بهذه الخدعة السياسية الاستعمارية حيث تمكن من نشر هذه السموم بين أبناء الشرق والهند وإيران ودعاهم إلى تناول الخور وملازمة السرور والغناء وبجانية السعى والعمل ضد العاملين والركون إلى الجود والسلوك مسلك الكسالى وحثمهم على الإباحية والزندقة والحرية المطلقة ، الأمر الذى دفع الشرق فيما دفعه إلى التأخر وجعله مستعداً لقبول تدخل المستعمر فى مختلف شئونهِ

وقد بلغ الغريون فى تعريف صاحب الرباعيات (عمر الغيام) على ألسنة خطبائهم وأقلام كتابهم ومقدمات تراجمهم إلى حد أنهم شبهوه بأبيقور اليونانى وأبى العلاء المعرى وترويحاً لسوق الرباعيات وتضليلاً للشرقيين ولا سيما الجيل الناشئ وكان ذلك تنفيذاً لخطتهم السياسية ضد المسلمين تأكيداً لأغراضهم العدائية .

ولا شك قام الأدباء العرب بترجمة هذه الرباعيات لأهداف سياسية وأغراض مذهبية وحرصوا على توسيع نشرها وتعميم تناولها بكل طريق ممكن حتى تنشرها فى قطعات كارت بوستال .

والملاحظ أن المركز الثانى لنشر الرباعيات بعد لندن كان الهند ، حيث نشرت فى عواصم دلهى ولاهور وكلكتا وبومبى وقال لى طالب فى بعض المدارس فى بومبى أن هذا الكتاب يدرس فى مدرستنا الثانوية ككتاب أدب انجليزى وكان ذلك سنة ١٩٥٠ حينما مررت بالهند عضواً فى الوفد الأفغانى إلى الملكة السعودية وقال : أن ترجمة فيتزجرالد الإنجليزية للرباعيات كانت مدرجة فى برامج التدريس بجامعة بمبلى أعظم جامعات الهند .



ثم قال السيد مبشر الطرازي : أنه ليس هناك من مصادر أكيدة تؤيد نسبة هذا الشعر إلى عمر الخيام ولا وجود لمصدرها الاصل وانما أسندت الى عالم عظيم شرفي وحكيم فلكي بارع ومنجم لامع في نفس الوقت الذي أعمشوا أبصارهم عما ثبت عن الحكيم النيسابوري من مقولاته واثارة التي تدل على ديانته وتمسكه بها بتعاليم الشريعة الإسلامية وحرصه على تطبيقها في كل شئون الحياة في العالم الإنساني ، وقال : أن الغربيين لم يكرموا عمر الخيام بإنشاء ناد باسمه أو كتابه اسمه على أطراف البطاقات لمكانته في العلوم الرياضية وعلوم الفلك وإنما من أجل الأهداف السياسية التي أشرنا إليها في اذاعة قصائد التحلل والمجون المسمومة اليه وأنهم لم يفعلوا ذلك لابن سينا أو الفردوسي أو الغزالي أو الزمخشري من أعلام الفكر الاسلامي ، لقد كان تعظيم الغربيين موجهها في الصحيح وفي الواقع الى تلك الرباعيات الخلية التي مهدت لهم سبيل النيل من الإسلام وتعاليمه ودعوة أهل الشرق الى التحلل الخلقى والحرية المطلقة والضعف والهوان ، . . .

وقد أشار كثيرون الى خطأ نسبة الرباعيات الى عمر الخيام وفي مقدمتهم أرنست رينان الذي قال أنها (أى الرباعيات) لا تتفق مع مفاهيمه واتجاهه العلمى وأشار العلامة الطرازي الى أنه لم يثبت أصلا وجود نص حقيقي كتبه عمر الخيام للرباعيات ويتضح باجماع الباحثين أنها رباعيات موضوعة لأصل لها وضعها دواة الشعوبية واستغلها التبشير والاستعمار .

## ولى الدين يكن

ما من اسم وضع تحت أمواء التغريب الشعبي إلا كان ضالماً مع الاستعمار وما من كاتب احتضنته جريدة المقطم إلا وكان خصماً لأمته وفكر أمته ، ومن أبرز هذه الأسماء شبلى شميل وولى الدين يكن الذى وصف بأنه خصم مقاوم لظلم السلطان عبد الحميد بينما كانت خيائته التى سجن من أجلها بعيدة كل البعد عن أعمال الوطنية والحرية ، وقد سمعت من أحمد حلمى باشا رئيس حكومة فلسطين وأمين الحسينى مفتى فلسطين فى ندوة كامل كيلانى أن تهمة ولى الدين يكن التى وضعتها فى السجن لم تكن مشرفة وأنها كانت تتعلق بالعمل الذى كان يله فيه فقد كان عضواً فى الجمعية الرسومية الجركية وأخذت عليه بعض الاتهامات بالاختلاس والرشوة فلما خرج من سجنه عام ١٩٠٨ بعفو عام ادعى أنه من الأحرار الذين اعتقلهم السلطان وقد جاء إلى مصر فانطوى إلى أنصار بريطانيا وخصوم العرب والإسلام ووالى الانجليز وكان من أتباع كرومر ومن محررى المقطم .

وقد كان ولائه للانجليز هو أهم ما دافع عنه بعض الكتاب اللبنانيين يقول كرم ملحم كرم فى مجلة الرسالة : يقول الناقرون على الرجل أنه ساير الإنجليز فوقف عليهم قلبه ورحب باحتلالهم لوادى النيل « وهو بذلك يعترف بموقف ولى الدين يكن ويستدرك فيقول « أن الانجليز ساعدوا على ترقية مصر ، ولقد حاولت حركة التغريب والشعبوية أن تلقى الأضواء على هذا الرجل فرفعته إلى مصاف كبار الكتاب ونشرت آثاره « بين أيدي الطلبة والقراء .

وروضه بعض كتاب لبنان فى صف كتاب الروائع ، وفى صف شوقي والمنفلوطى ، بل لقد بلغ الأمر بكتاب مثل سامى الكيالى ( وهو تغريبى عتيق ) أن يقول عنه أنه من الأدباء الذين نهجوا نهج الإصلاح كمحمد عبده . قاسم أمين . وأمامنا قصيدته المؤسفة التى نهرها فى ١٨ ديسمبر سنة ١٩١٤ فى جريدة المقطم وهو يوم بسط الحماية البريطانية على مصر مصدراً بها الصفحة الأولى وموجهة ( ملك بريطانيا وأميراطور الهند ) يبارك فيها الحماية ويقول موجهاً كلامه إلى الملك :

## غاندى

لمع اسم المهاتما غاندى فى الثلاثينات فى مصر لمعانا خاطفاً وتحدث الصحف عن وطنيته وجهاده فى مقاومة الانجليز فى الهند ، ومع أن الانجليز كانوا يحتلون مصر إذ ذاك فقد سمحوا لهذه الكتابات أن تنسج ولهذا النعمة أن تعلو .

وقد وصفت الحركة الوطنية الهندية بأنها حركة قد أنشأها غاندى بعد عودته من جنوب أفريقيا وكانت اليه قيادتها وبطولتها :

وكان هذا هو التعريف الخطير الذى لم يقب له الكتاب المسلمون والعرب إذ كيف يمكن أن يكون غاندى خصما لبريطانيا بينما بريطانيا تفسح له المجال لابرار بطولته وعظمته !

ولقد ظلت هذه الحلقة المفقودة خافية حتى سافر إلى الهند وفد من علماء المسلمين ومن بينهم العلامة عبد العزيز الثعالبي الذى طاف طوافا واسعا بالقاهرة الهندية وحقق كثيرا من المواقف التاريخية والسياسية وكان من أهم ما وصل اليه وكشف عنه الثغاب ، تلك الحلقة المفقودة التى تؤكد أن الحركة الوطنية لتحرير الهند إنما بدأت أصلا فى أحضان المسلمين وقد أزعجت الاستعمار البريطانى إذ عاجا شديدا فالمسلمون هم حكام الهند السابقين والذين يحملون مفهوما صريحا فى مقاومة المحتل والظالم والدخيل ، والجهاد عندهم واحدة العقائد الكبرى .

ولذا فقد عمدت بريطانيا إلى القضاء على هذه الحركة بأسلوب غاية فى الباطل والمكر ، قصدت به إلى عزل المسلمين عن قيادة الحركة الوطنية وتنحيهم وإسلامها إلى الهندوس الذين أجروها على الأسلوب الذى أرادته بريطانيا .

فالاستعمار البريطانى الذى سيطر على "هند" بعد ثورة ١٨٥٧ التى قادها

مصر الوفية لا تزال وفية وكما عهدت النيل والأهرام  
نالت حمايتك التي اعتزت بها أمثالها واستمكنت الإسلام

وقد زين ولي الدين يكن كنبه بصورة كرومر كما فعل في كتابه ( المعلوم  
والجهول ) وقد كتب تحب صورته ( مصلح مصر ) .

وآية خيانتة أنه هاجم عرابي والعرايين وعبد الله نديم ، ونعى على نديم  
أنه اختفى بعد الثورة العرابية بينما لم يخف هو صديق الانجليز ، ولا شك أنه  
ليس هناك أى وجه للمقارنة بينه وبين عبد الله نديم ، ولقد قذف بقلمه المأجور  
هذا المجاهد الصادق فقال (بقى محتبنا في مكان خوفه اختباء الأفاعى في حجورها)  
ولا بأس على عبد الله نديم ولا ضير في أن يخفى وأنه لشرف له لا يستطيع  
أن يدعيه لص الجمارك .

وكذلك هاجم مصطفى كامل ورجال الحزب الوطني واتهمهم بالذناق  
والتهريب .

وتكشف كتابات ولي الدين عن نفسية ملحدة جريئة على القيم والمقومات  
فقد كان يتحدى شعور المسلمين بكتاباته وسخرياته عن شهر رمضان على صفحات  
المقطم ومن ذلك قوله ( دوى مدفع الظهر الذى أظفر عليه ) ومن أجل ذلك وصفه  
منصور بأنه من أحرار الفكر وضمه إلى قائمة فولتير وكان يكون منصفاً لو  
وصفه بالزندقة وبما يروى أن ولي الدين يكن يد بأصل إلى الدونمة اليهود  
الأتراك الذين كان لهم دورهم الخطير في إقامة محافل الماسونية وضرب الخلافة  
والدولة العثمانية لحساب الصهيونية .

المسلمون كان حريصا على ألا تمتحق للمسلمين السيطرة مرة أخرى على الهند وكان المسلمون قد تقدموا إلى العمل من أجل الدعوة إلى تحرير الهند ، والحصول على حقوقهم وتصدرت منهم جماعة كبيرة فكانت جمعيتهم الإسلامية إلى طلق عليها جمعية إنقاذ الخلافة برئاسة علام محمد قمر عام ١٩٢٠ ودخل في عضويتها الزعماء المسلمون وجمعت مالا لعل عن سبعة عشر مليون روية من أجل مواجهة تأمر الدول الغربية على الدولة العثمانية .

إلى هذا الوقت كان غاندى غير معروف في الهيئات السياسية في الهند وكان منزويا يعمل متطوعا في فرقة تمرير الجنود ثم اتصل بجمعية الخلافة فاستقبله المسلمون أحر استقبال ، رغم تحذير المولى (خوجندى) ، وكان على صلة به من قبل ويعلم من أمره مالا يعلمون وخاصة فيما يتعلق بتعصبه للهنداكة على المسلمين وقد أشار غاندى باستتلاف الهنداكة فقبل المسلمون رغبته وندبوه للسعى إلى ذلك فطاف الهند على حساب الجمعية يدعو إلى الوفاق ويقول المطلعون أنه كان يتصل بالهنداكة ويتأمر معهم على شل الحركة الإسلامية ثم سعى لضم جمعية الخلافة إلى المؤتمر الوطنى الهندى فانضمت ثقة بغاندى ، وقد أقرح المسلمون في أول اجتماع لهم تعديل القانون الأساسى وطالبوا بتعديل المادة التى تقرر بإصلاح حالة الهند إلى عبارة (لستقلال الهند) فوافق المؤتمر على ذلك ومنذ ذلك اليوم أخذت الأحزاب تطالب بالاستقلال التام طبق رغبة المسلمين وكانوا قبل ذلك لا يطالبون إلا بإجراء إصلاحات فارتفعت الحكومة (البريطانية) لهذا التغيير وعدته فاجعة في سياسة البلاد وعلى أثره ألقى القبض على الزعماء وزجرتهم في السجون . وطالب المسلمون بإصدار قرار يتضمن إعلان الأمة الهندية وأن الحكومة الحاضرة غير مشروعة مع دعوة البلاد إلى مقاطعتها وعارض غاندى وثبط الهمم ودعا إلى عدم مقاومة الحكومة وقال له يمثل المسلمين : أن كان غاندى يتصور أن أعمال المسلمين في الهند لا يقوم إلا على مساعدة الهنداكة فقد ان له أن يخرج هذه الفكرة من دماغه وليعلم أن المسلمين

لم يعتمدوا قط على أحد الا على الله وعلى أنفسهم .

وشرعت الامة الهندية على إنهاء ذلك في مقاطعة الحكومة والامتناع عن دفع الضرائب وحرق المسلمون كل ما في مخازنهم من البضائع الانجليزية وترك المسلمون الموظفون مناصبهم في الحكومة لخل الهناك محلهم واشتدت المقاطعة في البنغال اشتداداً عظيماً ليس له مثيل وهاجر عدد كبير من المسلمين الى الافغان بعد أن تركوا أملاكهم وأرضهم في الهند ، وخطب اللورد ريدنج (الحاكم العام) في كلكتا فقال : اننى شديد الحيرة من جراء هذه الحركة ولست أدري ماذا أصنع فيها .

ومن هذا السباق تستطيع أن تتصور قوة المسلمين في الحركة الوطنية وضعفها في الهندوكية ومن هنا فقد عمدت بريطانيا الى ضربة خطيرة بتحويل الحركة من أيدي المسلمين الى أيدي الهنود .

فقد انتهزت فرصة لإجتماع الزعماء وإعلانهم عام ١٩٢١ لاستقلال الهند استقلالاً فعلياً وقاموا بتعيين ولاية الولايات وحكام المقاطعات وقضاة المحاكم في جميع المدن ، هناك اجتمع اللورد ريدنج مع غاندى وطلب اليه حل الوفاق العوفى بين المسلمين والهندوك ، وقال له أن مصدر الحركة الإستقلالية في الهند المسلمون وأهدافها بأيدي زعمائهم لو أجبتنا مطالبكم وسلمنا لكم مقاليد الأحكام صارت البلاد للمسلمين وأن الطريق الصحيح هو أن تعمروا أولاً لكسر شوكة المسلمين بالتعاون مع بريطانيا وحيث لا تتمتع بريطانيا في الاعتراف لكم بالإستقلال وتسليم مقاليد الحكم في البلاد اليكم .

وهنا وقع الصدم ، فقد عمدت بريطانيا الى زعماء المسلمين فاعتقلتهم (شركت على ، حسين أحمد ، كثار أحمد ، بير علام محمد ، الدكتور سيف الدين كستيلو ) وهنا تقدم غاندى الى هيئة المؤتمر بأن يفوض اليه أمور الحركة جميعاً وقال أن الزعماء المعتقلون ولا بد من إعطائى السلطة المآلة وسرعان ما أعلن

غاندى فى أول إجتماع برئاسته أن الوقت لم يحن بعد لإعلان إستقلاله الهند  
وبذلك نجان أمانة زملائه وحطم مشاريعهم ، وضربت بريطانيا بيد من حديد  
كل محاولات المسلمين ووضعتهن فى السجن وبذلك سيطر غاندى على الحركة  
الوطنية حتى إذا خرج المسلمون من السجن كان غاندى هو كل شيء .

هذا هو ملخص التحقيق الذى أجراه العلامة عبد العزيز الثعالبي أثناء زيارته  
للهند عام ١٩٣٧ وكشف به عن أسطورة غاندى :

## سارتر

إن وقائع حياة سارتر ، تستطيع وحدها أن تكشف عن طبيعة تفكيره وعن التحديات الخطيرة التي فرضت عليه هذا الاتجاه الفلسفي الذي أطلق عليه اسم ( الوجودية الملمدة ) تقرّيقاً بينها وبين الوجودية التي دعا إليها من قبل ( كيركجارد ) .

ذلك أن التحديات والاضطرابات التي واجهها في مطالع حياته بعد انفصال أمة عن أبيه ، وحياته في ظل جده الذي كان قاسياً عليه ، وما يتصل ذلك به من اقتناعه بما كان يفرض عليه من اتجاه ديني وبالإضافة إلى تحديات عصره ، وإلى الهم اليهودي الذي يثير فيه الإحساس بالحقده على المجتمعات المسيحية الغربية ، كل ذلك كان له أثره في تشكيله وتركيبه وفي الآراء التي حملها ودعا إليها .

هذا بالإضافة إلى شيء آخر ، ذلك هو التركيز على هذه الآراء بالدعاية لها ونشرها وتعميق ظهورها في المجتمعات الغربية وهو ليس من عمل الكاتب أو الفيلسوف ولكنه من عمل القوى التي تروّقها هذه الفلسفة وترى فيها خدمة لأهدافها ولا ريب أن هذه القوى هي التي حملت من قبل آراء فرويد ونظرية نيتشة وغيرها وأذاعت بها وخلقت حولها هذا الجو الخطير ، وأدخلتها في قصص الأدباء وكتابات الباحثين ومناهج الدراسة في الجامعات .

وواضح من كل كتابات سارتر ذلك التحدي الخطير الجريء على كل الحقائق والقيم وفي مقدمتها وجود الله وطبيعة الخلق والمجتمعات والناس .

وقد أدت به هذه العوامل المختلفة ( من تكوينه خاصة ومن أثار مجتمعة ) إلى تكوين نظرية مليئة بالقلق والسأم ، رافضة لكل القيم والمقدرات والأخلاق وتقوم نظرية سارتر أساساً على القول بأن الله غير موجود وإذا كان الله ليس له وجود فكل شيء مباح . وهذا لا يعني الحرية وإنما يعني القوضوية التي تنكرها كل الأديان والمعتقدات والقيم والتي تدمر الإنسان تدميراً كاملاً .



فأراء سارتر تهتم العلم وتذكر قيمته .

وسارتر يرى أنه قد صنع ذاته لأنه لم يكن إنساناً لاجد، وأنه يعيش في الهواء ويقول : اليوم كغد ، والغد كبعد الغد ، وأنه لا طعم لشيء ولا لذة ولا أمل في شيء .

\*\*\*

ولما كانت المذاهب الفكرية والفلسفة هي رد فعل لنفسية صاحبها وعقليته ، فإن نظرية سارتر تكشف تماماً عن طبيعة تركيب النفس والعقل وتفصح عن غموض مطالع حياته واضطرابها ، هذا الذي ساقه إلى الكفر بكل القيم الإنسانية ، ويجمع الباحثون على أن مذهب سارتر مستمد من تحديات حياته شخصياً ، فإنه ولد وليس له أسرة ومات أبوه في الشهر الثالث وكانت أمه ممرضة شخصية لم تشعره أبداً بحنان أمومتها ( وهي يهودية الأصل ) والأسرة التي عاش فيها لم تؤد عن جدين عجوزين كان يؤذيانه هو وأمه ويشمرانها بالضياع .

وقد كشف سارتر عن نفسه خلال ترجمته الذاتية فأبكر الكنيسة وقالت كنت كاثوليكياً وفي نفس الوفد بروستانتياً ومن هنا أراد أن يؤكد ذاته بأن له رسالة ، وهو الطفل المتبوء في مجتمع يرعى الأطفال المأدين .

## ابن خلدون

كانت الحلة التي قادها الدكتور طه حسين في مطالع هذا القرن على ابن خلدون في أطروحة الفرنسية التي نال بها الدكتوراه من جامعة السربون علامة على ذلك الخط الذي اختاره المستشرقون والمبدشرون لكتابنا بالنسبة إلى أعلام الفكر العربي الاسلامي والتاريخ الاسلامي وهو نفس الخط الذي مضى فيه زكي مبارك إلى مهاجمة الغزالي ومضى فيه طه حسين من بعد إلى مهاجمة المتنبي ومضى فيه كثيرون إلى تدمير أعظم الشخصيات العربية الاسلامية التي هي غر تاريخنا والمثل الأعلى الذي يتطلع اليه شبابنا .

وكان طه حسين قد أعد أطروحة تحت إشراف باحث يهودي هو «دوركايم» ومن هنا فقد حرص على نقل آرائه واصطفاء وجهه نظره ، وقد مضى في ذلك شوطا طويلا في الظلم والاعنات حتى اعتبر أن إطلاق لقب ( اجتماعي ) على ابن خلدون مبالغة كبيرة .

وكان هذا غاية في الظلم والاعتساف وقد كشفت أبحاث الباحثين عن هذه التبعية الخطيرة التي دفعت طه حسين إلى تبني آراء دوركايم في ابن خلدون واتخاذها أساسا لبحثه وهو يهودي من أتباع النظرية الماركسية ورأيه في ابن خلدون مشوب بالتمصب .

ولقد وقف طه حسين هذا الموقف الظالم لابن خلدون بينما وقف أغلب كتاب الغرب المنصفين موقف التقدير لهذا العلامة وكشفوا عن سبقه وعن ريادته في مجال : التاريخ والاجتماع والاقتصاد بالنسبة لمن جاءوا بعده من أمثال آدم سميث وأوغست كونت وبينهم وبينه أكثر من أربعة قرون .

وقد أكد المنصفون من الباحثين أن نظريته في المقدمة لم تكن مجرد جمع لمعارف متنوعة ولكنها جاءت كعمل منظم ومرتب ينطبق عليه لفظ العلم في معناه الدقيق .

وقد ردد هذه المعاني : شميث ، وفيليب ، وإيف لاکوست . روبرت  
فلينت وجو ميلوفيتس واستيفانوا كولوزيو .

وسجل أرنولد تويبي ، أن ابن خلدون في المقدمة التي كتبها التاريخ العلم  
قد أدرك وأنشأ ( فلسفة التاريخ ) وهي بلا شك أعظم عمل من نوعه أبدعه أي  
زمان ومكان .

وفي مؤتمر ابن خلدون عام ١٩٦٢ بالقاهرة اجتمع أكثر من مائة عالم وقدموا  
أكثر من ثمانمائة صفحة عن ابن خلدون كلها تصفح آراء طه حسين الزائفة الوافدة  
التي تحمل طابع التبعية والوجود .

وقال الدكتور عمر فروح في هذا الموقف : انه لمن دواعي الأسف أن  
يعرف الغربيون فضل ابن خلدون قبل ان يعرفه الشرقيون أنفسهم ولكن الذي  
يؤسف له حقا أن يقوم بعض الشرقيين يحطون من قدر ابن خلدون بعد أن جهد  
الغربيون كل جهد في نشر فضائله وإظهارها .

## ميكافيلي

أولى التفرغين إهتماماً كبيراً بميكافلي وكتابه الأمير ، لا على النحو الصحيح وهو إبراز الفوارق بين الفكر الإسلامى والفكر الغربى فى مجال السياسة ودخس نظرية ميكافلي وإعلان ذاتية الفكر الإسلامى التى تؤمن بأخلاقية كل القيم والمفاهيم من سياسة واقتصاد واجتماع وتربية ولكن على أساس غزو الفكر الإسلامى بمفاهيم تختلف عن ذاتيته وأخلاقياته وقيمه الأساسية .

والحق أن ميكافلي مطابق للفكر الغربى فى أسسه الرومانية واليونانية وهو إضافة حقيقة إليها وليس غريباً عنها ، ولكنه غريب بالنسبة للفكر العربى الإسلامى ، حقيقة أن ميكافلي يمثل أول انكسار فى الخط الذى أشاعته تعاليم المسيحية ولكنه مطابق لذلك التحول الخطير الذى اتجه إليه الفكر الغربى حين حرر نفسه من قيم الأديان وانطلق إلى نزعة الوثنية القديمة : نزعة الغاية التى تبرر الوسيلة .

وقد كانت نظرية ميكافلي هى منطلق جميع نظريات الديكتاتورية والفاشية والنازية والتسلط التى سادت الفكر الأوروبى والمجتمع الغربى وهى نظرة غريبة على مجتمع العرب والمسلمين فى أصالته ، وإن كان قد تأثر بها تأثراً بالغزو الغربى الذى فرض عليه الفلسفة البرالية ، والأنظمة الديمقراطية الغربية بكل فسادها واضطرابها وتعارضها مع مفاهيم الفكر الإسلامى القائمة على الحرية والكرامة والعدالة والترابط بين الفرد والمجتمع وحرية المعتقد الدينى .

ولذلك فأننا يجب أن نتنبه إلى مدى عمق الفوارق بين الفكر الغربى والفكر الإسلامى فى مجال السياسة وفى عرض الشخصيات المختلفة وفى مقدمتها ميكافلي .

## تولستوى

نزعة الغايدية والتولستوية في الادب العربى والفكر العربى الحديث نزعة دخيلة وافدة ، غربية عن طبيعة هذا الادب وهذا الفكر ، وهى محاولة لإخراج الفكر الإسلامى والثقافة العربية عن ذاتيتها القائمة على العدل والرحمة معاً ، واتى بمجمل (الجهاد) أفقاً عالياً من آفاق العقائد لاسيلا إلى التخلي عنه أو المهادنة فيه أو التفریط فيه .

وتقوم الغايدية والتولستوية على فكرة مستمدة من المسيحية الغربية هى فكرة السلام والدعوة إلى إلغاء السلاح وإلغاء الحروب والتقريب بين الاديان وهى جميعها دعاوى تكشف أن من ورائها الصهيونية العالمية والماسونية فى محاولة تخذيل كل القوى المدافعة عن أرضها ومحاولة تقبل ما يسمى بالثقافة العالمية أو الفكر العالمى أو الأخوة العالمية . وتبرز هذه الدعوات وتستمرى فى ظل ذلك الخطر الإسرائيلى المائل المسيطر على الارض العربية .

بينما لا تحمل أى دعوة ما يحمله الإسلام من سلام وأخاء وعجبة وتقريب بين الناس ودعوة إلى الإنسانية والأخاء البشرى ، دون انتقاص لأحد أو احتلال لأرضه أو سيطرة عليه أو إذلاله .

ومن هنا كان خطر التزيين بما دعا إليه تولستوى أو غاندى من سلام ، أو ما يشار إليه من العصيان المدنى فى مواجهة الاستعمار أو الدعوة إلى الرحمة المسيحية ، ذلك أن الإسلام يقوم على قاعدته الأصلية سلاماً كاملاً عن طريق الجهاد ، الذى هو فى مفهومه الاصيل عملية دفاع وحذر واستعداد وليست عملية قتل أو قتال أو حرب : وهى تتمثل فى الآية الكريمة (وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة) ففى استعداد وحذر وتحصين للثغور وتغطية فى مواجهة العدو ، تحمل السلام ، وتقرضه ، وتحول دون القتال والحرب إلا إذا اعتدى على أرض المسلمين أو غزيت بلادهم فهنا يكون القتال من أجل استرداد الأرض وحماية الزمارة .

## يعقوب صنوع

هذا واحد عمد دعاة الغزو الثقافي الغربي إلى تزيينه وإعلاء اسمه ووضعته في صفوف المجاهدين والمحررين والمقاومين للظلم والاستبداد ، حتى لقد أضيف اسمه إلى قائمة تلاميذ جمال الدين الأفغانى بينما كان هو خادماً للأهداف الاستعمارية شأنه شأن جرجى زيدان وسليم سركيس وفرح أنطون وولى الدين يكن وغيرهم فيعقوب صنوع يهودى أساساً وقد حمل الدعوة إلى العامة وأنشأ الصحافة الساخرة للعبث بكل القيم والمقدرات وإدخال عنصر الفكاهة والسخرية بكل شيء ، من الحكمة المكشوفة إلى الكلمة الجريئة ، وهو الذى فتح هذا الباب فى صحافتنا العربية والمصرية ففضى الكتاب فيه من بعد وكان من الأسلحة الخطيرة التى حملها المحترفون فى سبيل العدوان على الاعراض والكرامات والبيوت .

ولم يكن يعقوب صنوع إلا واحداً من هذه المدرسة التى عملت فى صف القصر والاستعمار وخدمت أهدافها بالاستيلاء على قيادة الصحافة والمسرح . وقد حمل معه سموم القصاص والمسرحيات الفرنسية المكشوفة فعر بها ومصرها ، وساهم بمحمد طنعم فى إنفاء المحافل الماسونية فى مصر عام ١٨٦٥ والواقع أن يعقوب صنوع كان صنيعة الخديو أساساً وكان يعلم أولاده اللغة الفرنسية وله قصائد عديدة فى مديحه والإشادة به وتردد أنه كان أستاذاً فى علم الرقص وأنه علمه فى قصور الخديو والباشوات ، وكان أمراء عابدين قد أرسلوه إلى باريس ليتعلم بها فهو ربيب لغتهم أصلاً ، وليس خلافة مع الخديو اسماعيل مرتبطاً بهدف أو إيماناً بفكرة كما حاول بعض التغريبيين أن يصوروه ، بل على العكس كان جرياً مع التيارات الصهيونية والاستعمارية التى حملت على الخسديو رغبة فى إسقاطه .

وإذا كان يعقوب صنوع قد ألف محفلاً أو محفلين فان ذلك كان فى خدمة الماسونية طليعة الصهيونية فى هذا العهد . وقد كشف إبراهيم عبده هذا المعنى فى كتابه عنه حين قال :

كان في محفلة يتحدث عن تقدم الآداب والعلوم في أوروبا . حاملا على تخفيف حدة كراهية النفوذ الاجنبى ومسالمة ، وكان المتحدثون في ندوته يدعون للحكمة والاخاء بين الشعوب وقد كانت جمعيات يحضرها اليهود والنصارى والمسلمون ويعزى بها طلبة الازهر وضباط الجيش . ليعترفوا ، على مبادئ الحرية الاوربية والفرنسية خاصة ، .

ولا شك أن تعبير ابراهيم عبده انما هو محاولة لبثمة لاختفاء صفة الماسونية التى كانت تسيطر على هذه الاجتماعات وكل ما أورده هو من دعواها الخطيرة التى آلت بالمخدوعين فيها الى أن يكونوا خدما معصوبي العينين للبنائين الاحرار الذين يدعون في خفية الى اعادة بناء هيكل سليمان وهم طلائع الصيونية .

لا ريب اذن في أن يعقوب صنوع كان طرفا في الحركة الماسونية وأداة من أدوات النفوذ الاجنبى . وآية خيانتة أنه حين اتسع خلافه مع اسماعيل لجأ الى القنصلية الإيطالية فنال حمايتها واستند عليها في مهاجمة اسماعيل كما لجأ الى حماية فرنسا .

وهكذا تنحسر الهالة الضخمة الكاذبة التى اخفاها هؤلاء التفريديون عن يعقوب صنوع وينكشف في ضوء الحقائق أنه عميل شعبى ماسونى خان لوطنه .

## أديب اسحق

إلى عهد قريب كانت كتب المطالعة في المدارس الأميرية تحمل نصوحاً من كتابات أديب اسحق الذي تصفه بأنه داعية من دعاة الحرية وتنسب إليه أنه كان تلميذاً من تلاميذ جمال الدين الأفغاني وهو بذلك يعلو على الاتهام ويرتفع عن الشك فيه. ولكن الحقيقة لا يبحث عنها خلال إقامة جمال الدين في مصر وقد غادرها ١٨٧٩ وإنما يبحث عن هذه الأسماء التي دارت حول فلك جمال الدين بعد سفره، أين ذهبوا وكيف عملوا، فقد كانوا جماعة من الوصوليين الذين استغلوا دعوة هذا الداعي في سبيل كسب الحساب الاستعمار والتغريب والماسونية، ذلك أن أديب اسحق ما كاد يرى جمال الدين وهو يغادر مصر حتى أصبح ولياً للقصر والاستعمار وأنه حين عاد إلى مصر كرّمته الدولة التي كان يعارضها في ظل جمال الدين وعين وكيلاً لقلم الإنشاء والترجمة بديوان المعارف وأعاد جريدة مصر إلى الوجود وهكذا عاد أديب اسحق ليجد تكريماً من الدولة المحتلة ثم يتصل بالخدو فينعم عليه برتبة البكوية ويصبح كاتماً لأسرار مجلس النواب ومعنى هذا أنه تحول عن مذهبه الأول ثم أصبح من دعاة الاعتدال، إبان الثورة العرابية بما أسخط عليه رجال هذه الثورة ومنع جريدته من أن تكون لسان حالها ولأديب اسحق شعر حل فيه على الثورة العرابية وعرابي.

هذا فضلاً عما عرف عن أديب اسحق من تحلل في الخلق والدين، الصحافة عنده حرفة وليست فكرة، كما عرف بسرعة الانفعال وهياج الأعصاب والتقلب وصفه عارفوه بأنه يؤمن بالجري وراء هوى النفس، كما وصف بالتساهل في طرق معاشرته وإطلاق هواه مما ساق إليه عنف المزاج وحدته وقد كان هذا سبباً من أسباب استفحال مرضه وتعجل وفاته بداء الصدر، وقد عرف أن هدفه كان هو النيل من وحدة العالم الإسلامي تعصباً ضد الدولة العثمانية التي كانت تجمع بين العالمين العربي والإسلامي.

ولعل أخطر ما وجه إلى أديب اسحق من اتهام أنه كان يواجه الاستعمار



البريطاني في مصر ولا يهاجم الاستعمار الفرنسي في بلاده سوريا ، بل كان يعطف  
على فرنسا الأم ويواليها ويصفها بأنها محررة الشعوب . وذلك موضع الاتهام في  
إماتته ككاتب وأخطر معتمز يوجه إلى أدبه وشخصه .

ولقد كان متابعاً بالطبع للماسونية ومن أولياء الدعوة إلى ما دعت إليه من  
أكبار واجلال الثورة الفرنسية والفكر الغربي .

## جرجى زيدان

ما زال دعاة التغريب يخذعون القارىء العربى والمسلم حول جرجى زيدان ويقدمون له روايات الهلال المليئة بالسموم والإتهامات الباطلة والشكوك والشبهات وذلك فى طريق حركة الغزو الثقافى التى تركز على التاريخ الإسلامى وتحاول إفساده فى نظر الشباب ، ولقد ظهرت فى الفترة الأخيرة تراجم جديدة لجرجى زيدان حاولت وضعه فى صفوف الإعلام والمؤرخين بينما أن وقائع حياة جرجى زيدان وحدها كافية لتكشف عن حقيقته فقد اعتمدت عليه المحابر الأجنبية ورافق الحملة النذيلة إلى السودان ١٨٨٤ بوصفه مترجماً فى قلب الاستخبارات ، فلما كشف عنه الاستعماريون ووجدوا فيه طلبتهم أرسلوه إلى بريطانيا وأعدوه إعداداً خاصاً فلما عاد درس اللغتين العبرانية والسريانية وجاء إلى مصر فألف أخطر كتاب فى تاريخ الماسونية وكان من دعايتها الأبرار وعضواً مؤسساً فى المحافل الماسونية ، ولم يقف أمره عند هذا بل أدخل إلى أفكاره وآرائه سموم الآراء الخطيرة التى تحملها هذه الدعوى التى كانت مقدمة للصهيونية العالمية والتى استقطبت كثيراً من الغافلين فى العالم العربى .

وكان الهلال وروايات الهلال من الأدوات الخطيرة فى هذا المجال فى سبيل الدعوة لليهود وتزييف التاريخ القديم . ولقد ثبت اتصال جرجى زيدان بالاتحاديين الأتراك الذين كانوا أداة النفوذ الاستعمارى والصهيونى فى تمزيق الدولة العثمانية وأنهم أولوا اهتمامهم بالكتابة عن الانقلاب العثمانى وكان رأيهم فى السلطان عبد الحميد متابعاً للصهيونية حتى أنه عندما أشار إلى موقفه الكريم فى رفض عرضهم ، لم يزد على أن قال كلمات غامضة لا تكشف الحقيقة تمويهاً وإبقاءاً للشبهة حول الرجل الكريم وكتابات جرجى زيدان تحمل لواء الحصومة لكل وطنى ومجاهد ومصلح : مصطفى كامل وعرابى والمهدى محمد أحمد وغيرهم .

## نيتشه

بعد دعاة التغريب إلى إعلاء شأن الفيلسوف نيتشه وإبراز فكره وكانوا في ذلك غير صادقين ، بل لقد استعملوا جانباً من نيتشه ولم يكشفوا عن حقيقة أو التحديات التي دفعته .

وما رددته الفيلسوف نيتشه لا يتصل بالعصر الإسلامي ولا بالاسلام ولا بالأدب العربي من قريب أو بعيد فقد كان نيتشه مسيحياً وكان هجومه كله على المسيحية الغربية ، وفي كل ما حاول أن يصورها به من قصور أو عجز من مواجهة العلم (كما فعل رينان) من بعده أو إثارة الاتهامات حول شخصية سيدنا عيسى وهل هو إله أم بشر (على نحو ما فعل لدوفيج من بعد) كل هذا لا يطرح على الفكر الإسلامي ولا يمثل أدنى صلة به ذلك أن الفكر الإسلامي في متابعه من القرآن والاسلام يختلف اختلافاً بعيداً في نظرته إلى العلم وإلى النبوة وإلى التوحيد وإلى مختلف مفاهيم الحياة وقيمها .

أما الذين طرخوا نيتشه وفكره في محيط فكرنا العربي الإسلامي فأنما أرادوا إثارة الشبهات وخلق جو من الشكوك والاحاد والاباحة جرياً على التقوية الذي توجه إليه حملات التغريب والصهيونية وهو مهاجمة الدين بوصفه ديناً ، أما الاسلام فليس ديناً بالمعنى الذي يريده هؤلاء أو يقصدونه ، ذلك أنه ليس منهجاً تعبدياً لاهوتياً خالصاً يقوم على العبادات أو الاتصال بالله وحده ولكنه نظام كامل للحياة والمجتمع والحضارة فيه تترابط الصلة بين الانسان والله والانسان والمجتمع جميعاً . ومن هنا فان فكر نيتشه وصيحته ان الله قد مات لا تدخل مطلقاً في نطاق الفكر العربي الإسلامي الا من ناحية دراسة تطور الأديان وعلومها المقارنة .

## ماركس

أبرز مفاهيم ماركس نظرية التفسير المادى للتاريخ وهى نظرية ثبت أنها جزئية وليست صالحة للتطبيق لا من حيث المجتمعات ولا من حيث العصور ، وأنها واحدة من نظريات التفسير الجغرافى للتاريخ ، والتفسير الطبيعى للتاريخ والتفسير الاجتماعى للتاريخ والتفسير الجنى للتاريخ ، وكلها نظريات يقف أمامها الفكر العربى الإسلامى موقفاً واضحاً ، هو أن للفكر الإسلامى نظريتهم فى التفسير الإسلامى للتاريخ أو ما يمكن أن يطلق عليه « التفسير الانسانى للتاريخ » . .

وماركس يدير التاريخ كله حول نظرية القيمة ويفسر بها كل الأحداث ، وقد أصبح الرأى على أن العامل الاقتصادى ليس هو العامل الوحيد الذى يقرر الكيان الاجتماعى لأى أمة ، ذلك أن هناك عوامل كثيرة تؤثر على مجرى التاريخ من بينها العوامل السياسية والقانونية والأفكار الدينية، وفى كثير من الأحيان تكون الغلبة لأحد هذه العوامل وليس للعامل الاقتصادى .

وقد اعتمد ماركس فى دعم نظريته ، وعلى كثير من الأحداث التاريخية الغامضة والى وقعت قبل التاريخ كما حرف كثيراً من الحقائق وتجاهل حوادث أخرى هامة لا تنطبق على نظريته ، وبما ذهب إليه ماركس ولم يتحقق نظريته القائلة بأنه التقدم الاجتماعى من شأنه أن يحقق تقدماً أخلاقياً وقد أثبتت تطورات الحضارة عكس ذلك ، ومصدر أخطاء ماركس أنه اعتمد على الجوانب المادية وحدها ولم يحسب حساب العوامل الفكرية والروحية .

## فرويد

لقد أعطى فرويد تركيزاً ضخماً وأقيمت عليه أضواء كثيرة وطُرحت آرائه بقوة نفوذ الإعلام الصهيوني واليهودي حتى أصبحت من مقررات الجامعات ومصادر الكتابة لدى القصاصين والكتاب ، دون التفات إلى ما هوجمت به آرائه من زملائه وما كشف عنها من نقص . وخاصة في نظرية فرويد الرئيسية

القائمة على أساس الجنس والقائلة بأن غزائر الإنسان هي التي تحكمه وتسيطر عليه وقد خالفه في هذا الاحتمال أقرب اثنين إليه من زملائه : هما ادلويونج ومناقش وقد أجمع الباحثون على أن فرويد (متفيء) أكثر منه عالماً وأنه مخترع للفرضيات أكثر منه لها ، وأن فرويد قد اعتمد على كثير من الأساطير اليونانية القديمة لحولها إلى نظريات ومن ذلك عقدة أوديب وعقدة الكترا .

وقد كشفت الأبحاث التي نشرت أخيراً عن علاقات خطيرة بين هونزل وفرويد ، وأن هدف مذهب التحليل النفسي هو جزء من مخطط بروتوكولات صهيون الداعية إلى تدمير النفس الإنسانية وأن فرويد قد حقق ذلك عن طريق نظريته التي أذاعتها الصهيونية وأعطتها قدراً كبيراً من الاهتمام بما وضع كل النظريات الأخرى والأقرب إلى الصواب في الظل .

وفرويد بطبيعته يهودي يحس بهذا العقد البشع للجماعات الأوربية والإنسانية وقد عاش في النمسا في مجتمع يكره اليهودي ويضطهدهم ، ونقطة الضعف في نظريات فرويد وفي مكانته كعالم هي أنه اتخذ من دراسة نفسه وطفولته قاعدة للتعميم والوصول إلى قوانين عامة ، كما اعتمد فرويد على نماذج كلها من المرضى الذين زاروه ، ولم يعتمد على نماذج من الأصحاء .

ولقد أشار كثير من مؤرخي فرويد إلى أنه كان مجموعة من العقد النفسية وأنه كان من مضى وكانت مزاراة الطبع خلطه ملازمة له في علاقاته بغيره .

## سعد زغلول

لمع اسم سعد زغلول في تاريخ مصر في العصر الحديث لعانا خاطما بما وصف به من أنه قائد ثورة ١٩١٩ - غير أن سعد زغلول من الشخصيات التي انقسم حولها الرأي والتي لم تظهر بالطمأنينة الكاملة في الحكم عليها من جميع الأطراف ، ذلك أن سعد زغلول قبل الحركة الوطنية كان له ولاء مشبوه مع النفوذ البريطاني تجلى في أكثر من مظهر ، وكان أبرز مظاهره مصاهرته لمصطفى فهمي الرجل الذي فرضه الانجليز رئيساً للحكومة بعد الاحتلال فامضى ثلاثة عشر عاماً حاكماً مطلقاً والرجل الذي كان موضع ثقة كرومر وموضع نقمة وكراهية المصريين جميعاً .

وعن طريق هذه المصاهرة التي تمت في حضانة كرومر ، وفي مجال الدعوة التي دعاها إلى ظهور طبقة من الشباب المصريين المتفرنجين الذين يعاونون الاجنبي ويتولون حكم البلاد ، ظهر سعد زغلول لأول مرة ناظراً للعارف عام ١٩٠٧ وكانت شقيقه فتحي زغلول أحد قضاة دنشواي ؛ وفي خلال نظارة سعد حدثت أحداث كان له فيها أكبر قدر من الولاء للنفوذ الاجنبي فقد صدر اللغة العربية بالرغم من الأصوات التي ارتفعت لجعلها لغة التعليم وفرض اللغة الانجليزية ، وأيد امتياز قناة السويس أربعين عاماً في الجمعية العمومية ، وأنه الرجل الوحيد الذي ذكره كرومر في خطاب الوداع بعد أن حكم مصر ربع قرن ووصفه بالرجل العظيم صهر الرجل العظيم ، كل هذه الخلفية لصورة سعد زغلول على رأس الحركة الوطنية تكشف بوضوح عن الدور الذي أعده الاحتلال البريطاني له ، والذي يتمثل في احتلال شخصيات لما ولاء بريطاني محل شخصيات وطنية خالصة ، ومن هنا فقد كان سعد زغلول ولطفي السيد وعبد العزيز فهمي في مقدمة الرجال الذين عملوا في الحركة الوطنية السياسية من داخل دائرة النفوذ الاستعماري ووفق مفاهيمه وهي الدائرة التي حلت مكان دائرة البقطة والاصالة التي أسقطها الانجليز من زعامة البلاد وأقصاها ونفاها قبل الحرب العالمية الأولى .

## لطفى السيد

أن الدعوة التي حمل لوائها لطفى السيد عام ١٩٠٧ على صفحات الجريدة  
وهى مصر للمصريين :

وقد وجدت خلافا كثيرا في تقديرها وفي أصالتها وفي مدى ارتباطها بحركة  
اليقظة العربية الاسلامية وكذلك مدى ارتباطها بمحاولة الاستعمار والنفوذ  
الاجنبى في فصل مصر عن العروبة والعالم الاسلامى والاسلام نفسه . فقد كان  
رأى لطفى السيد وهو مستمد من مفاهيم كرومر وفلسفته أن المصريين يجب أن  
يعيشوا داخل وطنهم دون أن يأبهوا بأن رابطة تربطهم بالعرب كاملة او  
بالعالم الاسلامى وعليهم ان يشككوا مجتمعهم على هذا الوضع منعزلا عن العالم  
القريب الذى اتصلوا به قرونا عديدة ، ولكنه لا يرى بأسا أن يفتح المصريون  
طريقا بينهم وبين الغرب وان يركزوا صلاتهم الفكرية والاجتماعية مع الليبرالية  
الغربية وما يتصل بها من مفاهيم فى السياسة والاجتماع والقرية . ومن هنا  
فتمت بدت دعوة لطفى السيد غربية قلقة ، لأنها انفصلت عن قاعدة التاريخ  
والفكر والامة ، وقد كشفت الاحداث والوقائع أنها لم تكن دعوة خالصة  
فقد كان ورائها حزب الامة الذى هو حزب الالتقاء مع الاحتلال في منتصف  
الطريق ورجاله هم خاصة السراة وصفوتهم بمن شكهم الاحتلال البريطانى .  
وقد كانت هذه الدعوى محاولة للنيل من الدعوة الوطنية الخالصة المرتبطة بمختلف  
قيم العروبة والاسلام ، غير أن الاستعمار استطاع أن يركز اعلام دعوه لطفى  
السيد وأن يدفعها بقوة بعد أن صنع مراكز الحركة الوطنية وهاجر زعمائها  
الى الخارج أو ذهبوا الى المنافي وبذلك أعد المسرح إعدادا كاملا لسيطرة هذه  
النظرية السياسية على مسرح الحياة المصرية بعد الحرب العالمية الاولى تحت سماء  
الاحزاب المختلفة التى كانت جميعا تدور فى فلك الولاء الفسكرى الغربى . وان  
كانت تدعو الى الاستقلال السياسى .

## كرومر

ولّى كرومر منصبه في مصر ممثلاً للدولة البريطانية فترة لا تقل عن ربع قرن

(١٨٨٣ - ١٩٠٧) .

وكان ذا نفوذ بالغ مسيطر على كل أجهزة الحكم وعلى القصر جميعاً ، حتى أطلق عليه صاحب السلطة الفعلية فيما أطلق على الخديو صاحب السلطة الشرعية .

وقد استطاع في خلال هذه الفترة الطويلة أن يؤكد وجود النفوذ الغربى في مختلف جوانب الحياة الاجتماعية والسياسية والتعليمية والقانونية المصرية ، وتمثل تقاريره فلسفة كاملة للتعامل بين النفوذ الاستعماري والمصريين ، وقد استطاع كرومر أن يعد ركيزتين هائلتين في سبيل دعم الاحتلال البريطاني والنفوذ الاستعماري كان لهما أثرهما البعيد بعد ذهاب كرومر وإلى وقت بعيد ، هاتان الركيزتان هما :

وضع لطفي السيد على رأس صحيفة الجريدة لسان حال حزب الأمة منذ عام ١٩٠٧ إلى عام ١٩١٤ ليبت يومياً فلسفة استعمارية إقليمية تمثل المنهج الغربى الاستعماري الذي ورثناه خلال فترة الاحتلال البريطاني كله والذي ماتزال أنارُهُ ممتدة إلى اليوم بالرغم من كل محاولات التحرير والاصلاح :

ووضع سعد زغلول على رأس نظاره المعارف تأكيداً للمعانى التي حرص النفوذ البريطاني على تحقيقها من خلال التربية والتعليم وأهمها فرض اللغة الانجليزية على مختلف مناهج التعليم ورفع مناهج القرآن والتاريخ الاسلامى والمفاهيم الاخلاقية والاجتماعية والتربوية الاسلامية من المناهج وكان كرومر حقيقياً بشكوين جيل يرث الاحتلال البريطاني ويكون من متفرجيه المصريين الذين يؤمنون بصداقة بريطانيا ويوالون النظريات الغربية في مختلف مجالات الاجتماع والسياسة وقد تحقق هذا فعلاً وتحققت ثمرته بعد الحرب العالمية الاولى وفي فترة ما بين الحربين على أوسع نطاق .



## دنلوب

كان اسم دنلوب من الاسماء الاستثمارية الضخمة فقد وكل إليه كرومر شئون التعليم فكان مستشار نظارة المعارف منذ وقت طويل وامتد نفوذه إلى قبيل الحرب العالمية الأولى .

وكان ذو جلاس دنلوب قسيساً أرنندياً اختره كرومر ليحقق به سيطرة النفوذ الغربي على مناهج التعليم والتربية فكان عمله أشد قسوة مما حققت مناهج مدارس الإرساليات الأجنبية فقد استطاع إسقاط كل الجوانب التي من شأنها أن تبني العقل العربي الإسلامي من مناهج التعليم خاصة فيما يتعلق بالقرآن والتاريخ واللغة والأدب .

وأضاف كثيراً من تراث الفكر الغربي وخاصة الأدب الانجليزي بهدف خلق طاقة إعجاب وتقدير للمستعمر وإعلاء شأن الحضارة الغربية والنفوذ الاستعماري ، وعهد إلى خلق ولاء أوروبي في النفس المصرية يستهدف إحترار القيم العربية والإسلامية والمصرية ويؤمن بأن المصري كان طوال تاريخ مستعبداً بالفرس واليونان وبالغرب أيضاً فقد اعتبر دنلوب العرب مستعمرين للبصريين وحرى على المنهج كثيرون من بعد .

كما أعلى في نفوس الشباب المصري الإعجاب بالأوروبي ، والنظر إلى الاستعمار البريطاني على أنه عملية تمدن للشعوب المتأخرة ، وحاول أن يجعل العلاقة بين المصريين والبريطانيين علاقة صداقة .

غير أن هذه المناهج جميعاً لم تلبث أن فشلت ولم تحقق الأهداف التي طمع إليها النفوذ الاجنبي .

## ولفنجستون

حاولت كتب الجغرافيا في المدارس العربية إسداء صفة البطولة على قادة  
الرحلات التبشيرية والاستعمارية من أمثال : هنري الملاح وولفنجستون  
وفاسكودي جاما ووصفهم بأنهم طلائع السكشوف العلمية وكان ذلك نتيجة لسيطرة  
النفوذ الاستعماري على مناهج التعليم في العالم العربي كله ، والواقع أن هؤلاء لم  
يكونوا مكتشفين ، ذلك أن كل المناطق التي ارتادوها كانت مكتشفة فعلا ومعروفة  
للدورخين والرجال العرب من قبل ذلك بمئات السنين .

وان ما ورد من أن ولفنجستون وسمويل بيكر قد اكتشفا أفريقيا هو  
محض ادعاء يكذبه من أورده ابن بطرلة في رحلته من وصوله إلى أعلى نهر النيجر  
وإلى تمكثو وسكوتوا قبل أن يصل إليها هؤلاء الأوربيون بنحو ثلاثة قرون  
وكذلك ذكرها السامح الهروي ولقد كان العرب يعرفون هذه المناطق منذ وقت  
طويل قبل وصول هؤلاء المستعمرين المبشرين ، وقد بقيت تمكثو وهذه المناطق  
أعصرأ طويلة جزءاً من سلطنة المغرب الأقصى وهذا ما يؤكد أن سمويل بيكر  
لم يكن مكتشفاً للمناطق النيلية الأبيض لأنها لم تكن مجهولة في وقته عام ١٨٦١

ويتحتم هنا أن نقول ان العرب هم الذين قادوا ولفنجستون إلى بحيرة  
تنجانيقا عن طريق زنجبار وكان ذلك بمساعدة السيد حامد بن محمد المعروف  
باسم ( تيبو سيب ) أشهر تاجر في تلك الأصقاع ولما انقطعت أخباره وجاء  
( ستانلي ) لبحث عنه لم يستطع أن يصل إليه في مدينة ( أجيجة ) إلا بمساعدة  
السيد حامد كذلك . ولقد كتب ولفنجستون في تقريره ( أن نهاية الاكتشاف  
الجغرافي هي بداية العمل التبشيري وأن هذه حقيقة كلية إذ أنه من المحال أن  
نكتشف أرضاً جديدة دون أن ينبذ ذلك فينا سوق دعوة أهلها إلى الانجيل )  
وهكذا ينكشف الخطط الصريح الكامن وراء ذهاب هؤلاء الطلائع إلى هذه  
المناطق كخدمة للبعثات التبشيرية والإرساليات .

ولدينا نص يؤكد هوية ولفنجستون أورده ( رولاند اوليفر ) في كتابه :  
( العامل التبشيري في شرق أفريقيا ) حين قال : لقد أعد ولفنجستون نفسه منذ

سنوات حياته الأولى حين كان يعمل في جمعية التبشير اللندنية للاضطلاع بمشاكل التبشير الخاصة بأفريقية الاستوائية وبالعمل بين شعوب فطرية في بلاد لم يكن قد سكنها الأوروبيون . .

وفي عام ١٨٤٩ كان ولفنجستون لا يزال يفكر بطبيعة الحال في التجارة أكثر من الاستعمار . وبما أنه كان أولاً وقبل كل شيء مبشراً فقد اختار كعضو في هذه الحملة التبشيرية أن يبحث عن نهر تستطيع السفن أن تمر فيه داخل البلاد، ولقد أراد ولفنجستون أن يستكشف طريقاً في أفريقيا للمبشرين لا للمدنية، كان ولفنجستون مبشراً قبل أن يكون رحالة ولم تكن رحلته المشهورة إلا تمهيداً للبعثات التبشيرية (١) .

هذه هي الحقائق التي غفل عنها مع الأسف أولئك الذين حاولوا تصويراً هؤلاء بأنهم أبطال استكشاف جغرافي وخدعونا عنهم، ولقد ذهب بعض الأدباء والكتاب إلى مجازاة هذا الاتجاه فكتب أحدهم في صحيفة كوكب الشرق عام ١٩٣٣ بحثاً يمجّد فيه ولفنجستون ويصفه بأنه من رجال الإصلاح وبالشخصية العظيمة:

وكان هذا جرياً من التيار التغريبي الذي يريد أن يكسب رجاله طابع البطولة !

## فاسكودى جاما

كان أمثال هنرى الملاح فى آسيا وولفنجنستون فى افريقيا وفاسكودى جاما فى الهند من طلائع التبشير والاستعمار بالرغم من كل ما أضفته عليهم بعض الكتابات التاريخية الزائفة . ولم يكن دورهم الذى تأهوا به إلا من عصارة جهد المسلمين والعرب الذين رافقوهم فى هذه الرحلات ، وفاسكودى جاما لم يستطع أن يصل إلى الشواطئ الشرقية إلا بمساعدة البحار المسلم الهامى ( أحمد بن ماجد أميد البحر ) الذى كتب أبحاثاً كثيرة فى أمور البحر والرحلة فيه .

بل أن دى جاما قد خدعه حتى استطاع أن يحقق غرضه وذلك بعد أن أسكره بالنبيذ ودفعه بالتهديد إلى أن يتوجه حمله إلى الهند . وقد كانت كتب أحمد بن ماجد هى العون الأول لكل الغزوات التبشيرية فى اكتشاف الطرق البرية ومسالكها عن طريق العلامات التى أوردها لهداية البحار من نجوم ومسالك بحرية وعلامات الليل والنهار .

وقد انصف فاسكودى جاما بكرمه للمسلمين والعرب وقد ضرب بمدافعه الثقيلة أثناء رحلته إلى آسيا مركباً عزلاء تنقل الحجاج إلى مكة فأحرقها بعد أن نفل أموال أهلها وأمتعتهم إلى أسطوله وبعد أن حذر على رجاله إنقاذ الفرق منهم وفيهم النساء والأطفال حتى هلكوا جميعاً إلا عشرين طفلاً بعث بهم إلى البرتغال حيث حملوا على اعتناق النصرانية .

وقد كذبت الوقائع التاريخية ما حاولت الكتب العربية المؤلفة فى ظل النفوذ الاستعماري أن تنسبه إلى فاسكودى جاما من أنه وصل إلى كلكتوتا ، ذلك أنه لم يذهب إلى ( كلكتوتا ) بل وصل إلى مدينة أخرى تدعى ( كاليبكوت ) تقع على ساحل كيرالا فى الجنوب الشرقى من شبه جزيرة الهند وتبعد بأكثر من ألف ميل عن ( كلكتوتا ) التى تقع على مصب نهر الكونج فى الشمال الغربى من الهند .

## الغزالي

لم يواجه مفكر مسلم بمثل ما واجه به الامام الغزالي من شراسة الحملة عليه ومحاولة تدميره وكان مصدر الحملة عليه هو موقفه المشرف من الفلسفة الالهية اليونانية وهى الفلسفة الوثنية التى تعارض مفهوم التوحيد فى الاسلام معارضة واضحة صريحة ، أما موقف الغزالي من الفلسفة الطبيعية أو الفلسفة الرياضية فلم يكن موقف المعارض لها بحال .

ومن هنا نعرف مصدر الحملة وأسبابها فقد كانت حملة الداعين إلى تدمير الفكر الاسلامى بالفلسفة اليونانية ومعارضة من يقف منها الموقف الواضح الصريح ، ومن خلال هذا المفهوم كانت حركة التعريب والتبشير والاستشراق وراء رسالة زكى مبارك ( الاخلاق عند الغزالي ) ووراء غيرها من بعد حتى يقول أحدهم « إن كتاب تهاقت الفلاسفة للغزالي كان بمثابة الرناج الذى أغلق باب الفكر الفلسفى فظل مغلقا ما يزيد على سبعة قرون ، ومن الحق ان يقول ان الفلاسفة اليونانية قد فشلت فشلا ذريعا فى محاولتها الاولى إبان عصر العباسيين كما فشلت فى محاولتها الثانية فى العصر الحديث فى ان تخرج الفكر الاسلامى والثقافة العربية عن جذورهما بالرغم مما أتيح لهما فى هذا العصر من حرية واسعة فى نقل الوثنيات والمسرحيات والأساطير بما رفضه المسلمون الاول ، ومع ذلك فإن المسلمين يعرفون أن فلسفتهم تنطلق من الفقه الاسلامى وإن منطقهم مستمد من القرآن كما حرره ابن تيمية وأن الفلسفة الاسلامية تقوم على التوحيد وتنبئ فى مجتمع يختلف كل الاختلاف عن مجتمع اليونان العبودى أو مجتمع الغرب الوثنى الإباحى .

ولقد كشف الامام الغزالي عن الوفاء بين أسلوب القرآن وأسلوب المتكلمين فقال : ان أدلة القرآن مثل الغذاء ينتفع به كل إنسان وأدلة المتكلمين مثل الدواء ينتفع به آحاد الناس ويستضر به الاكثرون بل أن أدلة القرآن كالماء الذى ينتفع به الصبي الرضيع والرجل القوى ، وسائر الأدلة كالاطعمة التى ينتفع بها الأقوياء مرة وبمريضون بها أخرى ،

لقد أنكر الغزالي النتائج التي توصل إليها فلاسفة ما وراء الطبيعة والإلهيات  
واعترف بصحة آراء فلاسفة المنطق والرياضيات والطبيعات .

أما رد ابن رشد على الغزالي فقد جاء بعد مائة عام حيث لم يكن ابن رشد  
معاصراً للغزالي ولذلك فإن المقارنة بينهما والقول بأن كتابه تهاافت التهاافت هو  
ود على الغزالي ، هذا القول من الناحية العلمية يبدو عملاً من أعمال التزوير التي يريد بها  
خصوم الغزالي أن يصوروه في موقف الهزيمة بينما نرى أن كتاب ابن رشد  
يوافق الغزالي في أكثر مسائله ويختلف معه في أقلها وبينهما قرن من الزمان .

## كارل مارتل

يحاول الاستعمار والتخريب أن يضفي على اسم (كارل مارتل) معنى البطولة وذلك لانتصاره على المسلمين في معركة (تور أو يوانية) التي يطلق عليها اسم معركة بلاط الشهداء عام ٧٣٣ م ١١٤ هـ وهى المعركة التي توقف عندها التوسع الاسلامى فى أوروبا ثم عاود حركة على أيدي الأغالبة فى تونس .

والحق أن هذه الموجة كانت قد وصلت إلى غايتها منذ بدأت عام ٥٩٢ هـ حتى توقفت عام ١١٤ ، وكان قوامها البربر والعرب معاً وقد استنفدت قوتها وبعثت عن جبل طارق الذى هو نقطة بدأها نحو ألف ميل . فكان بلوغ الزحف موقع (بلاط الشهداء) فى الحق هو أقصى ما يمكن أن تبلغه هذه الموجة .

غير أن ما وجه إلى كارل مارتل من التشريف والتكريم لم يكن فى الحقيقة إلا مثلاً لوجه نظر المتعصبين الذين حاولوا بكل ما أوتوا من قوة أن يوقفوا زحف الاسلام على أوروبا ولكن المنصفين من المفكرين والباحثين والعلماء لم تفهم الإشارة إلى مدى الخطر الذى لحق أوروبا نتيجة لتوقف التوسع الاسلامى مما أخرج نمو الحضارة سبعة قرون كاملة وقد شهد بذلك دكلودفاريير، أحد كتاب الغرب الذى قال بأن موقف كارل مارتل الهامجى أبقى على ظلمات أوروبا سبعة قرون وحال بينها وبين أنوار الحضارة الاسلامية وهكذا شهد شاهد من أهله .

## دوركايم

أبرز ما وصل اليه دوركايم هو أنه ألغى الفطرة ، وحاول عن طريق فاسفة عنيدة أن يقول بأن الدين ليس فطرياً وأن الزواج والأسرة ليسا فطريين وأن القواعد الأخلاقية ليست فطرية .

وتقوم نظرية دوركايم في نطاق النظرية المادية التي تجد قاعدتها في دارون ومبرسته وهي شطر النظريتين : النفسية ونظرية التفسير المادى للتاريخ وتستهدف نفى القداسة والأصالة عن الأسرة والأخلاق والمجتمعات .

ودوركايم فيلسوف فرنسى يهودى « كان على صلة بعيدة المدى بالدراسات التاريخية والاجتماعية التي أداها الدكتور طه حسين وكان مشرفاً على رسالته عن ابن خلدون » هذه الرسالة التي حملت كل أساليب التحقير والاستهانة بابن خلدون وفكره ومفاهيمه . وقد خضع الدكتور طه حسين في ذلك إلى نظرية دوركايم ولأدأ للفكر الغربى الجانح إلى احتقار الفكر العربى الإسلامى وتقديره لاستاذة ، ولقد ظل طه حسين في مختلف دراساته التي قدمها خاضعاً للمذهب الاجتماعى الذى قرره دوركايم ، عندما درس المجتمع الإسلامى والفتنة الكبرى ومذاهب الأدب وتراجم الأعلام وغيرها ، وعن مذهب دوركايم « نزل إلينا تلك الفكرة المادية الإلحادية حين أعلن « أن الدين لم ينزل من السماء وإنما خرج من الأرض كخروج الجماعة نفسها » .

وهذا بالنص من آراء دوركايم وقد واجه طه حسين وآرائه هذه معارضة كبيرة في ضوء مقاييس الفكر العربى الإسلامى الذى يؤمن بالفطرة والذى يعرف الأهداف الضخمة وراء دعوات أمثال دوركايم وهم من داخل مخطط الصهيونية العالمية الذى رسمته بروتوكولات صهيون حيث يقول : ( لقد رتبنا نجاح دارون وماركس ونييتشه بالترويج لأرائهم وأن الأثر الهدام للأخلاق الذى تنشئه علومهم في الفكر غير اليهودى واضح لنا بكل تأكيد ) .



## دارون

اكتسب دارون شهرته الضخمة نتيجة لنظريته القائلة بالتطور، وان الانسان تطور من الحيوان . وفي الحقيقة أن دارون لم ينكر وجود الله ولا أنكر قوة الخالق الذي خلق الخلية الأولى . وقد أشار صراحة إلى أن الحياة في الأصل بدأت بقدره الخالق العظيم ، الخالق لأصل الأنواع ولم يقل دارون بالتولد الذاتي أو نفي الخالق وإنما قال بذلك آخرون تلقوا هذه النظرية وأرادوا أن يجعلوها قاعدة أساسية للفلسفة المادية التي انبنى عليها من بعد صرح منضم من الفلسفة فيما يتعلق بعلاقة الانسان بالحياة وعلم النفس ومنها انبثقت فلسفات الماركسية والفرويدية ونظريات دوركيم وغيره ، غير أن الطبقة الأولى التي حملت لواء النظرية وجوانها عن طبيعتها تمثل في لا مارك وأرنست هيكل وأوبارين ومن بعدهم جاء سننبر ثم جاء كثير من الماديين الغلاء .

ولا مارك قال بالتطور قبل دارون ولكن دارون كان أكثر اعتدالاً منه ولم يقل دارون بأن الإنسان والقرد من أصل واحد أو أن القرد هو أبو الإنسان الأول وإنما قال بذلك الغلاء . ولم ينسب الحياة إلى المصادفة ، وغيره هو الذي قال أن الحياة الأولى تولدت من المادة تولد ذاتياً دونما أي تدبير من مدبر ، ولكن النظرية المادية كلها نسبت اليوم إلى دارون وكل ما قاله دارون أن الإنسان والمجموعة الشبيهة بالشيمبانزي منحدرون من أصل واحد ، وقد وجدت نظرية دارون معارضة من كثير من العلماء في مقدمتهم هكسلي تلميذ دارون الذي نفى أن الإنسان قد انحدر من القرد ، كما أنكر وجود أي نوع من النبات أو الحيوان نشأ بالانتخاب الطبيعي أو الانتخاب الصناعي وكان أجاسيز في مقدمة من عارضوا النظرية حينما قال أن التشو لا يتم إلا وفقاً لخطه إلهية حكيم ، وأن الاصطفاء الطبيعي إذا حل محل الخلق الإلهي فإن الإنسان يكون قد جرد من روحه وعدالة صماء وأن الفكرة التي يعتقها الدارونيون عن تناسل نوع جديد بواسطة نوع سابق ليست إلا افتراساً إعتباطياً يتعارض والآراء الفسيولوجية الرصينة .

وأنكر العلامة (والاس) : أن يكون الانسان قد تم على طريقة التطور والارتقاء حيث قال : أن الارتقاء بالانتخاب الطبيعي لا يصدق على الانسان ولا بد من القول بخلقه رأساً .

وقال (فرخو) . أنه قد بين لنا من الواقع أن بين الانسان والقرد فرقاً بعيداً فلا يمكننا أن نحكم بأن الانسان سلالة قرد أو غيره وقد أشار فريدوجدي الى الاعتراضات الموجهة الى نظرية دارون فقال أنها : (أولاً) عدم مشاهدة أى ارتقاء من أى نوع كان فى الاحياء الارضية من عهد ألوف السنين .

(ثانياً) عدم وجود الصورة المتوسطة بين الأنواع اللازمة لمذهب التسلسل كان يوجد مثلاً حيوان أرقى من القرد ورتبة واحدة وأدنى من الانسان رتبة واحدة .

(ثالثاً) طول الزمان اللازم لحصول الترقى بين الاحياء فان عمر الارض كما قالوا لا يكفى لأحداث كل ما يرى من هذه الاشكال المختلفة غاية الاختلاف .

وقال نديم الجسر : أن الحيوانات البحرية الدنيا باقية حتى اليوم على الحالة التى كانت عليها من ابتداء العالم ولم نجد أنها تأثرت بناموس الارتقاء ولو كان ناموس الارتقاء أكيد لوجب أن يكون الاعلى منها كذوات الفقرات قد وصل الى أعلى الطبقات .

وبعد ، فان الخطر فى نظرية داردن لم يكن فى النظرية نفسها واتما كان فى محاولة تطبيقها على المجتمعات كما فعل سبنسر وبجنز ثم انخبت بعد ذلك أداه هدم للأديان ولكل ما ليس مادى من جوانب الغيب الخفية عن الحس والمشاهدة غير أن ما حققته كشوف الذرة فى الاعوام الاخيرة قد حطم هذه النظرية نهائياً .

## هـ . ج . لورنس

إذا كان فرويد هو مقبىء مذهب التحليل النفسى على أساس الجنس وهو المذهب الذى عارضته كل المناهج الفلسفية والنفسية الأصلية فإن هـ . ج . لورنس هو أبرز من طبق هذا المذهب فى كتاباته ، أو كان هو بشخصيته وإنتاجه رمزا على الانحراف الخطير فى الشخصية الانسانية حين يستعلى ويحاول أن يتصدر أنه منطلق من مفاهيم الحرية .

وقد عنى لورنس بتصوير أزمته النفسية تجاه العجز الجنسي الذى كان مصدره حب أمه له وإسرافها فى احتضانه حتى فقد قدرته الحسية ، فكانت كتاباته ثورة على كل القيم . وقد كان أدب لورنس بالإضافة إلى أوسكار وايلد فى إنجلترا إلى بودلير . وبووست فى فرنسا ظاهرة من ظواهر الانحلال الخلقي التى عملت على تدمير المجتمع الأوروبى بعد إشاعة الانحلال فيه ، وقد كان لدعوة لورنس إلى تجنيد الفوضى الجنسية أثرها البعيد فى المجتمع الانجليزى وشاعت قصة عشيق اللادى شارلى التى تصور امرأة منحرفة متزوجة من رجل مريض ، وقد عكس لورنس آلام حياته واضطرابها فى قصصه ومات فى سن الخامسة والأربعين مريضا بالسل وكان خلاصة موقفه كما صورته أحد نقاده .

لقد ضحى لورنس بكل شيء حتى نفسه وبكل القيم الانسانية التى كان يغير شك يكتبها فى نفسه فكانت تسبب له فى حياته أشقى صراع وانقسام نفسانى ، وكان ذلك فى سبيل إشاعة الفوضى النفسية التى ارتدت إليه آخر الأمر وقتلته بعد أن جرعت غصص الشقاء فى حياته .

نعم ، لقد خسر لورنس كل شيء وكسبت القوى التى حركت لورنس وأفادت من إثارة لتذيع دعواها الإباحية وتعمق هدفها من المفاهيم التى أعلنها فرويد وطبقها لورنس .

## جبران خليل جبران

لمع اسم جبران خليل جبران لمعانا خاطفاً في الثلاثينات ثم لم يلبث أن انطفأ، ذلك أن المذهب الأدبي الذي حمل لواءه كان براقا مليناً بالظلال والاضواء استطاع أن ينفذ إلى نفوس الشباب في ظل أجواء غلبت فيها الوجدانية والمشاعر السائية، غير أن هذا التيار لم يستطع أن يثبت فقد اكتسحه تيار الأصالة العربية المستمدة من الجذور العميقة للبلاغة والبيان، والمستمدة أساساً من القرآن فقد عمد جبران ومدرسة المهجر الشمالي إلى إعلاء أسلوب التوراة واتخاذ مزامير داود وكتابات العهد القديم نمطاً. من أنماط الكتابة العربية، كخطوة قالة للخطوة التي حاول تحقيقها مترجموا الكتاب المقدس إلى اللغة العربية حين رفضوا وضعه في الأسلوب فصيح، وأصرروا على بقائه في أسلوب العامية، ثم جاء جبران ونسيمه وغيرهم محاولوا أن يتخذوا من هذا الأسلوب منهجاً في الكتابة وفتحوا كلماتهم بعبارات التوراة: (الحق أقول لكم، في البدء كان الكلمة) ثم أضافوا إلى ذلك قدراً من العبارات المجنحة المضنية التي نقلوها من الشاعر الأمريكي ويتمن وظنوا أن زخرفة الورق وجمال الطباعة والاهتمام بالنشر بين شباب العرب سوف يفرض هذا اللون فرضاً وسيحيل إليه الأذواق والأذهان غير أن صوت المنفلوطي في أسلوبه العربي البليغ المستمد من القرآن لم يلبث أن غلب هذه الصيحات وأقام معبراً يصل بين بلاغة الجاحظ وكتابات الزيات والرافعي وزكي مبارك وغيرهم مما أسقط أسلوب الظلال والاضواء، الأسلوب الحالم الغريب الذي لا يتصل بالمزاج النفس العربي ولا يستمد من أصالة اللغة والبيان العربي، ولا يجرى مع طابع الأدب العربي وذائته التي ترفض كل دخيل وبذلك سقطت مدرسة جبران خليل جبران وما تزال تسقط بالرغم من محاولات إحيائها من جديد.

## أبو نواس

أعلا الدكتور طه حسين وجماعة النخريين من شأن عديد من الشعراء والكتاب محاولين اعتبارهم نماذج عليا في الأدب العربي ، في نفس الوقت الذي هاجموا وزيفوا فيه حياة آخرين ، وكانت المقابلة هي : تزييف المتبني وإعلاء أبي نواس .

ولقد اعتبر طه حسين (أبو نواس وشار ومطيع وحامد عجرد والخليع) هم مثل عصرهم بينما لم يكن هؤلاء في الحقيقة إلا ثلاثة من المنافقين الخلقاء الذين كانوا موضع كراهية المجتمع واحتقاره لسواهم الاجتماعي ، أما بالنسبة للأدب العربي والفكر الإسلامي فقد كانوا مجموعة من الشعوريين الذين لا يمثلون الروح العربية ولا المزاج الإسلامي ، وقد كانوا في الأغلب من زنادقة الفرس المجوسيين فكثيراً بالرغم من التصاقهم بالمجتمع العربي الإسلامي .

وقد رد بعض الباحثين اضطراب حياة أبي نواس إلى وضعه الاجتماعي وموقفه من أمه (جليان) وقد أشار بعضهم إلى أنه أدركته عقدة أوديب فأحب أمه وكلف بها كلفاً بلغ الهيام ، مما أفسد عليه الحياة الاجتماعية من بعد فكلف بالخر والتخذ منها غاية وافقت بها ، وقد وصف الخمر وغلا في وصفها وقال فيها ما لم يسبق إليه .

أما أم أبي نواس (جليان) فقد ظلت سوء صفحتها تطارده وتفسد عليه حياته ، فقد تركها زوجها هاني (أحد جنود مروان) وتوفي فكانت تعاني وولدها شطف العيش حتى فارقت الأهواز واستقرت في البصرة وأصبح بينها مباءة الغاوين والضالين ، فلما وعى أبو نواس وأدرك أحاديث الناس عن أمه مال عنها والتحق بالغواة فعقب من الخمر ما ينسب تلك الأحاديث التي كانت تصيب منه .

مقتلاً ويخرج كرامته ؛ ثم التحق يواليه بن الحباب الذى بصره يقول الشعر وأغرقه فى بحار المذات واللجوء إلى الحانات فانتقل به إلى الكوفة والبادية لتقويم لسانه وإطلاعه على أقوال العرب ثم كانت عودته إلى البصرة والتزامه خلف الأحمر الذى حفظه من شعر العرب ألف قصيدة ثم أمره نسيانها . وانتقل إلى بغداد فعمب من اللذات ما شاء وأحب من الجوارى العائبات ( جنان ) وتعزل بها وبعدها ثاب إلى رشده (١) .

وقد كان لاضطراب حياته بين موقفه من أمه وحبه لجنان ما أنشأ فى نفسه مذهب العرجسية ، (ثم مضى لإسرافاً فى المجون واغراقاً فى العبث وغلا فى الاعتداد بنفسه حتى لم ير غيرها ففتن بنفسه) .

ومما يصفه به خصومه وأصدقائه على السواء أنه كان شعوبياً ، أغرق فى التنكر للعرب والسخط عليهم ، ثم اتخذ (أبو نواس) مزالماً يستهتروا بالازدراء بكل شئ وإهدار كل قيمه .

وكان لطفه حسين أكبر الفضل فى إذاعة شعر أبى نواس وتقريره على طلبة وطالبات كلية الآداب وامتجائهم فيه ، وهو شعر العزل الحسى والعزل المذكر وقوله فى تبجح شديد : ان هذه الفنون (١) من جد أبى نواس ودعابته ليست خطراً على الشباب ، لا تقصد أخلاقهم ، (٢) وهذا ولا شك بى للتدليل على أن طه حسين بعد أن بلغ هذا السن لا يزال مصرعاً على ما قاله عام ١٩٢٤ فى مطالع الشباب ولا يزال داعياً إليه وقد كنا ظننا أنه قد تاب وأناب عن اسرافه وخطأه .

---

(١) عن بض لشعار فواز .

(٢) طه حسين : خصام وقد ص ٢١٥ .

## هرتزل

كانت دعوة « هرتزل » إلى الدولة الصهيونية التي أعلنها ١٨٩٧ بدأ بتاريخ جديد في الفكر العربي الاسلامي المعاصر ، وقد حاولت الصحافة الادبية والسياسة في الثلاثينات من لعلاء شأن هرتزل وخليفته ماكس نوردو وحفلت الهلال والمقطف والاهرام والعصور والمجلة الجديدة بإذاعة ما اسمته « السامية » وجرى ذلك كله داخل إطار المحافل الماسونية التي كانت قد انتشرت في البلاد العربية باسم البنائين الاحرار الذين كانوا يجندون الصهيونية على النحو الذي نعرفه باسم إعادة بناء هيكل سليمان ، ولم تكن في هذه الفترة قد توافرت أبعاد الحركة الآن ، فلم تكن قد كشفت بعد العلاقة بين هرتزل وبين ماركس وفرويد ودوكايم ، وقد انكشفت هذه العلاقة في السنوات الاخيرة واستعلنت الصلة بين دعوات التحلل الخلق والاجتماعي وبين الصهيونية العالمية وكان من أبرز ما كشف عام ١٩٥١ تقريباً هو « بروتوكولات صهيون » التي عرفتها أوروبا منذ عام ١٩٠٢ وظلت محجوزة عن الشرق الاسلامي بحوالي خمسين عاماً ، حتى لا يتعرف المسلمون والعرب على المخططات التي وضعت للقضاء عليهم وتدمير مقوماتهم والاستيلاء على فلسطين .

ولقد كان هناك زيف كبير وتمويه كبير للتغطية على موقف من أخطر المواقف التي واجهها هرتزل ذلك هو موقف السلطان عبد الحميد الذي عارض لإغراءات وتهديدات الصهيونية العالمية التي حملها اليه هرتزل وأعلن رفضه البات عن إتاحة أى فرصة لليهود لإقامة أى وضع لهم في فلسطين وكان هو وملسكه والدولة العثمانية ضحية هذا الموقف الشريف ، في نفس الوقت الذي وجهت إليه الصهيونية العالمية حملة عاتية عن طريق الصحافة العربية تنهم فيها بالإستبداد والظلم وقد سجل هرتزل في مذكراته تلك العبارات النارية التي وجهها اليه السلطان عبد الحميد إباءاً وحفاظاً على أرض الاسلام .

## ابن المقفع

احتفل دعاة التغريب بابن المقفع وأعلوا من شأنه حتى لقد بلغ بهم بأنه هو الذى أدخل النثر الفنى إلى الأدب العربى ، وقد كان هذا فى الحق تمهيدا ومحاولة لإنكار أثر القرآن الكريم فى الأدب العربى ونسبة البلاغة العربية إلى الفرس .

والواقع أن ابن المقفع لم يكن إلا داعية من دعاة المجوسية أعلن إسلامه تقية وتخفيا حتى يحقق أغراضه وأن ما نقله إلى الأدب العربى من الأدب الفارسى كان واضحا فيه تعتمد إذاعة الفكر الوثنى فقد قدم كتاب مزدك ثم كتاب برزويه وكان هدفه من هذا إذاعة الشبهة حول وحدة الأديان والقول بتناقضها وعند ما كتب تاريخ الشعوبية والحملة الباطنية الحاقدة على الإسلام اعتبر ابن المقفع واسمه (روزبه) فى مقدمة العاملين فى هذا المجال ودعائه الأول ، وقد سجل ذلك الدكتور على سامى النشار فى كتابه (مقدمة مناهج البحث عند مفكر الإسلام) وقال أن روزبه القديم عبد الله بن المقفع كان أكبر طاعن على الإسلام وأن كتابه : مرزوك وبرزويه (الواقع فى مقدمة كليله ودمنه وليس منها) إنما قصد بهما إثبات تناقض الأديان وبخاصة الإسلام وعدم يقينها فضلا عن أن باب برزويه يحاول التشكيك فى القرآن بالخطأ والتناقض والدعوة إلى أن الفلسفة هى طريق اليقين .

وكان الدكتور طه حسين هو مقدمة من أعلوا من شأن ابن المقفع جريا وراء ما رددته المسقشرون من أثره فى الأدب العربى نتيجة تأثره بالثقافة اليونانية وذلك متابعة للذهب الغربى الوافد الذى ينسب كل شيء من عظمة الأدب العربى أو الفكر الإسلامى إلى اليونان أو الفرس أو الفكر الوافد، تجميلا لأثر القرآن الذى هو المصدر الحقيقى والأساسى للفكر الإسلامى كله .

ولقد أسلم ابن المقفع إسلاما فيه رية ، وكتب فى الزندقة كتباً كثيرة رد عليها المسلمون ، وقد انتهى به أمره شر نهاية ولقد شهد النقاد بأن أسلوب ابن المقفع لم تكن فيه لصالة العربية ولاروعتها ، وشهد بذلك طه حسين نفسه حين قال



أن ابن المقفع عند ما يتناول المعاني الضيقة التي تحتاج إلى الدقة في التعبير يضعف فيكلف نفسه مشقة ويكلف اللغة مشقة وأن الأصمعي لا حظ أنه يلحن وأخذ عليه الجاحظ أنه لم يكن يحسن ما يحاول من الفنون .

ومن عجب أن يحاول دعاة التغريب وضع هذا الرجل المجوسى على رأس النثر الفنى فى الأدب العربى بعد نزول القرآن بأكثر من مائة عام، والقرآن لاشك هو المصدر الأول للنثر الفنى فى اللغة العربية والأدب العربى الذى لم يعرف هذا الفن من قبل ، قال السيد المرتضى فى أماليه قال جعفر بن سليمان روى عن المهدي أنه قال ما وجدت كتاب زندقه قط إلا وأصله لابن المقفع وروى البعض أنه مر بيت النار بعد إسلامه فتمثل يقول الأحوص :

يادار عائكة التى اتعزل خذر العدا وبك الفؤاد موكل  
إنى لا منحك الصدود وانى قسما لىك مع الصدود الأمثل

يقول الجاحظ : أنه كان يجتمع على الشراب مع مطيع بن اياس وواليه بن الحباب وبشار بن برد وأبان اللاحقى فيهجو بعضهم بعضا وكل منهم متم فى دينه .

هذه هى حقيقة ابن المقفع ، أما ما أورده أحمد أمين وبطرس البستاني وغيره من زخرفوا صورته فردود والواقائع الصحيحة تنقضه .

١٣٥٨ - ١٣٥٩ .

## هنرى الملاح

وصفت الكتب المدرسية العربية هنرى الملاح بأنه عالم جليل ومكتشف جريء ، والحقيقة أن هنرى الملاح شأنه شأن البوركوك وولفنجستون وغيره هم من طلائع الاستعمار والذين كانوا مدفوعين إلى الشواطئ العربية والإسلامية الإفريقية بدافع الانتقام والحقد والتعصب الدينى بعد أن تعاهدت أسبانيا والبرتغال على أثر سقوط دولة العرب والمسلمين فى الأندلس على اقتحام العالم الإسلامى واستتماره والسيطرة عليه .

وهنرى الملاح البرتغالى الذى ورد اسمه فى كتب التاريخ بالتمجيد هو واحد من غلاة الاستعمار المتمصبين وقد بدأ حياته بحملة حربية ضاربة على مدينى : سبتة وطنجة العربيتين الإسلاميين ثم أسس مدرسة بحرية ضمت رجالا وجهم بالتعصب إلى قتال المسلمين ثم خوله البابا يقولوا الخامس حق الفتح والاستيلاء فى جميع البلاد حتى الهند وقد وصفه البابا بأنه رافع لواء النصرانية فى البلاد النائية .

وكان مثلاً مزمياً فى الحقد على الإسلام والمسلمين والاندفاع وراء هدف الاستعمار المغلف بالتبشير شأنه شأن هذه الطلائع جميعها التى كانت من أعداء العرب ومع ذلك فقد حاولت الكتب التاريخية المدرسية أن تضعه فى صورة البطولة الخادعة .

## أبو ذر الغفارى

حاول الكتاب فى العصر الحديث إضفاء هالة ضخمة من المجد حول شخصية أبو ذر الغفارى تخرج به فى الحقيقة عن نطاق الدور الذى قام به والتاريخ الصحيح الذى سجلته له كتب السيرة ولنا على موقف أبى ذر ملاحظات :

( الأولى ) الدور الذى قام به ( عبد الله بن سبأ ) وما ألقاه إلى أبى ذر من رأى فى المال كان مصدر الخلاف بينه وبين معاوية ومصدر متاعبه كلها . ذلك أن أبا ذر كان صادقاً مخلصاً يندفع وراء ما يرى أنه الحق بينما كان عبد الله ابن سبأ يدير مؤامرة كبرى للسلبين .

( الثانية ) أن ما يراه أبو ذر يختلف عما كان يراه النبى صلى الله عليه وسلم ، فالمعلوم المتواتر عن النبى أنه كان يأخذ جزءاً من المال ويترك الباقي لصاحبه وقد صح عنه صلى الله عليه وسلم : ( ليس فيما دون خمس أواق صدقة ، أى زكاة ) .

وهذا يختلف مع دعوة أبى ذر إلى عدم جواز ادخار الذهب أو الفضة بعد أداء زكاتها : يقول العلامة الإمام عبد الحميد بن باديس .

( أخذ أبو ذر بظاهر قوله تعالى ) والذين يكتزون الذهب والفضة ) وقد جاءت النصوص الصحيحة الصريحة بأن الأخذ إنما يكون لبعض الأموال ، فقوله تعالى ( ولا ينفقونها ) معناه : ولا ينفقونها كلها وهؤلاء هم الذين لم يعطوا شيئاً منها وهم مانعوا الزكاة فلا تصدق الآية على الذين أنفقوا ) .

وقال : لقد أصاب أبو ذر فيما اختاره لنفسه من الزهد وعدم الادخار ولكنه أخطأ فيما أراد من حمل الناس على حالة لم يوجبها الله عليهم ولن يستطيعوها ، وقد خالف أبو ذر إجماع الصحابة بنظريته السابقة مع قيام الدليل القطعى من النقل المتواتر ، والنصوص القرآنية الكثيرة المتضافرة على خلاف رأيه .

وكان خلافه هذا فى مسألة من كبريات المسائل ، ومع ذلك فقد تركوا له حرية النظر ولم يلق منهم من أجلها أذى ، وهم لم يتعرضوا له فى نظره

أو اجتباؤه إلا عندما خشوا من بته الفتنة في الناس .

ويحاول المعاصرون أن يصوروا الموقف بالنسبة له كأنه الثني أو الإخراج ،  
ولكن النصوص والوثائق تغاير ذلك .

فقد عرض عليه الخليفة ما يراه أصلح له فاختار ( الربذة ) أو هو استأذن  
عثمان في الخروج ، وعلى كلتا الراوتين لم يأمره عثمان بالخروج حتى يقال أنه  
قد نفاه .

وقد أرسل إليه عثمان : أن تعاهد المدينة حتى لا ترتد إعرابياً وقد نهى المسلمون  
عن التعرب بعد الهجرة لما فيه من الانقطاع عن الجماعة كما أقطعه عثمان صرفه  
من الإبل .

## خاتمة

كانت قضية تصحيح المفاهيم وتحرير القيم والكشف عن الشبهات والأخطاء الشائعة ودحضها رسالة قائمة مستمرة في تاريخ الفكر الإسلامى كله وفى مقدمة من عنوا بها وأولوها اهتمامهم :

الامام الغزالى فى الرد على الباطنية . وفلاسفة الإلهيات  
الامام ابن تيمية فى الرد على المناطقة والصوفية والمحرفين .  
الامام ابن حزم فى الرد على ابن النغيلة اليهودى وفى كتابه الملل والنحل .  
الامام الشاطبى فى كتابيه الاعتصام والموافقات  
الحسن بن عثمان الحياط : فى كتابه الانتصار والرد على ابن الراوندى .  
ومن أبرز المؤلفات التى أولت اهتمامها بالكشف عن الشبهات :

( العواصم من القواصم : للقاضى بن العربى )

ويعد القاضى بن العربى أذكى من فطن لدسائس الشيعون والباطنية .

قال . إن يأمن من يطالع الشبهة من تعلق بفهمه ولا يلتفت إلى الجواب ولا يفهم كنهه إذا انتشرت الشبهة فالجواب واجب ولا يمكن الجواب إلا بعد عرض الشبهة ثم إظهار فسادها .

وحذر القاضى بن العربى من أهل الادب وقال أنهم غلبت عليهم صناعة الادب فالوا إلى كل غريب من الاخبار دون أن يتحرروا الصدق أو يهتموا بالرواية والإسناد . وأشار إلى كثير مما أورده الادباء مما يتعارض مع التحقيق العلى أو التوثيق التاريخى .

وقال : هذا كله كذب صراح فاجرى منه حرف فقط وإنما ذكرت هذا لتحذروا من الخلق ، وخاصة المفسرين والمؤرخين وأهل الادب فأنهم أهل جهالة بمرمات الدين أو على بدعة مصرين فلا تسالوا بما رويوا ولا تقبلوا راوية إلا عن أئمة الحديث .

ثم تعرض ابن العربي إلى الفلاسفة السوفطائيين والعلبانعيين والإلهيين وناظر الباطنيين والخلوليين وأرباب الإشارات من غلاة الصوفية وظاهرية الأحكام والفرق التي أظهرت بعضها بإسم الاسلام . وأخذ على المحدثين ما لديهم من خرافات ورد عليهم وأعلن هدائه لمن أرادوا أن يخضعوا الاسلام للفلسفة اليونانية .

( تلبیس لبلیس : للامام ابن الجوزی )

قال في المقدمة . أنه وضعه محذراً من فتنة مخوفاً من محنة .  
واللبیس هو إظهار الباطل في صورة الحق ، وجمع فيه الشبهات المختلفة التي عرفها عصره .  
وفي مقدمتها مذهب الدهرية القائم على إنكار الخالق والبعث وجحد النبوات وهو مذهب يستمد أصوله من المجوسية ويتصل به من يقولون بالتناسخ وحرق الاجساد ورد على المقلدين الذين أبطلوا منفعة العقل الذي خلق للتأمل أو التدبر ،  
وماجم مذاهب المعتزلة والخواارج والرافضة كما عارض أركان التصوف الفلسفي من وحدة الوجود إلى الفناء في الله وعرض للسفسطائية والدهرية والثنوية والفلاسفة الذين أنكروا بعث الاجساد وعارض الباطنية الذين يبطلون النبوة والعبادات والبعث ويدعون أن لظواهر القرآن والاحاديث بواطن تجري مع الظواهر مجرى اللب من القشر ، وسفه هذه الآراء كلها وكشف عن أنها خارجة عن السنة الصحيحة وعن أصول الاسلام المستمدة من القرآن الكريم .